صناعة التحقيقات التليفزيونية الاستقصائية

المقومات الفنية والمهنية للمحقق الصحافي



د. بشرى داود السنجري

كلية الإعلام

جامعة بغداد

دار الكتاب الجامعي

UNIVERSITY BOOK HOUSE

حيث يبدأ التعلم من هنا

صناعة التحقيقات

التليفزيونية الاستقصائية

المقومات الفنية والمهنية للمحقق الصحافي

صناعة التحقيقات التليفزيونية الاستقصائية

المقومات الفنية والمهنية للمحقق الصحافي

أ.م.د. بشرى داود السنجري

كلية الإعلام
جامعة بغداد

الناشر

دار الكتاب الجامعي
دولة الإمارات العربية المتحدة - الجمهورية اللبنانية

2015

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة التوبة، الآية 105)

المحتويات

مقدمة 11

الفصل الأول. الصحافة الاستقصائية ـ مفاهيم ومصطلحات 15

أولا: مدخل عام إلى الصحافة الاستقصائية 17

ثانيا: مفهوم الاستقصاء في اللغة 22

ثالثا: مفهوم الصحافة الاستقصائية في الاصطلاح 22

رابعاً: أهمية الصحافة الاستقصائية 24

خامسا: الفرق بين الصحافة الاستقصائية والأشكال الصحفية الأخرى 24

هوامش الفصل الاول 26

الفصل الثاني: التحقيقات الاستقصائية التليفزيونية 29

أولا: مفهوم التحقيق التلفزيوني 31

ثانيا: التحقيق التلفزيوني الاستقصائي 35

ثالثاً: خصائص التحقيق التلفزيوني الاستقصائي 37

رابعاً: وظائف التحقيق التلفزيوني الاستقصائي 38

وظيفة المراقبة 40

وظيفة الحراسة 40

وظيفة المرشد 41

وظيفة الأليف 41

وظيفة القائد 41

خامساً: الأهمية الاخبارية للتحقيقات التلفزيونية الاستقصائية 42

سادساً: الفرق بين التحقيق التلفزيوني التقليدي والاستقصائي 43
أ - التحقيق التقليدي 43
ب - التحقيق الاستقصائي 44
هوامش الفصل الثاني 46

الفصل الثالث: مراحل إعداد التحقيق التليفزيوني الاستقصائي 49

أولاً: مرحلة الفكرة 51
كيفية العثور على أفكار للتحقيقات الاستقصائية 52
ثانيا: مرحلة طرح الفرضيات 54
ما هي أنواع المصادر العلنية؟ 55
إستراتيجية المصادر العلنية للاستقصاء 55
ثالثا: مرحلة التوثيق العام 56
أهمية الوثائق وكيفية الحصول عليها 56
رابعا: مرحلة حصر جوانب الموضوع في زواية محددة 57
خامسا: مرحلة العمل الميداني 58
1- ضبط خطة العمل الميداني 58
2- طبيعة المادة التي ستجمعها من الميدان 59
سادسا: المراجعة والتقييم 62
سابعا: بناء هيكل التحقيق 62
هوامش الفصل الثالث 64

الفصل الرابع: صناعة التحقيق التليفزيوني الاستقصائي 65

أولاً: بناء النص 68
كتابة النصوص 72
1- طرق صياغة الفقرة الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي 74
2- القالب الفني لصياغة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي 77
3- خاتمة التحقيق ....

ثانيا: استخدام المادة المسجلة 80

ثالثا: اعداد الاسكربت 81

رابعا: التسجيل النهائي والمونتاج 82

1- اللقطة 82

2- الصوت 85

3- المونتاج 85

خامسا: المراقبة والتقييم 87

أ - الجودة الفنية 87

ب- الحيوية والإثارة 88

ج- البحث بالعمق 88

د- الواقعية 88

هـ - المعايشة 89

هوامش الفصل الرابع 90

الفصل الخامس: دور التحقيقات الاستقصائية في تدعيم المسار الديمقراطي 91

أولاً: العلاقة بين وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي 93

ثانيا: التلفزيون ووظيفة تكوين الرأي العام 95

ثالثا: دور التحقيقات الاستقصائية في رسم السياسات العامة 97

رابعا: التحقيقات الاستقصائية وصناعة الرأي العام 99

خامسا: التحقيقات الاستقصائية التلفزيونية: نمط مستحدث لحشد الرأي العام 103

هوامش الفصل الخامس 107

الفصل السادس: المعايير المهنية والأخلاقية للصحافي الاستقصائي 109

أولا: اشكالية المسؤولية المهنية وأخلاقيات الصحافي الاستقصائي 111

ثانيا: مهارات الصحافي المتقصي 113

ثالثا: المبادئ الاخلاقية للصحافي المتقصي 114

القواعد الأخلاقية 116

أنظمة قواعد السلوك 117

رابعاً: الإشكاليات الأخلاقية للمحقق الاستقصائي 118

خامساً: مواثيق الشرف وأدلة السلوك المهني 119

ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين 121

سادساً: معايير التحقيق التلفزيوني الاستقصائي 122

سابعاً: التحديات التي تواجه أداء العمل الاستقصائي 123

1- ملكية المؤسسة الإعلامية 123

2- المصادر الاعلانية 124

3- تكاليف اعداد التحقيق 125

4- الملاحقة القانونية 125

ثامنًا: معايير التحقيقات الاستقصائية السرية 126

هوامش الفصل السادس 128

الفصل السابع: علاقة التحقيقات الاستقصائية بمناهج البحث العلمي 129

أولا: أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافي والباحث العلمي 132

ثانياً: العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية 133

ثالثا: مهارات الاستقصاء الموجه في التحقيق الاستقصائي 134

رابعاً: الفرق بين الاستفتاء والتحقيق 136

خامساً: الشبكات والمراكز العالمية الداعمة للتحقيقات الاستقصائية 136

هوامش الفصل السابع 143

الفصل الثامن: التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي 145

أولا: واقع التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي 147

1- محدودية ثقافة العمل الاستقصائي بالوسط الصحافي 151

2- اخفاء المعلومات وحجب الوثائق 151

3- عدم تعاون المسؤولين مع الصحافي الاستقصائي 152

4- بعد النشر: عدم التأثير في الرأي العام 152
ثانيا: دور التحقيقات الاستقصائية في الكشف عن الفساد 154
اضرار حظر النشر أو البث لقضايا الفساد 156
نصائح في الاستقصاء الصحافي المتخصص في مجال الفساد 158
ثالثا: واقع التحقيقات الاستقصائية في العراق 160
التحقيقات الاستقصائية الدولية في العراق 167
رابعا: شهادات حول تجارب التحقيقات الاستقصائية 167
خامسا: بعض التجارب المهنية في الصحافة الاستقصائية 169
تغطية قضية الرضيع "بي" 169
التحرش الجنسي في أماكن العمل 170
الداء والدواء 173
فضيحة في حوض السباحة "سبلاش ببلاش" 176
هوامش الفصل الثامن 181

الخاتمة 183

المصادر والمراجع 185

أ - مصادر ومراجع عربية 185
ب - مصادر ومراجع أجنبية 187
ج - المواقع الالكترونية 188

المقدمة

قد اسهمت التطورات التقنية الكبيرة في مجال الاتصال الجماهيري وتعدد قنوات الاتصال والمعلومات في إحداث تغيير جوهري في شكل الأنواع الإعلامية ومضمونها، وبرزت أنواع صحفية جديدة، وأصبح لكل وسيلة إعلامية خصوصيتها التكنولوجية المحددة، من حيث الشكل والمضمون.ومع تطور الأحداث وتنوع الظواهر، وارتفاع حدة المشكلات، وارتباطها بحياة الجمهور، كان على وسائل الإعلام ابتكار طرائق صحفية جديدة، تقوم بمهمة المعالجة الشاملة لكل هذه القضايا من حيث التفسير والبحث وتقديم الحلول، مما أدى إلى ولادة ذلك النوع الإعلامي الذي يبحث فيما وراء الخبر أو القضية، اطلق عليه تسمية (الصحافة الاستقصائية).

وتعد الصحافة الاستقصائية investigative journalism أعلى مراتب المهنية الإعلامية وفي الوقت نفسه هي أصعبها... ويجسد التحقيق الاستقصائي دور السلطة الرابعة لوسائل الإعلام في المجتمعات، أو ما يمكن تسميته بوظيفة المراقبة التي تنتهجها وسائل الإعلام في إطار من الاحترافية المطلوبة من المؤسسات الإعلامية.

وقد لجأت إليه الصحافة أولاً وعدته مجالا واسعا للتعمق في تقديم الاحداث، ومعالجة القضايا ومن مختلف جوانبها، وقد انتشر هذا المصطلح بحيث لم يعد يقتصر على الصحافة المكتوبة من الجرائد والمجلات، وإنما أخذت الكثير من القنوات التلفزيونية والإذاعية تقدم تحقيقات استقصائية بأساليب متنوعة، حيث انتبه القائمون على الإعلام المرئي لاسيما في القطاع الخاص إلى اهمية التميز في تقديم المادة الاخبارية ولم يقتصر تركيزها على البرامج الحوارية المثيرة بل تعدتها لاختراق ما يمكن وصفه بالممنوعات، وفي ظل تسيد وسائل الإعلام المرئية

لواجهة المشهد الإعلامي ودخول وسائط اتصال جديدة ساعد على وجودها الانترنيت وسرعة انتشاره بين مختلف الاوساط والفئات في المجتمع، بات الإعلام التقليدي، أمام تحدي الاستمرارية بتقديم ما هو مختلف، وهذا الامر تنبهت إليه بعض الشبكات التلفزيونية الاخبارية العالمية فكان تركيزها على التحقيقات الاستقصائية التي تتناول قضية أو قضايا لا يرغب الاخرون في الاطلاع عليها أو اظهارها.

ويرتبط هذا النوع من التحقيقات بالنظم الديمقراطية أو التي تتبنى الديمقراطية كنظام حكم، لأنها تهدف في الأساس إلى حماية المجتمع وتحذيره من المخاطر التي تحيط به، مع إيجاد المعالجات التي تهم صانع القرار، فهي رديف أساسي في مكافحة الفساد، وأحد ثمار الحرية الصحفية في النظم الديمقراطية، والنظم التي تعمل على الوصول إلى درجة مرتفعة من الحكم الرشيد.

وتعتبر من اكثر انواع التحقيقات إثارة بوصفها تحقيقات تبحث في العمق، كما تكمن عناصر الاثارة في النتائج التي تتوصل اليها والتي غالبا ما تحدث تغييرات حقيقية والآثار الايجابية على حياة الناس وقد تشمل احيانا تعديل في القوانين أو تقديم اشخاص إلى العدالة أو تصحيح الاخطاء، وغالبا ما تعمل على وضع المرض والعلاج في سلة واحدة أمام المجتمع وصناع القرار، وهو ما يعطي الصحفي إحساسا قويا بالانجاز، إلا أنها تتطلب وقتا ومجهودا شاقا، مما يجعلها أصعب أنواع الصحافة أيضاً.

ومما تجدر الاشارة إليه ان ولادة هذا النوع من التحقيقات ارتبطت بموضوع احتدام المنافسة بين وسائل الإعلام بشكل عام والمنافسة الشديدة التي تواجهها عشرات المحطات الفضائية الاخبارية المتخصصة بشكل خاص، وأصبحت القنوات التلفزيونية تنافس الصحافة المكتوبة في انتاج وبث هذه النوعية من التحقيقات، التي حازت على رضى الجمهور ونال البعض منها على جوائز دولية، خاصة وأن التلفزيون يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون، والبث الحي، لذا فقد أصبحت التحقيقات الاستقصائية من اهم الاشكال الاخبارية في القنوات التلفزيونية. في هذا الكتاب سنتناول التحقيق التلفزيوني الاستقصائي وسنأتي بمشيئة الله تعالى على كل ما يتعلق به، سواء من ناحية المفاهيم والمصطلحات أو الضوابط المهنية والأخلاقية التي تحكم اداء المحقق الصحافي، حيث يتضمن **الفصل الاول** الصحافة الاستقصائية – مفاهيم ومصطلحات، وأهميتها والفرق بينها وبين والأشكال الصحفية الاخرى.

فيما تناول الفصل الثاني مفهوم التحقيق التلفزيوني الاستقصائي وخصائصه ووظائفه فضلا عن الأهمية الاخبارية للتحقيقات التلفزيونية الاستقصائية وأشتمل الفصل الثالث على مراحل اعداد التحقيق التلفزيوني الاستقصائي من مرحلة طرح الافكار ثم وضع الفرضيات والتوثيق العام ثم العمل الميداني والمراجعة والتقييم.

ويأتي الفصل الرابع مكملا لخطوات انتاج وصناعة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي وبناء النص، وطرق صياغة الفقرة الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي، القالب الفني لصياغته، ثم خاتمة التحقيق، واستخدام المادة المسجلة، وإعداد الاسكربت، والتسجيل النهائي والمونتاج ومن ثم المراقبة والتقييم.

أما الفصل الخامس فيتناول دور التحقيقات الاستقصائية في تدعيم المسار الديمقراطي والعلاقة بين وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي، ووظيفة التلفزيون في تكوين الرأي العام ودور التحقيقات الاستقصائية في رسم السياسات العامة وصناعة الرأي العام.

أما الفصل السادس فأشتمل على المعايير المهنية والأخلاقية للصحافي الاستقصائي ومهارات الصحافي المتقصي والمبادئ الاخلاقية للصحافي المتقصي ومواثيق الشرف وأدلة السلوك المهني فضلا عن معايير التحقيقات الاستقصائية السرية.

وتضمن الفصل السابع علاقة التحقيقات الاستقصائية بمناهج البحث وأوجه التشابه والاختلاف بين الصحافي والباحث العلمي كذلك العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية ومهارات البحثية الاستقصائية الموجه في التحقيق الاستقصائي والفرق بين الاستفتاء والتحقيق.

فيما تناول الفصل الثامن والأخير واقع التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي ودور الصحافة الاستقصائية في الكشف عن الفساد،والصحافة الاستقصائية في العراق،فضلا عن شهادات حول تجارب العمل الاستقصائي وتقويم لبعض التجارب المهنية في الصحافة الاستقصائية كذلك نماذج من التحقيقات التلفزيونية الاستقصائية ثم خاتمة الكتاب التي نأمل ان يشكل اضافة جديدة لكل باحث عن العلم في هذا المجال. ومن الله التوفيق

أ. م. د. بشرى داود السنجري

عضو هيئة تدريس بكلية الإعلام - جامعة بغداد

الفصل الأول

الصحافة الاستقصائية

مفاهيم ومصطلحات



يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- مدخل عام إلى الصحافة الاستقصائية
- الاستقصاء في اللغة
- مفهوم الصحافة الاستقصائية في الاصطلاح
- أهمية الصحافة الاستقصائية
- الفرق بين الصحافة الاستقصائية والأشكال الصحفية الاخرى

الفصل الأول

الصحافة الاستقصائية
مفاهيم ومصطلحات

أولا: مدخل عام إلى الصحافة الاستقصائية

تعد التقارير أو التحقيقات التي أجرتها نيلي بلاي عام 1887 أول وأشهر تقارير صحافة التحقيقات الاستقصائية، وهي أول انطلاقة نحو عالم البحث والتقصي المستتر، حيث تظاهرت (نيلي بلاي) بالإصابة بمرض عقلي وأمضت عشرة أيام في مصحة الصحة العقلية للمرأة بنيويورك للكشف عن سوء معاملة المرضى، وتم نشر التحقيق الذي اجرته في "عالم نيويورك" وأسفر عن إجراء إصلاحات ومزيد من التمويل لمؤسسة الصحة العقلية. ثم تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية مع تطور الصحافة ودورها الرقابي في المجتمع، واتجاهها إلى التحري عن قضايا معينة كقضايا الفساد والانحراف التي تطال مختلف مناحي الحياة، وظهر هذا النوع من التغطية الصحفية الذي سمى بالصحافة الاستقصائية Investigative Journalism وسمى محررو هذا اللون بـ: Muck Rekers أو المنقبون عن الفساد وقد أُطْلق هذا الاسم على مجموعة الصحفيين الذين قادوا حملات صحيفة مهمة ضد الفساد خاصة عام 1901، حين أدى التوسع الصناعى السريع بعد الحرب الاهلية إلى الكثير من أنواع الظلم وكانت الاحتكارات موضع قلق عام، ورأى فيها بعض المراقبين تحالفا غير سديد بين التجارة والسياسة[1]. ففي الحقبة الأولى لظهور هذا اللون من الصحافة كان لها الفضل في فضح جرائم الرشوة، والفساد، والجريمة المنظمة، وهدر الموارد، والوحشية من جانب أجهزة الشرطة في التعامل مع المواطنين، وكان الإحساس بالمسئولية الاجتماعية الدافع وراء هذه التوجهات من جانب المحررين[2]. ومن أكثر النماذج شهرة إبان تلك الفترة، سلسلة التقارير التي أعدها Lincoln Stiffens عام

والتي تصدت بالتوثيق لكشف الفساد في Shame of the cities "عار المدن" بعنوان، 1904، وكذا التقارير الاستقصائية التي كتبتها الحكومات المحلية بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي كشفت فيها عن الآثار Silent spring بعنوان الربيع الصامت Rachal Carson's المدمرة لاستخدام المبيدات الحشرية السامة[3].

ومع مطلع السبعينيات من القرن العشرين بدأت الصحف الأمريكية بشكل متزايد في تشجيع المحررين ذوى الخبرة على التحرر من القصص الروتينية حتى يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات المغزى التي تتطلب وقتا أكثر وخبرة

كما لعب المراسلون أدوارا حاسمة في كشف ما يُعرف فيما بعد بأخطر فضيحة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث تابع الصحفيون في واشنطن قرائن خلفتها سرقة في مبنى للمكاتب في "ووترجيت" وواصلوا تحرياتهم إلى أن أوصلتهم تحرياتهم إلى البيت الابيض، وقد دفعت التقارير الأخبارية الخاصة بالحملة التى كشفت فيها صحيفة الواشنطن بوسط الأمريكية فى يونيو 1972 فضيحة ووترجيت وتورط الرئيس الأمريكى الأسبق، نيكسون فى التجسس على المقر الانتخابى للحزب الديمقراطى وهو الحزب المنافس للحزب الجمهورى الذى ينتمى إليه الرئيس نيكسون، وقد انتهت الحملة الصحفية باستقالة الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" من منصبه بعد إدانته هو وكبار معاونيه، وأشهر المحررين الذين قاموا بالتغطية الاستقصائية، كلا من بوب وود وارد، وكارل برنشتاين Bbwood Ward, Cary Bernstein، بجريدة الـ واشنطن بوست.

وقد انتشرت الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الامريكية خلال فترة السبعينات من القرن العشرين لأسباب متعددة منها: الدعم المالى الذي حصلت عليه الصحافة في أوائل السبعينات، إذا كان التخطيط لذلك قد بدأ منذ عام 1968 بشكل غير منتظم، وأصبح هناك منظمة أو صندوق مستقل هو Fund of Investigative Journalism، يموله المؤسسات والأفراد، وقد نجح هذا الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال فترة 1971-1973، كشف فيها العديد من المشاكل التي تتعلق بالفساد الاقتصادي والحياة السياسية للدول، وفى عام 1976 تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين "IRE" Investigative Reporters & Editors كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، وذلك على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها، ومع نهاية

عام 1976 شكلت الجماعة فريق عمل صحفى رَأَسَهُ (روبرت كرين) الذي يعمل محرراً في جريدة (نيوزدي) وكانت مهمة هذا الفريق القيام بتغطية استقصائية عن جريمة اغتيال احد محرري جريدة (أريزونا ببلك) الذي استطاع أن يغطي نشاطا صحفيا استقصائيا لجرائم منظمة في إحدى الولايات الأمريكية حيث كان هذا الحادث بداية لتحرك مجموعة المحررين الاستقصائيين لغرض التحقيق في الحادث حيث تم نشر هذه التحقيقات في الصحف الأمريكية حتى أجبرت المحاكم والمحققين إلى القبض على المجرمين وأحالتهم إلى القضاء[4].

وتوسعت فرق الصحفيين الاستقصائيين لتشمل المكاتب الإعلامية فى البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية، والكونجرس الأمريكي، تعمل فى التحقيق حول التحقيقات الاستقصائية للصحف التى تمس مسؤولا ما أو مسألة ما فى هذه المراكز، وهى سابقة أوجدتها فضيحة، ووترجيت، وتتزاحم الصحف الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية على موضوعات التحقيقات الاستقصائية، فتخصص لها بجانب فريق المحررين المتميزين والمعروفين بموضوعيتهم ومصداقيتهم ميزانيات مالية كبيرة وإن بعض الوكالات الصحفية الكبرى مثل وكالة "اسوشيتدبرس" استحدثت مؤخرا قسما خاصا بالتحقيقات الاستقصائية، كما يوجد الآن عشرات المراكز الاستقصائية في العالم مثل الإتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين الذي يوفر منابر للصحفيين للتواصل والعمل على التحقيقات الاستقصائية، ومركز الصحفيين العرب في مجال الصحافة الاستقصائية، ومنتدى الصحفيين الاستقصائيين الإفريقيين،و منظمة اعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية (اريج)[*].

وهناك الأمثلة الكثيرة في الصحافة العالمية عن التحقيقات الاستقصائية من بينها ما

(*) اريج (منظمة اعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية): مؤسسة غير ربحية مشكلة من مجموعة اعلاميين عرب ومؤسسات اعلامية عربية بالتعاون مع مؤسسة IMS (دعم الاعلام الدولي) الدينماركية، اسست مكتب اقليمي لها في عمان عام 2005 يغطي سوريا ولبنان والأردن، ثم توسعت تدريجيا صوب مصر والبحرين واليمن وفلسطين والعراق، هدفها مساعدة الاعلاميين بمساندة خبرات عربية وأجنبية على بناء ثقافة صحافة استقصائية محترفة مؤسسة على سلوك مهني راق وقائمة على الصدق والموضوعية والتوازن، والدقة الصارمة، بعيدا عن التخندق والتحيز والجهل واحتكار الصواب. للمزيد انظر: (موقع المنظمة على شبكة الانترنيت: (http://www.arij.net)/

قدمه فريق الإعلام لمحطة ABC الأمريكية الذي تفاصيل دخول مواد خطرة إلى الأراضي الأمريكية لمرتين من دون أن تلتقطه أجهزة الإنذار بعد أن كانت خيوطا غامضة، كما كشفت الصحف الأمريكية أيضاً عن تهرب، سبيرو اجينيو، نائب الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون، من دفع الضرائب وحصوله على رشاوى من بعض كبار رجال المال لتسهيل صفقاتهم مع الحكومة بالإضافة إلى عد آخر من التهم وقد انتهى الأمر بإجباره على تقديم استقالته.

وكذلك الكشف عن فضيحة رشاوى لوكهيد والتى أطاحت برئيس وزراء اليابان وعدد آخر من كبار المسئولين فى العالم لتقاضيهم رشاوى من هذه الشركة لتسهيل صفقاتهم التجارية مع الحكومات التى ينتمون إليها.

وفى بريطانيا تم الكشف عن فضيحة بروفيمور وزير البحرية البريطانية الذى تورط فى علاقة غير شرعية مع كريستين كيلر وقد استغل أحد الجواسيس السوفيت هذه العلاقة للحصول على معلومات عن الجيش البريطانى.

وفى فرنسا أثيرت فضيحة هدية الماس التى قدمها الإمبراطور بوكاسا إمبراطور إفريقيا الوسطى السابق إلى الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان عندما كان يشغل وزارة المالية قبل توليه منصب الرئاسة.

وفى إيطاليا تم الكشف عن فضيحة مالية كبرى تورط فيها الرئيس الإيطالى جيوفانى ليونى، وقد انتهى الأمر باستقالة الرئيس الإيطالى.

وفى ألمانيا الغربية أثيرت قضية تورط سكرتير المستشار الألمانى ويلى برانت فى حلقة جاسوسية تابعة لألمانيا الشرقية وقد انتهى الأمر باستقالة المستشار الألمانى.

وكثيرة هي الأمثلة في هذا الجانب وكل هذه الأمور جعلت المحررين الاستقصائيين عرضة للملاحقة والقتل والاغتيال، وقد اغتيل ثمانية وستون صحفيا عام 2001 ويرجع سبب اغتيال خمسة عشر صحفيا منهم إلى اعمال استقصاء عن قضايا الفساد وهذا الرقم ينذر بالخطر[5].

أما في الصحافة العربية كان هذا النوع من التحقيقات يمارس بشكل غير مبرمج أو مدروس ومن أبرز القضايا العربية فضيحة الأسلحة الفاسدة التي زُود بها الجيش المصري في

عام 1948م والذي كتب عنها الكاتب المعروف إحسان عبد القدوس[6].

وتعد الصحافة الاستقصائية مغيبة عن تقاليد الممارسة الإعلامية في البلدان النامية والعربية،وذلك لغياب المساءلة للمسؤول بشكل عام. اذ تقف عند حد الرقابة الذاتية في حالة غياب الرقابة الرسمية، لما تشكل عملية تجاوز الخطوط الحمر وخطرا على حياة الصحفيين في نشر معلومات مهمة[7]. فضلا عن ان الواقع الإعلامي لايزال يرزح تحت المطالب الأدنى في الحماية للعمل الإعلامي أو ضمانة الحقوق المهنية وغيرها من التي لا تفتح آفاقا كبرى لذهنية وآلية العمل الإعلامي الاستقصائي وهذا مرتبط إلى حد كبير بالماكينة السياسية والتشريعية وذهنية تقبل السياسي أكثر منه بالقدرة والرغبة الاحترافية للصحفي العربي المكبوت تحت نمط الإعلام السياسي الخبري أكثر منها مفتوحة الخطى لتتكبل بالصراع مع مناطق النفوذ، فالإعلام العربي لكي يتقدم وينجح لابدّ من إيجاد وتهيئة مستلزمات النهوض به من بيئة وتشريعات تكفل حرية الرأي والتعبير وحق الوصول إلى المعلومات.

ومما يجدر الاشارة إليه، هناك بعض المحاولات العربية الخجولة التي بدأت تتبلور في السنوات الأخيرة لممارسة هذا النَّمط الخاص جدّا من الصحافة ويقدْر هامِش الحرية المُتاح في كل دولة، ما جعل المشهَد مُتفاوتا من بلد إلى آخر. مع ذلك، يسعى إعلاميون منذ 2005، لإرساء صحافة استقصائية عربية وشكّلوا من أجل ذلك إطارا اقتَصر في الانطلاق على الأردن وسوريا ولبنان، ثم توسَّع لاحقا ليشمَل أيضاً مصر والبحرين ثم اليمن وفلسطين والعراق. واستطاعت الشبكة، التي تُديرها الأردنية رنا الصباغ، أن تجمع في مؤتمرها الأخير (الثالث) في عمّان ثلاث مائة صحفي يُغطّون المنطقة الممتدّة من عُمان إلى موريتانيا، لترسيخ فنّ الإعلام الإستقصائي في بلدانهم.

وقد عقدت اتفاقية في عمان من قبل مركز دراسات الوحدة العربية اقامتها الشبكة العربية للشفافية والنزاهة بالتعاون مع شبكة اريج، وذلك لإيجاد آلية جديدة، بعد فشل السياسات الاصلاحية في الوطن العربي، لمكافحة الفساد، وكانت ضمن آليات الاتفاقية، مطالبة البرلمانات العربية لتشريع قوانين حماية كاشفي الفساد، وحرية الوصول إلى المعلومات.

ثانيا: مفهوم الاستقصاء في اللغة[8]:

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب ان:

قصا عنه قصوا وقصا وقصاء وقصي: أي بعد

وقصى المكان يقصو قصوا: بَعد

والقصي والقاصي: البعد، والجمع اقصاء فيهما كشاهد واشهاد ونصير وانصار

وقصوت عن القوم: تباعدت

ويقال: فلان بالمكان الاقصى والناحية القصوى

وأقصى الرجل: باعده

القصو: البعد، والأقصى: الأبعد. ويقال: تقصاهم أي طلبهم واحداً واحداً.

ويتبين من مجمل هذه المعاني إن التقصي هو تتبع الأثر، وكان قص الأثر مهنة معروفة في العصر الجاهلي والعصور الأولى للحضارة الإسلامية، سيما وإن ظروف الحياة الاقتصادية والعسكرية تتطلب ذلك، فهناك من له القدرة على تتبع الهاربين، أو أثر الحيوانات والقوافل الضالة، أو التنقيب بما يكشف عن الجوانب الخفية وما زلنا نسمع بتشكيل لجان تقصي الحقائق التي عليها البحث عن حقيقة مشكلة ما بزيارة جميع الأماكن، والاستماع إلى شهادات جميع الأطراف في الموضوع والتي تكشف لهم الجوانب المسكوت عنها بقصد أو بدونه.

ثالثا: مفهوم الصحافة الاستقصائية في الاصطلاح:

إنه البحث والتنقيب حول قضية أو موضوع ما والبحث في عمقها، لمعرفة ما وراء المعلومات، لتشمل كشف أمور خفية للجمهور، أمور أما أخفاها عمداً شخص ذو منصب فى السلطة أو اختفت صدفة خلف ركام فوضوى من الحقائق والظروف التى أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية، وهى الصحافة القائمة على توثيق المعلومات والحقائق باتباع أسلوب منهجى وموضوعى بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة.

ويعرفها رئيس المركز الدولي للصحفيين بأنها: "سلوك منهجي ومؤسساتي صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصاً على الموضوعية والدقة وللتأكد من صحة الخبر، وما قد يخفيه انطلاقاً من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة ككلب

حراسة على السلوك الحكومي، وكوسيلة لمساءلة المسئولين ومحاسبتهم على أعمالهم، ووفقاً لمبادئ قوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات[9].

بينما وصف كابلن الاستقصاء على أنه، نهج منظم لحدس، يتطلب الغوص في العمق، والبحث الفعلي الذي يقوم به الصحفي بنفسه، بالإضافة إلى التغطية الصحفية. يتناول طريقة علمية في البحث، معتمدة على وضع فرضية واختبار مدى صحتها، والتأكّد من الحقائق المحاطة بهذه الفرضية، ونبش الأسرار المغمورة، ووضع ركائز العدالة الاجتماعية والمساءلة، بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للتسجيلات المعلنة وعادةً ما تكون على شكل بيانات[10].

ولا تنحصر الصحافة الاستقصائية فى محور أو محاور الأداء الحكومي فقط، بل تمتد إلى ما يهم الجمهور من قضايا صحية وبيئية وتعليمية، وقضايا حماية المستهلك، وتجار المخدرات وتجار الدعارة ومهربي الأدوية الفاسدة، وقضايا الجرائم الغامضة، وجرائم غسيل الأموال وغسيل السمعة لرجال الأعمال المنحرفين[11].

ويمكن القول هنا بان الصحافة الاستقصائية هي ذلك النوع من الصحافة الأكثر إرضاءً وإثارة وهي أيضاً الأكثر تطلبا فيما يتعلق بالوقت والعمل الجاد، وغالبا ما تتمخض التقارير الإخبارية عن تغييرات حقيقية تؤثر على حياة الناس والتي قد تشتمل في بعض الأحيان على تعديل للقوانين وتقديم المعتدين إلى العدالة وتصحيح أخطاء[12].

فيما اكدت المديرة التنفيذية لـ «إعلاميون عرب من أجل صحافة استقصائية - أريج» رنا صباغ: إن الصحافة الاستقصائية أفضل طريقة للوصول إلى قلب الحقيقة والخروج من دائرة التأثير المبرمج الذي يتم ضمن حلقات صناعة الإعلام وتمرير المعلومات، وأضافت، أن الصحافة الاستقصائية تكشف التجاوزات والممارسات الخاطئة وتُفعل مبدأ المحاسبة والمساءلة بما يؤدي مبدئيا إلى تصويب الأوضاع. تستخدم الصحافة الاستقصائية الآن بشكل متسع في مجالات كشف الفساد في المجتمع وتقديم الرؤية الاستقصائية الشاملة التي لا تستطيع ان تقدمها وسائل الإعلام الاخرى[13].

إن نمو المتزايد في توظيف الحاسبات الالكترونية وانتشار استخدام المؤسسات الحكومية والمؤسسات الخاصة للحاسبات الإليكترونية فى تخزين المعلومات وتصنيفها واسترجاعها أتاح إمكانية الحصول عليها بنفقات قليلة أو بدون نفقات على الإطلاق وبالتالي اسهم في عملية تنامي الصحافة الاستقصائية بشكل عام.

رابعاً: أهمية الصحافة الاستقصائية:

تنبع أهمية الصحافة الاستقصائية من الوظيفة التي تؤديها، فهي تعد[14]:

1- جزء من العمل الرقابي التخصصي، الذي ممكن ان يصنع رأي عام بين الجمهور خاصة إذا تبنى نتائجه بعض الجهات السياسية ووسائل الإعلام.

2- كاشفة لجرائم وفضائح وفساد الساسة والمسؤولين، ويقال في الغرب: أن للصحافة الاستقصائية قدرة لا تضاهى على ربط مسؤولين بجرائم معينة

3- أداة للوصول للحقيقة من مصدرها الأصيل، والوقوف على صدقها من آذبها، تضخيمها من تحجيمها، أداة تعمق فهم الحدث.

4- بوابة مهمة لشروع أجهزة الدولة في فتح التحقيقات في جرائم المال والإدارة.

5- تشكل مركز معلومات المؤسسة، وقاعدة بياناتها.

6- تمثل صحافة العمق، وهو مستقبل الصحافة الحية الناجحة المؤثرة مستقبلا، كما يقول الصحفي الأمريكي الذي يعتبر من أكفأ الصحفيين الاستقصائيين في العالم (سيمون هيرش): مستقبل الصحافة في صحافة العمق. لذا فإن الصحافة الاستقصائية ضرورة لنهوض صحافة مؤسساتنا الإعلامية تحديداً، وهي مبرر لوجودها.

خامسا: الفرق بين الصحافة الاستقصائية والأشكال الصحفية الاخرى[15]:

إذا أردنا أن نعرف الصحافة الاستقصائية فيجب علينا أن نفرق بينها وبين التقارير أو القصص الإخبارية، فالقصص الإخبارية هي عندما تتجاوب المصادر ويردون على استفسارات الصحفي حول الحدث ويمدوه بالتقارير والبيانات، أما الصحافة الاستقصائية فهي استهداف الصحافي لنشاطات سرية أو نشاطات غير عامة وخاصة جداً. ويمكن التفريق وفق الجدول الاتي:

المتغير	الأنواع الصحفية الأخرى	الصحافة الاستقصائية
1- البحث والتنقيب	فوري وسريع وسطحي	معمق، وقت وجهد وتكلفة أكبر
2- النشر	فوري	متأني
3- القالب التحريري	قالب إخباري (هرمي)	أشكال أخرى متسلسلة سردية منطقية إقناعيه
4- المعلومات	تبحث عن المعلومة لنشرها	تبحث عما وراء المعلومة، وكشف مسبباتها
5- الاهتمامات	أخبار عادية آنية سياسية واقتصادية وفنية وعلمية وغيرها	مواضيع ذات أهمية أكبر تهم قاعدة شعبية أوسع كالفساد والرشاوي والتجاوزات والقصور
6- موضوعاتها	تعطي معلومات حول القضايا المثارة	تختلق المواضيع وتبحث فيها، وتنشرها لتصبح قضايا مثارة.

هوامش الفصل الاول

1- حسن محمد أبو حشيش، فن التحقيق الصحفي في الصحافة الفلسطينية، غزة، فلسطين، 2006، ص8.

2- Martin, Linsky: Impact-How the press affects federal policymaking (New York:w.w. Norton company,1986:p35.

3- Frank.E.Fee.Jr: Reconnecting with the body politic: toward disconnecting Muckrakers and public journalists, American Journalism, vol, 22, no, 3, 2005: 77-102

4- عيسى عبد الباقي، الصحافة الإستقصائية، موقع الصحفي العربي، 2010، تجده على الرابط:
http://www.alsahfe.com/News-428.htm

5- علي دنيف حسن، دور الصحافة الاستقصائية في مكافحة الفساد المالي والاداري والجريمة المنظمة، بغداد، العراق، منشورات مدرسة الصحافة المستقلة، 2009، ص7.

6- د. عيسى محمود الحسن، الصحافة الاستقصائية – مهنة المتاعب والأخطار، عمان: دار زهران، 2013.

7- تصريح لمديرة معهد الصحفيين المحترفين في بيروت. نقلا عن: (سناء الجاك وكارولين عاكوم، علامات استفهام حول الصحافة الاستقصائية في لبنان، بيروت، 24 ديسمبر 2006، على موقع جريدة الشرق الاوسط الالكتروني، (http://www.alshaerqalawsat.com/)، أخذ بتاريخ 3/6/ 2011 عمان.

8- معجم لسان العرب ابن منظور – جذر قصا.

9- مارك هنتر، هاتسون، ونلز واخرون، على درب الحقيقة، دليل أريج للصحافة العربية الاستقصائية، المكتبة الوطنية، عمان، 2009، ص17.

10- شبكة الصحفيين الدوليين، أربعة أمور لا تنطبق عل الصحافة الإستقصائية، تجده على رابط:
http://arij.net/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A

11- براء الخطيب، الصحافة الاستقصائية: العفريت الذى انطلق من القمقم، موقع اليوم السابع:
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=216990

12- مدونة أنا حُرة، ما هي الصحافة الإستقصائية، 2013، تجده على الرابط:
http://anahora.blogspot.com/2013/01/blog-post_29.html

13- أحمد سالم ولد البخاري وأحمد ولد الشيخ احمد الامين، الصحافة الاستقصائية، نقابة الصحفيين الموريتانيين، موريتانيا، 2010، ص4.

14- د. عيسى محمود الحسن، مصدر سابق، ص9.

15- مها فالح ساق الله، ماهية الصحافة الاستقصائية، كلية الاداب، قسم الإعلام، الجامعة الاسلامية، غزة، 2013.

الفصل الثاني

التحقيقات الاستقصائية التليفزيونية

يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- مفهوم التحقيق التلفزيوني
- التحقيق التلفزيوني الاستقصائي
- خصائص التحقيق التلفزيوني الاستقصائي
- وظائف التحقيق التلفزيوني الاستقصائي
- الأهمية الاخبارية للتحقيقات التلفزيونية الاستقصائية
- الفرق بين التحقيق التلفزيوني التقليدي والاستقصائي

الفصل الثاني

التحقيقات الاستقصائية التلفزيونية

أولا : مفهوم التحقيق التلفزيوني

إن محاولة تحديد مفهوم من المفاهيم تساعدنا في تحقيق انضباطا منهجيا يقودنا إلى الانطلاقة الصحيحة نحو تناول المفهوم بشكل محدد دون الخوض في فوضى المصطلحات التي قد تؤدي إلى التداخل والخلط مع المفاهيم الاخرى التي قد تتقارب معه.

ومن الممكن القول ان مفهوم التحقيق الصحفي لم يسلم من هذا الخلط والتداخل لذلك ارتأينا تحديد مفهوم التحقيق الصحفي التلفزيوني بشكل عام ومن ثم الانتقال إلى توضيح مفهوم التحقيق التلفزيوني الاستقصائي وبعدها عرض مقارنة ما بين التحقيق التقليدي والتحقيق الاستقصائي.

وتنطوي كلمة تحقيق في اللغتين العربية، والإنكليزية على مستويين، الأول يتعلق بالمعنى المجرد أي المعجمي، والثاني اصطلاحي ارتبط بالصحافة المعاصرة وأتخذ شكلا بارزا من اشكال المادة التحريرية، وتشير الدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق" إلى السعي لليقين من الأمور والوقوف على حقيقة الخبر، وهي الدلالة التي تشير إلى تعريب المصطلح REPORAGE بفن التحقيق الصحفي؛ تعريب يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية، في لغتنا العربية وفي اللغات الأوروبية، التي تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريري الذي "يتناول خبرا أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفصيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح"[1]، وتستعمل الإنجليزية مصطلح ريبورتنج reporting للدّلالة على عدة أشكال صحفية تشمل الخبر والتقرير والتحقيق مع إضافة كلمة ثانية لتحديد المعنى مثل deep reporting و interpretative reporting و investigative reporting. فمصطلح ريبورتنج

يدل على عملية جمع الأخبار والمعلومات والوقائع أما المصطلح المرفق فيدلّ على مدى التعمق في عملية جمع المعلومات إذ يمكن أن يقتصر الصحفي على المستوى الوصفي الذي يتمثل في الاقتصار على رواية الأحداث ونقلها كما حصل عليها وهو يعمل على سطح المنجم الاجتماعي كما يمكنه أن يتجاوز هذا المستوى الأول فيترك سطح المنجم للحفر في الطبقات السفلية التي يغطيها سطح الأحداث ليستخرج أخبارا ووقائع تسمح بتجاوز الوصف إلى الكشف والتفسير والإبانة. ومما لاشك فيه ان البون بين مستوى الكلمة ليس شاسعا إذ أن حقق الامر: اثبته وصدقه، وتحقق من الامر: تأكد لديه والحقيقة: الشيء الثابت يقينا وكل هذه المعاني شروط بديهية في التحقيق الصحفي، الذي يسعى إلى الحقيقة وينشد الثابت واليقين تجاه قضية من القضايا التي تهم الرأي العام وشريحة كبيرة من الجمهور[2].

يوجد إجماع بين الباحثين في الشأن الإعلامي على تعريف التحقيق، وتوضيح طبيعته، وتحديد مادته المرتبطة بواقعة، أو ظاهرة، أو مشكلة، أو حدث من خلال تفسير، وتحليل هذا الواقع عبر المعلومات والبيانات، والأرقام المتوافرة، وتشخيص النتائج، ورفع التوصيات والمقترحات لمعالجة هذه الحالة أو تلك. اذ يعرف قاموس المصطلحات الإعلامية التحقيق الصحفي التلفزيوني بأنه يقوم على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه ثم يجمع المادة اللازمة من البيانات والمعلومات والآراء للوصول إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي، وقد يشمل التحقيق على فنون التلفزيون الاخرى كالخبر والحديث والرأي ويستعين بالصور والمقابلات مع شهود عيان وغالباً ما يكشف عن شخصية مخرجها، ولا يتطلب منه التعبير عن سياسة القناة أو المؤسسة ولكن عليه ان لا يتعارض معها أيضاً، ويرتفع التحقيق إلى مرتبة الدراسة والبحث والرجوع إلى المراجع لضمان نجاحه[3].

وهناك تعريفات عديدة وإن اختلفت أشكالها إلا أنها تصب في الاتجاه ذاته: إذ يقول د. جان كرم في كتابه (مدخل إلى لغة الإعلام(ان التحقيق الصحفي بطريقة مبسطة تعني البحث، تحقق الرجل الأمر أي تيقنه. والتحقيق والفحص، والتفتيش والكشف، والاستخبار، والاستقصاء مما يقضي أن التحقيق الصحفي ليس فقط نقلا للوقائع انطلاقًا من حدث أو خبر، بل هو الانطلاق من قضية، أو مشكلة أو معاناة ذات طابع عام وشامل بحثًا عن الأسباب، وكشفًا للخطايا، واستخبارًا عن الأبعاد والنتائج[4].

فيما يعرفه د. فاروق أبو زيد بقوله أن التحقيق الصحفي يقوم على خبر، أو فكرة، أو مشكلة، أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه ثم يقوم بجمع مادة الموضوع بما تتضمن من بيانات، أو معلومات، أو آراء تتعلق به، ثم يزواج بينها للوصول إلى الحل الذي يراه صالحًا لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي بحيث يشرح، ويفسر، ويبحث في الأسباب والعوامل الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر أو القضية أو المشكلة أو الفكرة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق(5).

وقد أكدت هذا المعنى والمضمون د. إجلال خليفة في كتابها (اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي) بقولها إن التحقيق الصحفي هو استطلاع للوقائع والأحداث، ولجميع الأشخاص الذين لهم صلة بهذه الوقائع، والأحداث، ثم الدراسة والتفسير للظروف والملابسات التي تحيط بها، والعوامل المؤثرة فيها، والحكم عليها وتقديم الحلول المناسبة للمشكلة أو الواقعة التي يتناولها المحقق(6).

وهناك من يعرف التحقيق الصحفي بكثير من الوضوح، والدقة قائلا: أنه خبر يتناول مسألة أو قضية أو مشكلة أو ظاهرة في جميع مجالات الحياة، متداولة في أوساط الرأي، أو قادرة على إثارة اهتمامه، أو محدثة خلل ما في المجتمع، أو مخضعة شرائح اجتماعية عريضة لتأثيراتها... إلخ. ويهتم التحقيق بأحداث، وقضايا سالفة أو مستقبلية بعيدة أو قريبة لها ارتكاسات مهمة في حاضر غالبية الناس ويطرح إشكالي الموضوع ثم يفند عناصره بتفاصيل وافية، مقدمًا معلومات من مصادر أولى متنوعة، ومتباينة، موردا خلفيات وملابسات وحيثيات تحيط بمعظم جوانب الموضوع المطروح، مصدرًا في النهاية بعض الأحكام، طارحًا بدائل ومقترحات وحلولا يستند إلى مشاهدات ومصادر أصلية، وأطراف معينة كما يرتكز على وثائق وبيانات وصور... إلخ(7).

ويتضمن مصطلح التحقيق التلفزيوني الكثير من الإيحاءات، فإنها لم تساهم كثيرًا في تقريب ما يعكسه هذا النوع الصحفي، في الكشف عن مضمونه، وهذا ما تؤكده لنا بعض التعاريف التي جاء فيها: أن التحقيق الصحفي عبارة عن أخبار بمفهومها العام، لكنها لا تلتزم بقاعدة المثلث المقلوب، ولا بالأخوات الست، وقد تحتوي أحيانًا على بعضها، والشيء

الأساسي في التحقيق هو الحقائق التي يحتويها الموضوع ومقتضياتها العامة. فهو يبحث عما وراء الاحداث الآنية ويوضح الخلفيات والعلاقات الكامنة والأسباب غير الظاهرة، ويركز على الاجابة على السؤال (لماذا) ولا يكتفي بإجابة أسئلة الخبر الصحفي) من؟) ،)متى؟)،) ماذا؟) ،) أين؟)، وهو أعلى البرامج مهنية وحرفية وأكثرها تكلفة وأعمقها تأثيرا[8].

ويتناول التحقيق التلفزيوني موضوعا أو مشكله مهمة مكانية أو زمانية، أو عن شخصية متميزة أو موضوع طريف، ويشغل هذا الموضوع قطاعات عريضة من المجتمع ويرتبط بحياتهم[9]. فهو يشرح ويفسر ويبحث في الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر أو القضية أو المشكلة أو الفكرة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق[10]، ويهدف تقديم معلومات وآراء متعددة عن الحدث نظرا لأهميته لجمهور المحطة، وغالبا ما يعتمد على المقابلات التلفزيونية مع شخصيات مرتبطة بهذا الحدث، للحصول على أفكارهم وآرائهم، أو عرض معلومات لديهم تفاصيلها، وفي بعض الاحيان القاء الضوء على شخصياتهم.

وهو كفن قد يشتمل على بقية الفنون الصحفية الاخرى كالخبر أو الحديث أو الرأي أو البحث أو الاستفتاء[11]. هو أيضاً برنامج تلفزيوني مسجل بالصوت والصورة يتناول موضوعا أو مشكلة مهمة مكانية أو زمنية... أو عن شخصية متميزة أو موضوع طريف.

ويشغل هذا الموضوع قطاعات عريضة من المجتمع ويرتبط بحياتهم، هذه التحقيقات، تحتاج من المعد إلى ذكاء في الالتقاط والتناول خصوصا في تحقيق المواد أو المواقف الطريفة التي تهتم بكل ما هو جديد وغريب وخارق للعادة، وذلك سواء أكان بهدف التسلية أم الترفيه، أم استطلاع رأي الجماهير في قضية أو مشكلة تؤثر على حياتهم في الحاضر أو المستقبل، كذلك لتوسيع مدارك ومعارف الجمهور من المشاهدين.

ومن خلال عرضنا لعدد من التعريفات التي تناولت مفهوم التحقيق الصحفي التلفزيوني يمكننا القول ان التحقيق التلفزيوني هو معالجة صحافية تلفزيونية لحدث مرتبط بزمن محدد أو قضية عامة مهمة لشريحة واسعة في المجتمع سياسية كانت، أم اجتماعية، أو خدمية، أو اقتصادية...إلخ، وتتطلب هذه المعالجة عمل ميداني تجمع فيه معلومات وتصريحات لمجموعة من الشخصيات والأطراف الفاعلة ذات العلاقة والخبراء، لفهم أسبابها أو إلى

الكشف عن جوانب التي بقيت مخفية أو إلى تفكيك آلياتها وطرق عملها أو إلى رصد تبعاتها وتطوراتها تركز على تحليل هذا الحدث أو الموضوع من حيث خلفيته وأهميته في الحاضر والمستقبل، يسعى الصحفي عن طريق التفكير والتحليل والمعرفة الوثائقية والعمل الميداني لكشف الجوانب الغامضة والمتعلقة بجوهر القضية المطروحة للبحث والتقصي للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح للبحث والتحقيق.

ثانيا: التحقيق التلفزيوني الاستقصائي

التحقيق التلفزيوني الاستقصائي واحد من أهم الفنون الصحفية، فهو يجمع بين عدد من الفنون التحريرية في آن واحد، إذ يجمع بن الخبر والحوار والرأي، وهو من أصعب الفنون التحريرية، يتطلب مقدرة وكفاءة عالية من المحرر، لذلك يعد المحقق أو المحرر الصحافي في هذا القسم من أهم الصحافيين في أية مؤسسة إعلامية، وحتى يكون الصحافي في هذا القسم لابد وأن يكون ذا خبرة ومراس في مجال الصحافة، حيث يكون قد تعلم وعرف كيف يحصل على الاخبار، وكيف يجري الحوارات، وكيف يفسر أو يعلق على ما يقال من أراء.

ويقوم التحقيق على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية، يلتقطها الصحافي فتشكل رأس الخيط وتبدأ المهمة الصعبة،المتمثلة في رصد كل ما له علاقة بالموضوع والبحث عن الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية، التي تكمن وراء الخبر أو القضية أو المشكلة أو الفكرة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق، والربط بين ما يتجمع لديه من آراء ومعلومات واستنتاجات، ليقدمها للمشاهد في شكل صحفي لا هو بالرأي الصرف ولا هو بالخبر المجرد، ويبدأ التحقيق التلفزيوني الاستقصائي من النقطة التي تنتهي عندها القصة الإخبارية، فإذا كان الخبر يجيب بصورة مختصرة ومبسطة على الأسئلة الستة المعروفة، فإن التحقيق الصحافي يستقصي ما وراء الخبر أو الحدث ليقدم أبعاده وتجلياته وانعكاساته من خلال الاستقصاء والبحث والتحليل والتفسير. كما ويؤدي وظائف الإعلام الأساسية، من حيث الإخبار، حيث يقدم الحقائق والمعلومات الجديدة للجمهور ويقوم بتفسير الأخبار والأحداث وشرحها والكشف عن أبعادها الاجتماعية والاقتصادية ودلالتها السياسية.ومن حيث مهمة التوجيه والإرشاد فإن التحقيق يثير قضايا المجتمع ومشكلاته.وإلى جانب هذه الوظائف فإن التحقيق غالبا ما يبحث عن الجوانب الطريفة والمسلية في الحياة.(12)

إن التحقيق الاستقصائي التلفزيوني هو عمل علمي مهني يتطلب ساعات وأيام وأسابيع طويلة من البحث والاستقصاء مستخدما تقنيات الاستكشاف والتحليل بعلمية ومهنية عالية إلى البحث عبر الكمبيوتر والانترنت والعمل الدقيق من خلال آليات علمية وتقنية مدروسة للكشف عن المستور واستعراض الحقائق لتوعية الجمهور بهدف الخدمة العامة للمجتمع.

ويوصف البعض التحقيق التلفزيوني الاستقصائي، بأنه تقرير عن حدث ما، وذلك لأنه يحاول وصف الحادث بطريقة يظن المشاهد معها أن الصحافي قد عاش تلك الأحداث، أو أنه استطلاع للوقائع والأحداث ولجميع الأشخاص الذين لهم صلة بهذه الوقائع والأحداث، والعوامل المؤثرة فيها، والحكم عليها، وتقديم الحلول المناسبة للمشكلة أو الواقعة التي يتناولها التحقيق. وتستعمل أيضاً كلمة تحقيق الاستقصائي احيانا بمعنى تقرير استطلاعي أو حتى استفتاء صحافي.

وإذا كان التحقيق التلفزيوني الاستقصائي هو عملية تنقيب في ابعاد الموضوع الذي يجمع بين الأهمية والغرابة والإثارة، بما يكشف عن الحقائق المخفية، سواء كان هذا الاخفاء قد تم بقصد أو كان عن غير قصد، مع استخدام الفنون الإعلامية والتلفزيونية كافة من الخبر والحديث والحوار والمادة الفلمية والصور الثابتة والرسوم البيانية، وغيرها من المواد التي تكشف جوانب الموضوع وتجذب انتباه الجمهور أو الرأي العام حول القضية الموضوع الذي يتناوله التحقيق[13].

أما ميشيل خياط فيعرف التحقيق التلفزيوني الاستقصائي بشيء من التفصيل بقوله (أنه أحد أهم الأنواع الصحفية وهو عمل تأليفي رغم اعتماده الكبير على التحليل الدقيق لمشكلة كبيرة، يرسم ملامحها عبر إفادات الناس ويستوضح أسبابها منهم، ومن المختصين والفنيين والمسؤولين. سلاحه السؤال الجريء بلا خوف أو كسل، أو تهافت للانتهاء بسرعة من هذا العمل الصحفي الذي يحتاج إلى الدأب والصبر إذ يفسح المجال أمام الرأي الآخر المناقض والمعارض للمسوغات التي قدمت على أنها السبب أو النتيجة، مجسدًا بذلك التناقضات الداخلية أو الخارجية في الحياة، والصراع بين العوامل الذاتية والموضوعية معها من جهة وفيما بينها من جهة ثانية. وفي ذاتها ثالثًا الأمر الذي يقود الشبكة والمعطيات التي تصوغ عقدة التحقيق الصحفي، الذي يعتمد في نجاحه على إتقان عقدة العقد أو حبك الحبكة تمامًا

كما يفعل الأدباء في القصص والروايات ثم يبدأ المحقق الصحفي بتفكيك العقدة من خلال تقديم حلول للمشكلة، لا تهمل إيضاح الخسائر الناجمة عن المشكلة ذاتها، والأرباح التي يأخذها الحل المقترح[14].

إن التحقيق الاستقصائي التلفزيوني هو عملية تحري وبحث واستقصاء، في واقعة أو مشكلة أو قضية أو حادثة ومعرفة الأسباب والدوافع الخاصة بها، والاستماع إلى كل الآراء في هذه الواقعة أو الحادثه أو القضية، محور التحقيق قد يصل إلى الحكم في النهاية أو يكتفي بعرض جوانب هذه الواقعة أو الحادثة فقط، وهو كفن قد يشتمل على بقية الفنون الصحفية الاخرى كالخبر أو الحديث أو الرأي أو الاستفتاء أو البحث، ويهدف إلى تقديم معلومات وآراء متعددة عن الحدث نظراً لأهميته لجمهور المحطة وغالبا ما يعتمد على المقابلات التلفزيونية مع شخصيات مرتبطة بهذا الحدث.

ويؤدي التحقيق الاستقصائي وظائف اخبارية، وتوجيهية وكذلك نفسية وترفيهية، ويرتبط التحقيق بشخصية محرره، لذا يجب على المحقق الصحفي أن يكون مثقفًا ملمّا، واسع الاطلاع ومهنيًا،لأنه يصنع بناء متكامل الجوانب يعبر فيه عن إمكانياته ومهاراته، كما ويحتاج هذا النوع إلى امكانات تقنية ومهارات عالية لتقديمه بشكل جيد ومقنع.

ثالثاً: خصائص التحقيق التلفزيوني الاستقصائي

ويشكل عام رغم أن هناك شبه اتفاق على عدم وجود تعريف موحد للتحقيق الاستقصائي التلفزيوني، إلا أنه هناك إجماع على بعض الخصائص الملامح العامة التي يتميز بها ومنها:

1- البحث في العمق في المسائل الخطيرة والتي تؤثر على المصلحة العامة، لذا يتطلب تكثيف المعلومات وتبسيطها وتوضيحها

2- يحتوي التحقيق على المادة المرئية بأشكالها المختلفة من الحديث المباشر والحوار وقد يحتوي على الموسيقى وكل ما من شأنه جذب انتباه الجمهور وتوصيل الرسالة بشكل يجعل المشاهد يقتنع بها ويتفاعل معها.

3- إنها عملية طويلة تحتاج للتخطيط والبحث والتنقيب في المعلومات والتأكد من صحتها عن طريق المصادر المختلفة، وقد تأخذ المؤسسة الصحفية على عاتقها البحث والكشف

عن بعض الحقائق السرية أو المخفية والتي يعتقد أن هناك أناس لا يريدون الكشف عنها.

4- يستخدم مهارات البحث العلمي والاستجواب مع المصادر المختلفة، كمحاولة للوصول إلى عُمق الحقيقة عن طريق الاستبيانات أو دراسة البيانات المتوفرة أو التحقيقات الجنائية أو الحسابية، ابتغاء تجلية حقيقتها أمام الرأي العام وصناع القرار، أيا كانت هذه الحقيقة، وأيًا كان مَن يوافقها أو يجافيها، لان من أولى مهام التحقيق الاستقصائي هو الكشف عن الحقائق المستورة والمخفية، وإظهارها ونقلها للجمهور.

5- عادة ما يكون هناك آلية معينة في نشر المعلومات وتوضيحها للجمهور، ان استخدام الكاميرا لرواية قصة خبرية يتطلب تفكيرا وتدبرا وتحضيرا وإتقانا للتكنيك ومثابرة، كما يتطلب المزج الفني بين النص المكتوب والمادة المرئية والتسجيلات الصوتية.اذ بإمكان أي شخص أن يتعلم بسرعة كيف يصوب كاميرا بسيطة ليسجل الصورة والصوت.

رابعاً : وظائف التحقيق التلفزيوني الاستقصائي

إن الحديث عن وظائف التلفزيون ينطلق من أهمية الدور الذي يقوم به،فدوره لم يعد يقتصر على نقل الخبر وتسجيل الأحداث وتدوين الوقائع، بل أصبح يلعب دورا مؤثرا للغاية فالتوعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي صقل المشاعر القومية والإنسانية وجعلها تصب في قناة واحدة لخلق المواطن الواعي المتكامل، ويصعب تحديد الخدمة أو مجموع الخدمات التي يقدمها التلفزيون إلى الجمهور، فالوظائف الاجتماعية للتلفزيون متعددة، ومما يزيد من صعوبة تحديدها هو تنوع محتوياته وتشابكها وتعدد فئات مشاهديه.

وقد تجاوز التلفزيون كغيره من وسائل الإعلام الجماهيرية في أيامنا هذه بما أتيح له من إمكانات تقنية متطورة وبما اكتسبته من أهمية في حياة الناس ما تعارف عليه باحثو الاتصال من وظائف تقليدية لتلك الوسائل، وقد جاء أول تعريف لرسالة الإذاعة، ضمن قانون الراديو الاتحادي لعام 1927، على أنها.. خدمة "مصالح وحاجات ومتطلبات الجمهور". ولا يزال هذا التعريف الضمني لرسالة الإذاعة يعد أحد المتطلبات الأساسية لمنح ترخيص لمحطة بث إذاعي أو تلفزيوني في الولايات المتحدة، وبالنسبة لمحطات التلفزيون، فإن إعداد وتقديم نشرات الأخبار جزء أساسي من تلك الرسالة التي تنظر إلى البث على أنه خدمة. وتخاطب

نشرات أخبار التلفزيون جمهورا يطلب مجموعة من الأخبار والمعلومات المختلفة، المتوازنة والشاملة.. هذا هو جمهور مشاهديكم. وكصحافيين تلفزيونيين فإن هدفكم هو تزويد المشاهدين بمعلومات مفيدة ومترابطة.. يصبحوا مطلعين على ما يجري[15].

إن المفاهيم المجردة صعبة على التلفزيون لأن هناك تشكيلة واسعة من الرموز التي تمثل كل فكرة من الأفكار. وهناك فروق دقيقة بين هذه الرموز، فضلا عن وجود تحد آخر قد يواجهك؛ وهو أنك لا تعثر أحيانا على الصور التي تريدها بالضبط لرواية قصتك.. فعندما نشاهد التلفزيون يتم تهميش وإخماد الصور الذهنية التي نصنعها نحن، وتصبح الصورة التي على الشاشة هي الصورة الذهنية التي ترادف الموضوع المطروح على بساط البحث[16].

إن ما يقوم به الصحفي من بحث وتحري لبيان وقائع حادث معين رغبة منه لنقلها للجمهور في صور مطابقة للواقع، يعد هذا النشاط من أبرز وظائف التحقيق الاستقصائي التلفزيوني والمتمثل بتقديم الحقائق وإعلام الجمهور وتقديم المعلومات والمعطيات والآراء والمواقف والتحليلات التي تعبر عنها الأطراف المعنية بالموضوع، اذن فهو يؤدي وظيفة الإعلام من ناحية، ويؤدي وظيفة تفسيرية للأنباء، من ناحية اخرى فالتحقيق يقوم بتفسير الاخبار والأحداث وشرحها وذلك عن طريق الكشف عن ابعادها الاجتماعية والاقتصادية ودلالاتها السياسية وأيضاً يقوم بوظيفة التوجيه والإرشاد وذلك بتصديه لقضايا المجتمع ومشكلاته وإيجاد الحلول لها، كما يقوم بوظيفة التسلية والإمتاع مع وظيفة الاعلان والترويج.

ويمكن القول ان التحقيق التلفزيوني ومن خلال الموضوع والمكان والأشخاص المشاركين والوصف والمعلومات الخلفية للحدث يمكن ان يقوم وبشكل عميق بإعادة النظر في ركام الأخبار ذات الاتجاه الواحد، وذلك ليس عملا بمبدأ "خالف تعرف"، ولكن للعمل بعقلية نقدية للكشف عن خفايا القضايا المطروحة من خلال جمع المعلومات الدقيقة عنها، حتى ولو كانت هذه المعلومات تكشف تجاوزات أو جرائم ارتكبها من هم فى السلطة، ومن هذا المنظور تعتبر تقارير تقصى الحقائق من أهم المساهمات والوظائف التى تقدمها الاستقصائية لتثبيت الديمقراطية فهى ترتبط بمنطق الضوابط والتوازنات فى الأنظمة الديمقراطية، وتوفر آلية ثمينة لمراقبة أداء المؤسسات الديمقراطية التى تضم حسب المفهوم العام، الهيئات الحكومية،

والمنظمات المدنية، والشركات المملوكة من القطاع العام، كما تساهم الصحافة الاستقصائية أيضاً فى تثبيت الديمقراطية من خلال زيادة إطلاع المواطنين ومعرفتهم فالمعلومات مصدر حيوى لتذكير الشعب اليقظ بأنه يملك سلطة محاسبة الحكومة من خلال الانتخابات والمشاركة، كما تحتفظ الصحافة الاستقصائية بسلطة تحديد برنامج عمل لها لتذكير المواطنين والشخصيات السياسية بوجود مسائل عليه معالجته(17).

ولتوضيح دور التحقيقات الاستقصائية فى تثبيت الديمقراطية يتطلب الوقوف على خمسة أدوار تؤثر من خلالها على الحياة السياسية والديمقراطية بشكل عام، وضعها الباحثون باستخدام تشبيهات واستعارات مبنية على أساس العلاقة بين الإنسان والكلب لتوضيح هذه الأدوار والوظائف وهى(18):

وظيفة المراقبة watching

وتعد هذه الوظيفة امتداداً لمفهوم السلطة الرابعة Fourth estate، أي أن الصحافة تسعى لأن تكون رقيباً على كل ما يدور في المجتمع من مدخلات ومخرجات، بما في ذلك مراقبة المؤسسات الاجتماعية والسياسية النافذة في المجتمع، وهنا يوصف دور الصحافة بأنه مثل دور الحارس اليقظ الذي يعمل كحارس ورقيب ضد إساءات استخدام السلطة الرسمية، وكمراقب لمصالح المجتمع وحمايته من الفساد والانحراف، فالصحافة تعمل كرقيب للسلطة من خلال مراقبة المؤسسات والقضايا والأحداث والآراء، وتسليط الضوء على بعضها، وتقويم أداء الحكومة، وترويج مبدأ الحق في المعرفة، وحماية المجتمع من تسلط النظام السياسي، وهذا الدور الواقي يتم بشكل أفضل بواسطة صحافة مستقلة تحكمها اهتماماتها ومعاييرها الخاصة.

وظيفة الحراسة Guard dog

وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بحراسة فقط للمؤسسات النافذة في المجتمع، وتكون أشد الحرص على متابعة العناصر الطفيلية التي تدخل إلى المجتمع وتعكر صفوه ونقاء العلاقة القائمة.

وظيفة المرشد Gulde dog

وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بدور المرشد أو الدليل الذي يمد المواطنين بمجموعة من المعلومات عن السياسات، وصانعي السياسة، والتي يحتاجونها لصنع القرارات، ولتقييم قادتهم.

وظيفة الأليف lapdog

أو الناقل وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة ترتمي في حضن المؤسسات الاجتماعية والسياسية دون أن تكون أداة مستقلة، ودون إبداء أي مساءلة للسلطة، ودون الالتفات إلى الآراء والاتجاهات الأخرى في المجتمع، خاصة التي لا تتفق مع مصالح المؤسسات النافذة في المجتمع، فهي تكون بمثابة أداة ناقلة لما يريد النظام السياسي أن تعرفه الجماهير، وبالطريقة التي يريدونها بدون توجيه أية انتقادات للمؤسسات القائمة.

وظيفة القائد lead dog

وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بدور وضع الأجندة Agenda setting للقضايا المطروحة على الساحة السياسية، حيث تعمل الصحافة كمصفاة لهذه الحلول وترتيبها حسب الأولويات والأهمية قبل تقديمها للجمهور، كما تحث السياسيين على متابعة هذه القضايا نظراً لأهميتها في سياق الشأن العام، وبذلك تلعب دور الكلب القائد في الطريقة المحددة لإعطاء تغطية أكبر لأحد القضايا أكثر من الأنواع الأخرى.

إن تحقيق هذه الوظائف يرتبط بقدرة الصحفيين في التعامل مع المعلومات المتاحة وبالتمسك بمبادئ أخلاقية والتمكن من أساسيات المهنة الصحفية، إذ يمكن أن يؤدي تقديم الاتهامات غير مدعومة بأدلة، إلى تدمير سمعة الأفراد أو المؤسسات. كما أنه لا يمكن القيام بهذا الدور في غياب حرية الوصول إلى المعلومات وغياب الحماية التي يكفلها القانون للصحافيين مثل تمتعهم بحق عدم الإفشاء عن هوية المصادر التي تمدهم بالمعلومات. فرغم أن جل الدساتير في الدول العربية تنص على أن حرية الرأي والتعبير مكفولة، إلا أنها تحيل تنظيم تلك الحرية إلى القانون الذي غالبا ما ينسف الحرية من أساسها. فهناك قوانين قمعية وجائرة تعرّض الصحافيين للسجن مما يخلق جوا من الخوف لا يشجع على ممارسة الاستقصاء الصحفي وعلى كشف الفساد.

خامساً: الأهمية الاخبارية للتحقيقات التلفزيونية الاستقصائية:

الصحافة الاستقصائية التي تتركز بدرجة كبيرة في التحقيقات وتعتمد على المعلومة بشكل اساسي، اي تعتمد على المواضيع والقضايا أو القصص الاخبارية التي تشكل اهمية خاصة للرأي العام، فإذا أذيع خبرا عن فوز كتلة برلمانية معينة على سبيل المثال، فإن الصحافي بحدسه ومعلوماته واتصالاته ومصادره الخاصة قد يجد تزويرا في تلك الانتخابات وبالتالي يبدأ مهمته في انتاج تحقيقا استقصائيا، يبرهن به وبالأدلة والوثائق ان هذا الفوز جاء عن طريق التزوير، كما ان التحقيق الاستقصائي يمكن ان يتناول أحد الموضوعات أو القضايا المهمة رغم انها وقعت منذ سنوات، فقد يكون احد الرؤساء أو الملوك قد توفي منذ سنين، ثم يأتي أحد الصحافيين ليثبت لنا بالدليل والبرهان أنه تم اغتياله، ولعل أقرب مثال يمكن الاستشهاد به (البرنامج الوثائقي عن موت عرفات الذي عرضته قناة الجزيرة)، هو مرشح لأن يبني سلسلة من الأحداث الكبرى في الشأن الفلسطيني والدولي. حيث تشكلت لجان للتحقيق في هذا الموضوع، تسعى في جانب منها إلى أخذ عينات من رفات الرئيس ياسر عرفات للتأكد من وجود مادة البولونيوم في جسمه.. وفي حالة ثبوت ذلك سيكون للقضية خطان سياسي وجنائي تسيران فيه: أولاً البحث في الدور الإسرائيلي المؤكد تورطه في هذه القضية، ولكن تستطيع السلطة الفلسطينية أن تصعد الموضوع إلى منظمات سياسية وحقوقية وقضائية في العالم. أما الخط الثاني فهو عنصر الخيانة داخل الشريحة التي كانت تحيط بالرئيس ياسر عرفات خلال فترة إقامته الأخيرة في رام الله. وهنا تتحول القضية إلى جانب جنائي حيث ستنصرف التحقيقات إلى شخص أو أكثرهم وراء حقن الرئيس أو تسميم الرئيس في غذائه.. وكل هذه التحقيقات سيكون مصدرها هو التحقيق الذي بثته قناة الجزيرة[19].

إن الاخبار تتناول الاحداث في اطار الزمان والمكان والأشخاص بالصفة الانية وليس بالصفة المتعمقة التي تكشف الحقائق الخفية أو المستترة، ومن هنا يأتي التحقيق الاستقصائي ليقدم الحدث بصفة متعمقة ويجيب عن الأسباب الكامنة وراء الحدث، وما يرتبط به من عناصر نوعية، فالتحقيق الاستقصائي يقوم بما لا يمكن ان يقوم به الخبر أو التحقيق العادي، فإذا كانت الاخبار تنشر ما هو واضح أو ظاهر هنا والآن فإن التحقيقات الاستقصائية تتجاوز ذلك إلى ما يكمن خلف ما هو ظاهر من احداث ووقائع، مع تعزيز المادة بوقائع لم تكن معروفة وتفسيرات جديدة عبر التسجيلات الصوتية والمرئية والوثائق والبيانات سواء

كانت حديثة أو قديمة[20]. ويرى الصحفى الإنجليزى نيك جوردون أن التحقيق الاستقصائي الجيد هو الذى يفرض عناوينه على عناوين الصحف الأخرى صباح اليوم التالى.

سادساً: الفرق بين التحقيق التلفزيوني التقليدي والاستقصائي:

يتفق العديد من الباحثين في المجال الإعلامي على وجود فروقات بين التحقيق التقليدي والتحقيق الاستقصائي، من حيث كيفية التعامل مع المعلومة، أو العلاقة بالمصدر أو من حيث النتائج فإن تحقيقات التقليدية الغرض منها فقط أخبار الجمهور بشكل لا يتطلب الانخراط والحماس الشخصي، ويسعى فيه الصحافي أن يكون موضوعيا دون التحيز لأي طرف في القصة التي ليس لها نهاية لان الأخبار مستمرة وقد تكون خاطئة لكنها غير مهمة، بينما في التحقيقات الاستقصائية فإن القبول بالعالم كما هو أمر مرفوض لان الهدف من القصة هو اختراق وضع معين وتعريته من أجل إصلاح الخطأ وهذا يتطلب انخراطا وحماسا شخصيا يسعى فيه الصحافي للعدالة والدقة في نقل الحقائق يتوخى فيها الدرامية المؤثرة، بيد أن الأخطاء فيها سواء كانت رسمية أم لا يمكن أن تحطم مصداقية الإعلامي، ربما تكون هذه المتغيرات الجوهرية في الفروق ما بين النوعين وهذه النقاط بالضرورة تحتاج لتوسّع أكثر من أجل التمييز والفصل ما بين النوعين، وفي مقارنة اجرها الدكتور عيسى عبد الباقي، حدد جملة من الفروقات بين التحقيق التقليدي والتحقيق الاستقصائي يمكن تلخيصها كالآتي[21]:

أ- التحقيق التقليدي:

1- تجمع المعلومات وترسل وفق إيقاع ثابت (يوميا، اسبوعيا، أو شهريا)

2- يكتمل البحث بسرعة ولا يتم القيام بأي بحث بعد اكتمال التحقيق أو القصة.

3- تقوم القصة على الحد الادنى الضروري من المعلومات ويمكن ان تكون قصيرة جدا.

4- تحل تصريحات المصادر محل الوثائق.

5- علاقات الثقة في المصدر مفترضة ولا يجري التحقق منها.

6- تقدم المصادر الرسمية المعلومات للصحافي مجانا لتعزز دورها وتروج لأهدافها.

7- لا مجال امام الصحافي إلا قبول الرواية الرسمية للحدث رغم انه قد يعارضها بتعليقات أو بيانات يحصل عليها من مصادر اخرى.

8- لا يتطلب التحقيق التقليدي حماسا شخصيا من الإعلامي المكلف بأجراء التحقيق

9- ينظر إلى التحقيق الصحافي كانعكاس للعالم الذي يتم قبوله كما هو، ولا يأمل الإعلامي في الوصول إلى نتائج أبعد من مجرد إخبار الجمهور بموضوعه.

10- يسعى الإعلامي لأن يكون موضوعيًا قدر المستطاع دون تحيُّز لأى طرف في القصة أو حكم عليه.

11- البنية الدرامية ليست مهمة جدًا في التحقيق الصحفي التقليدي، وليس للقصة نهاية، لأن الأخبار مستمرة.

12- قد يرتكب الإعلامي أخطاءً، ولكنها حتمية وعادة ليست مهمة.

ب- التحقيق الاستقصائي

1- لا يمكن نشر المعلومات إلا إذا تم التأكد من ترابطها واكتمالها.

2- يستمر البحث إلى أن يتم التثبت من القصة، وقد يستمر بعد نشرها.

3- تقوم القصة على الحد الأقصى من المعلومات المَحصَّلة، ويمكن أن تكون طويلة جداً

4- يتطلب التحقيق الصحافي الاستقصائي توثيقاً لدعم تصريحات المصادر خوفا من إنكارها.

5- لا يمكن افتراض الثقة بالمصدر؛ فقد يُقدم المصدر معلومات مزيفة؛ ولا تستطيع استخدام أية معلومات دون التحقق منها.

6- تُخفى المعلومات الرسمية عن الإعلامي، لأن كشفها قد يعرض مصالح السلطات أو المؤسسات للخطر.

7- يتحدى الإعلامي بصراحة الرواية الرسمية للقصة أو ينكرها، بناء على معلومات يستقيها من مصادر مستقلة

8- يرفض الإعلامي قبول العالم كما هو، فهدف القصة اختراق وضع معين أو تعريته كي يصلحه، أو يدينه، أو في حالات معينة، تقديم مثال لطريق أفضل دون انخراط شخصي وحماس من الإعلامي. لن تكتمل القصة أبدًا.

9- تعرض الأخطاءُ الإعلامي لجزاءات رسمية أو غير رسمية يمكن أن تُحطم مصداقية الإعلامي والوسيلة الإعلامية.

10- يسعى الإعلامي لأن يكون عادلاً ومدققًا في حقائق القصة، وبناء على ذلك قد يحدد ضحاياها وأبطالها ومذنبيها، وقد يقدم الإعلامي أيضاً حكمًا على القصة أو يصدر قرارًا بشأنها

11- بنية القصة الدرامية ضرورية لتأثيرها وتقود إلى استنتاج يقدّمه الإعلامي أو المصدر.

باختصار، يمكن القول أن الإعلاميين قد يقومون بكلا النوعين: التغطية اليومية التقليدية والعمل الاستقصائي في مجرى مهنتهم، فإن النوعين يشملان أحياناً مهارات وعادات عمل وعمليات وأهدافا مختلفة جداً. وهذه الاختلافات ليست تعارضات متناقضة. على العكس من ذلك، حين ينسجم عمل الصحافي بشكل أكبر مع الجانب الاول فذلك يعني أنه يقوم بتغطية تقليدية؛ وحين ينتقل عمله ويتوافق مع الجانب الثاني، يبدأ الإعلامي بالتصرف بأسلوب استقصائي.

هوامش الفصل الثاني

1- عبد العزيز شرف،الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص311- 312.

2- د. نبيل حداد، فن الكتابة الصحفية، أربد، 2002، ص198.

3- محمد فريد عزت، القاموس للمصطلحات الإعلامية، القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص486-487.

4- د. جان كرم، مدخل إلى لغة الإعلام، بيروت، 1986، ص61-62.

5- د. فاروق ابو زيد، فن الكتابة الصحفية، القاهرة، 1985، ص93.

6- د. إجلال خليفة، اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، القاهرة، 1972، ص65.

7- د. فريال مهنا، نحو بلاغة إعلامية معاصرة، دمشق، 2003، ص162.

8- عبد الرحمن فهد الشميمري، التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام، الرياض،1431، ص224.

9- د. سليم عبد النبي، الإعلام التلفزيوني، دار اسامه، الاردن، عمان، 201، ص196.

10- Wolfe. Tom:(The New Journalism (Pan Books Lid) London 1975, pp. 15-29)

11- د. ماجي الحلواني حسين. د. محمد مهني. مقدمه في البرامج الاذاعية والسمعبصرية، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح القاهرة، 1999، ص163.

12- احمد سالم ولد البخاري واحمد ولد الشيخ احمد الامين، مصدر سابق، ص10.

13- د. بركات عبد العزيز، المادة الاخبارية في الراديو والتلفزيون، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2013، ص289.

14- مشيل خياط، التحقيق الصحفي والتلفزيوني، دمشق، 2002، ص31.

15- بول ستاينلي، الدليل الميداني المهني لاخبار التلفزيون، ترجمة: عارف أحمد حجاوي، جامعة ميامي؛ معهد علوم الاتصال، 1993،ص7.

16- المصدر نفسة، ص21.

17- عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية – مهنة المتاعب والاخطار، مصدر سابق.

18- المصدر نفسه، ص10.

19- علي بن شويل القرني، الاستقصائية الغائب الحاضر في الإعلام العربي، منتديات ستار تايمز، (2012)، تجده على الرابط: http://www.startimes.com/?t=31036743

20- د. بركات عبد العزيز، مصدر سابق، ص253.

21- عيسى عبد الباقي، الفرق بين الصحافة الاستقصائية والصحافة التقليدية، المركز الصحفي العربي، المحاضرة الرابعة، 2010 تجده على الرابط:

http://www.alsahfe.com/News-697.htm

الفصل الثالث

مراحل إعداد التحقيق التليفزيوني الاستقصائي

يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- مرحلة الفكرة
- مرحلة طرح الفرضيات
- مرحلة التوثيق العام
- مرحلة حصر جوانب الموضوع في زاوية محددة
- مرحلة العمل الميداني
- المراجعة والتقييم
- بناء هيكل التحقيق

مراحل اعداد التحقيق التلفزيوني الاستقصائي

يمر التحقيق التلفزيوني الاستقصائي بعدة مراحل وإجراءات أساسية، وأن مراسلي التحقيقات الاستقصائية غالباً ما يتبعون هذه الخطوات خلال مراحل انجاز التحقيق، ومن أكثر هذه الخطوات أهمية:

أولاً: مرحلة الفكرة

كثيراً ما يسأل الإعلاميون المبتدئون: كيف نختار قصة لنستقصيها؟ فكثيراً ما يجدون صعوبة في العثور على واحدة من تلك القصص. لا يوجد نقص في أفكار القصص في العالم بشكل عام والوطن العربي بشكل خاص، وفي أوقات كهذه، فإن المراسلين ينهكون في تغطية الأخبار العاجلة المتواصلة والتطورات السريعة. ويتم استنفاد طاقة المراسل في ملاحقة تلك القصص يوميا. وعلى نفس القدر من لأهمية، يجب أيضاً الرجوع خطوة إلى الوراء، والتفكير في مشروعات على المدى الطويل، يكون من شانها تجاوز الأخبار اليومية، والغوص فيما وراءها. ويزخر العالم بأفكار للتحقيق في قضايا الخدمة العامة. انظر حولك. ابقى يقظا طوال الوقت. ما الذي يقوله السياسيون؟ ما هي المشكلات التي يواجهها الناس؟ ما هي شكواهم؟ أيضاً استمر في مراقبة وسائل الإعلام. فبشكل عام، من الأفكار الجيدة مراقبة قطاع إعلامي معين، كي تستطيع البدء بتحديد أنماطه، فتدرك، بذلك، متى يحدث أمرٌ غير عادي. كذلك بريد القراء المنشور وغير المنشور منجم من المواضيع التي تنتظر من ينجزها. وتتمثل طريقة أخرى في انتباهك لما يتغير في بيئتك، وأن لا تعتبر التغير أمراً عادياً. بدأ

الإعلامي البلجيكي كريس دو ستوب Stoop Chris de استقصاء معلماً "حول إلا أجز بالنساء بعد أن لاحظ أن العاهرات البلجيكيات في حي عبرهُ وهو في طريقه إلى عمله قد أفسح المجال لعاهرات أجنبيات"، وتساءل لماذا؟ وتتمثل طريقة ثالثة بالاستماع إلى شكاوى الناس.

كيفية العثور على أفكار للتحقيقات الاستقصائية

وإليك بعض النصائح عن كيفية العثور على أفكار للتحقيقات الاستقصائية:

- **تنمية المصادر**

إن العثور على مصادر جيدة وتنميتها والحفاظ عليها أمر في غاية الأهمية والمصادر التي اكتسبت ثقتك فيما مضى لا تقدر بثمن. سوف تجد دائماً أناسا ترفدك بالمعلومات المفيدة والأدلة الواردة، فإن كل شخص تتعرف عليه هو مصدر، أن يكون لديك مصادر تحتل مراكز مرموقة هو بلا شك ميزة عظيمة، إلا أن بعض المعلومات الأكثر قيمة والإيحاءات بقصة اخبارية قد تأتي من مصادر من مراكز أدنى شأناً تتمتع بحرية التحدث ولا تملك الكثير لكي تخاف من أن تفقده. وهناك عدد من النقاط التي تساعدك في عملية تنمية المصادر ومنها:

1- **اعرف مصادرك**: تحدث إليهم عن أشياء ليست ذات صلة بتغطيتك الاخبارية استكشف حياتهم وابحث عن شيء ما تشاركهم فيه الحديث مثل، فريق كرة القدم المفضَّل أو إحدى الهوايات أو الأطفال أو الإجازات.

2- **كن على اتصال دائم**: اتصل بهم من وقت لآخر؛ حتى لو لم يكن هناك ما تحتاجه منهم.

3- **لا تكذب أبداً على مصادرك**: اشعرهم بأنك تتوقع منهم نفس الشيء. أعطهم الفرصة ليتحدثوا إليك عن مخاوفهم وهمومهم وهذا من شأنه أن يقوي علاقتك بهم، ويساعدك في فهم مواقفهم.

4- **قم دائماً بإجراء بحث عن الخلفية التاريخية لمصادرك**: اطلب منهم أن يخبروك بأي شيء لا تعرفه اذ يمكن استخدامه في زعزعة مصداقيتهم بعد نشر تقريرك أو إذاعته.

5- **تحقق من معلوماتهم**: استمر في طرح السؤال التالي: كيف تعرف ذلك؟ أحياناً تخلط المصادر الحقائق التي تعرفها بافتراضات والبعض قد يبالغ أو يروي قصصا من نسيج

خياله. غالباً ما تحمل المصادر أجندات أنت من يتحمل مسئولية التحقق من صحة تصريحاتهم.

6- **قم بأفضل ما في وسعك لإقناع مصادرك بالإفصاح عن هويتهم:** في حالة رفضهم، تأكد من أن الأسباب التي يبدونها مقنعة بشكل كاف. بالرغم من تفاوت الآراء حول استخدام مصادر مجهولة الاسم، إلا انها تكون ضرورية في بعض الأحيان خصوصا في صحافة الخدمة العامة، حيث تكشف التحقيقات الصحفية في أغلب الأحيان معلومات حساسة.

7- **بعد نشر أو بث التحقيق الصحفي، اتصل بجميع مصادرك:** والأشخاص الذين أجريت تحقيقاً معهم، للتحدث معهم بشأنها، إنها طريقة عظيمة لتنمية المصادر وبناء الاحترام، حتى بين هؤلاء الذين يزعجهم تحقيقك.

وأخيراً، لا تبحث فقط عن أفعالٍ خاطئة. فكثيرا ما يكون أكثر صعوبة أن تقوم بتغطية أفضل حول شيء يجري بشكل صحيح – كفهم موهبة جديدة، أو مشروع تطوير حقق أهدافه، أو شركة تخلق ثروة ووظائف وتخدم المجتمع.

- **معلومات من مصادر مجهولة**

يوفر الإنترنت للناس طريقة سهلة لإرسال معلومات مفيدة من مصادر مجهولة، حاول أن تشتمل مقالاتك على بريد إلكتروني خاص بك وأن يكون مرئياً في أعلى المقالات أو أسفلها أو أن يكون من السهل الوصول إليه على الموقع الإلكتروني للمؤسسة الإعلامية التي تعمل لديها سوف ييسر ذلك على الناس من الوصول إليك بالمعلومات. يمكنك أيضاً السؤال عن معلومات مفيدة من خلال الشبكات الاجتماعية مثل تويتر وفيس بوك.

- **متابعة القصص الاخبارية الرئيسية**

اطرح الأسئلة التي لا يسألها المراسلون العاديون عند تغطية المواضيع الكبيرة. قم بتحليل التطورات أثناء أحد الاحتجاجات. حاول البحث عن زوايا مختلفة. لماذا استغرق رجال الإطفاء وقتا طويلا للوصول إلى الحريق؟ لماذا لم تعمل خراطيم إطفاء الحريق جيداً؟ هل تعاني جميع محطات إطفاء الحريق بالمدينة من هذه المشكلات؟غالباً ما تكون ملاحظاتك وغرائزك هي المفتاح إذا كانت لديك فكرة ما لتحقيق صحفي، قم بإجراء بحث للتأكد من

صلاحيتها، لكن كن جاهزاً للتخلي عنها إذا كانت نتائجك لا تدعم فرضيتك الأولية. انظر فيما إذا كانت المؤسسات أو الموضوعات التالية تستحق إجراء تحقيق حولها في منطقتك: لا: نظام الرعاية الصحية، الصناعات الغذائية، المنظمات الخيرية، الشرطة، المحاكم، الموظفين العموميين، الانتخابات، البرلمان، البنية التحتية والمشروعات الحكومية الأخرى، سوء استعمال الصناديق العامة، الصراعات الهامة، لأمن العام، البورصة، حماية المستهلك، الفساد، محاباة الأقارب، انتهاكات حقوق الإنسان، السجون، البيئة، أو عمالة الأطفال.

ثانيا: مرحلة طرح الفرضيات

للفرضية أثر نفسي يجعلك أكثر حساسية واستشعاراً للمادة، بحيث تستطيع أن تسأل تلك الأسئلة بطريقة واضحة، حيث تزيد الفرضية فُرصك في اكتشاف أسرار، إن كثيراً مما ندعوه «أسراراً» هو، بكل بساطة، حقائق لم يسأل أحدٌ عنها أبداً. فكما قال المُستقصي الفرنسي إدوي بلينل Edwy Plenel، "إذا أردت العثور على شيء، عليك البحث عنه"، ان تحقيقاً خُطِّط له بشكل سيء وسوف يصرف مالاً ووقتا لنتيجة مشكوك فيها، لذا فإن استخدام اسلوب طرح الفرضية لتستقصيها يمنح عملك الكثير من المزايا ومنها:

1- يمنحكَ أسلوب الفرضية شيئاً لتتحقق منه، بدلاً من محاولة كشف سرٍ ما. الناس لا يكشفون أسرارهم بلا سبب وجيه، وهم أكثر استعداداً لتأكيد المعلومات التي بحوزتك لأن الناس يكرهون الكذب. فالفرضية تمكنك من أن تسألَ سؤالا محددا لكي تؤكدَ شيئا ما. وهي تضعكَ أيضاً في موقف المنفتح على اكتشاف وجود أكثر مما هو موجود في القصة التي اعتقدت أنه موجود فيها في البداية، لأنك مستعدٌّ لقبول وجود حقائق أبعد مما ظننت أنها موجودة عندما بدأت العمل الاستقصائي

2- الفرضية تجعل إدارة مشروعك أكثر سهولة. بعد أن تكون قد عرَّفت وحددت ما تبحث عنه، وأين تبدأ البحث عنه، تستطيع تقدير الزمن الذي تتطلبه خطوات الاستقصاء الأوليّة. تلك هي الخطوة الأولى للتعامل مع الاستقصاء كمشروع تستطيع إدارته.

3- الفرضيّاتُ أدوات تستطيع استخدامها مراراً وتكراراً. عندما تعمل ضمن طريقة منهجية، ستشعر قطعا أن مهنتك تتغير. وأكثر أهمية من ذلك، ستتغير أنت. فلن تحتاج بعد ذلك شخصاً يقول لك ما عليك فعله. وسوف ترى ما يجب فعله لمواجهة بعض

فوضى ومعاناة هذا العالم، وستكون قادراً على تحقيق نتيجة عبر لفت أنظار الرأي العام والمسؤولين.

4- عملياً، تضمن الفرضية أنك ستسلم قصة، وليس فقط كمية من المعلومات. تذكر أن المحرّرين يريدون ضمان الحصول على قصة لينشروها بعد صرف فترة زمنية محددة واستثمار موارد محددة من خلال عملك الاستقصائي. والفرضيّة تستطيع أن تزيد فرصة الوصول إلى تلك النتيجة بشكل أكبر. إنها تمكنك من توقّع حدٍّ أدنى لعملك وحدٍّ أقصى، وبالمثل توقع الأسوأ.

نسعى إلى الحصول على معلومات من مصادر علنية لتحقق من الفرضيّة.

ما هي أنواع المصادر العلنية؟

في العالم المعاصر، المصادر العلنية لا نهاية لها. وهي تشمل: المعلومات التي نُشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها بحرية. وعادة ما يمكن الوصول إلى هذه المعلومات في مكتبة عامة أو في أرشيف الوسيلة الإعلامية المعنيَّة؟

- الأخبار (الصحف، المجلات، التلفزيون، الراديو، الإنترنت).
- منشورات متخصصة تخص الاتحادات، الأحزاب السياسية، النقابات، إلخ).
- المنشورات الأكاديمية من دراسات وأبحاث.
- وسائل إعلام مشتركة متخصصة (مثل منتديات مستخدمي الإنترنت،المحللين الماليين، نشرات أو مجلات النقابات، مجموعات الاحتجاج، إلخ).

إستراتيجية المصادر العلنية للاستقصاء

ما تعنيه المصادر العلنية لمنهجنا الاستقصائي هو التالي: بدلاً من السعي إلى مصادر تعِدنا بمدخل إلى أسرار، فإننا نستخرج من حقائق متوفرة لنا ما قد يكون سرا. وتبدو العملية كلها كالتالي:

- **نبدأ ببضعة مؤشرات حقائق.**
- **نجعل الحقائق التي لا نعرفها فرضيات.**
- **نسعى إلى تأكيد فرضيتنا من مصادر علنية.**
- **نسأل أشخاصاً يمكنهم إكمال المعلومات التي عثرنا عليها في مصادر علنية.**

ثالثا: مرحلة التوثيق العام

في هذه المرحلة لا تتردد في جمع ملف عام يشمل كل ما يمكن أن تكون له علاقة بالموضوع، وكأنك ستنجز عرضا شاملا عن الموضوع. عليك أن تتحول في أقرب وقت إلى متخصص في الموضوع على بينة بمختلف جوانبه.

ابحث في الصحف والمجلات وفي المواقع الإلكترونية عن مواضيع مماثلة نشرت لا تهمل المجلات الأجنبية حتى وأن كانت المعطيات مختلفة عن مجتمعك لأنك يمكنك أن تقارن والمقارنة منهج يمكن من إنتاج المعرفة كما يمكنك أن تقتبس بعض الأفكار وتختبر مدى صلاحيتها في مجتمعك المحلي، ابحث في المكتبات عن كتب نشرت حول الموضوع أو راجع ما خصصته بعض الموسوعات.

تشبه هذه المرحلة ما يسمى في مجال البحث العلمي بحصر أدبيات الموضوع أي كل ما سبق نشره. لا تتردد في تلخيص ما جمعته من مصادر متنوعة في نص تأليفي يمثل عصارة الملف الوثائقي ويساعدك على وضوح الرؤية.

لا تقتصر على الوثائق وتحدث مع من حولك من الأصدقاء والزملاء والأقارب الذين يمكنهم أن يوفروا لك معلومات أو ملاحظات تفتح في ذهنك أسئلة جديدة أو تجعلك تنتبه إلى جوانب للموضوع لم تفكر فيها. سجل على دفتر ملاحظاتك أو على وريقات مستقلة أفكارك وانطباعاتك وملاحظات ومعلومات من تحدثت معهم حتى وإن بدت لك من أول وهلة سطحية وغير دقيقة...إنها مادة يمكنك أن تنطلق منها وتطورها.

اهمية الوثائق وكيفية الحصول عليها

غالباً ما تكون الوثائق هي الدليل الأكثر مصداقية لدى المراسل،وهي تشكل جزءًا لا يتجزأ من العديد من التحقيقات. وعادةً ما يتردد المسؤولون عن نشر السجلات الرسمية، لكن بعد التحديات التي واجهتها الأنظمة الاستبدادية في الربيع العربي، يأمل المدافعون عن فكرة الحكومة المفتوحة في رؤية قوانين وممارسات جديدة تشجع بشكل أكبر على الوصول إلى المعلومات.

ويلعب اقتفاء أثر الوثائق دوراً مهماً في التحقق من السجل التاريخي، وتدفق الأموال،

وتورط الأفراد والشركات والحكومات ومن أولى الخطوات التي يتم اتخاذها عند البدء في استقصاء أحد الموضوعات هي التفكير في الوثائق المناسبة التي قد تتواجد وكيفية حصولك عليها.ويمكن الحصول على الوثائق بعدة طرق:

1- تحقق أولاً ما إذا كانت الوثائق التي تبحث عنها متوافرة أم لا على الإنترنت.

2- قد تتوافر الوثائق في بعض الأحيان في مكتبات الأجهزة الحكومية، خصوصاً الوثائق التاريخية. بعض الأجهزة والوزارات الحكومية في الدول العربية لديها مكتباتها الخاصة.وإذا تعذر ذلك، حاول الحصول عليها من خلال تقديم طلبات رسمية.

3- يمكن أن يشكل الناس، بما فيهم المصادر الخاصة بالمراسل، مصادراً قيمة للوثائق.

4- توفر المقابلات فرصة جيدة للسؤال عما إذا كان هناك المزيد من الوثائق يستوجب الحصول عليها أم لا.

5- قم بتأجيل إجراء المقابلات، خصوصاً مع الأشخاص المهمين للتحقيق، حتى تحصل على كل أو معظم الوثائق التي تريدها. سوف يساعدك ذلك على طرح أسئلة جيدة والتحقق من صدق اقوال الضيف الذي ستجري معه المقابلة.

6- السجلات العامة لا تكون دقيقة دائماً ويجب مراجعتها أكثر من مرة. إحدى الطرق للقيام بذلك تتمثل في العثور على كاتب الوثيقة من أجل التحقق من مصداقيتها وإعطاء المزيد من المعلومات عنها.

رابعا: مرحلة حصر جوانب الموضوع في زاوية محددة

إذا كانت المرحلة الأولى ذات صيغة شاملة (شبيهة بالمسح في مجال البحث) تمكّنك من الإلمام بجوانب عدة من الموضوع عليك الآن أن تحدد وتقتصر على جانب واحد ترى انه أكثر أهمية أو أكثر طرافة لأنه يقدم الموضوع بإضاءة جديدة أو لأنك لا تستطيع أن تحصل على معلومات كافية خارج هذا الجانب من الموضوع...هذا التحديد وهذا الحصر وهذا التقيّد بجانب غالب في الموضوع يسمى تحديد الزاوية. بعد تحليل وفهم المشكلة تبدأ مرحلة تحديد الزواية المهمة ويجعلنا نرجّح الاشتغال على جانب دون جانب. ولا يمكن أن نختار الزاوية بصفة مبكّرة إلا عندما تكون لنا خبرة سابقة ودراية كافية بالموضوع.

وعندما تتضح زاوية الموضوع فأنك ستهمل كل المعلومات المتعلقة بالجوانب الأخرى وتقتصر على استكمال المعلومات التي لها علاقة واضحة بالزاوية التي تم اختيارها. فلا تتردد في التخلص من الوثائق التي جمّعتها إلى حد الآن والتي يكون موضوعها خارج الزاوية.

الزاوية تعطي وحدة للموضوع تجعل فهمه أسهل لدى القارئ وتوفر الكثير من الوقت في مرحلة العمل الميداني لأنني لن أجمع مادة لن أستعملها في تحرير الموضوع. ومن مزايا الزاوية أيضاً أنها توفر الجهد والنفقات والوقت وتوجه عمل الصحفي بشكل علمي ممنهج دون التخبط في عالم المعلومات.

ويجب أن تكون الزواية واعدة ومنتجة ومفتوحة على المرحلة الميدانية تسمح بالحصول على معلومات جديدة وعندما تضيق الزاوية بصفة مفرطة يمكن أن تتحول إلى حاجز يعطّل تطوّر الموضوع في مرحلته الميدانية. كذلك عندما تتسع الزاوية كثيرا نميل إلى البحث عن كل شيء دون تركيز وعمق ويصعب الالتزام بالهدف الرئيسي من تحقيق.

إن تحديد الزاوية خطوة يجب اتخاذها قبل الشروع في العمل الميداني...و لكن عليك أن تبقى على قدر كبير من المرونة قصد تعديل الزاوية إن لزم الأمر حسب ما سيتوفر لديك من أفكار ومعلومات جديدة تجعلك تعدّل نظرتك إلى الموضوع. ندخل للميدان بمجموعة من الأفكار والافتراضات ولكن لا نسقط على الواقع نظرة مسبقة متحجّرة ويجب أن نكون على استعداد للاهتداء بما يتيحه لنا العمل الميداني من أفكار ومعلومات جديدة. العمل الميداني سيكون محكّا نختبر فيه أفكارنا وافتراضاتنا التي سيتأكد بعضها وسيعدّل البعض الآخر وقد نترك جانبا أفكارا أخرى نكتشف عدم صلاحيتها

خامسا: مرحلة العمل الميداني

وتتفرع هذه المرحلة إلى:

1- ضبط خطة العمل الميداني

- لا نشرع في العمل الميداني بصفة عفوية...يجب أن نرسم على الورق الخطوط العريضة لتحركاتنا في اتجاه الاتصال بالمصادر في الأيام القادمة ولو بصفة تقريبية مع إمكانية إدخال تعديلات.

- ما هي الأطراف التي يجب الاتصال بها قصد الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والتجارب والتصريحات والآراء ذات العلاقة بالموضوع؟
- انتبه إلى وجوب تعدد الأطراف الفاعلة في الموضوع وما هي طبيعة العلاقة بين هذه الأطراف؟ هل هي علاقة ندية ومتوازنة تحددها صلاحيات قانونية، أو تحددها موازين قوى اجتماعية وسياسية أو علاقة هرمية (وزير التربية/ مدير مدرسة/ محافظ مكتبة مدرسية) هل يسود بين الأطراف التكامل والتعاون في نطاق تقسيم الأدوار، والثقة والاحترام؟ أو ينتشر بينهم الحذر والتشكك والخوف؟ أو التنافس والتصارع أو التجاهل والتجافي؟
- كن حريصا على الاتصال بكل الأطراف واستمع إلى كل الروايات وقم بالغربلة فيما بعد. التزم بالحياد قدر المستطاع حتى وإن تعاطفت مع طرف محدد، ولك مجال رحب للتعبير عن آرائك وانطباعاتك ونظرتك إلى الكون في تعليق أو عمود أو افتتاحية أو خاطرة. الحياد شرط مهني لا يستقيم بدونه العمل الصحفي لان الابتعاد عنه يحجب الواقع ويحوّل العمل الصحفي إلى عمل تحريضي أو دعائي، مهما حسنت النية.
- عندما يكون الصحفي على بينة من هذه المعطيات يستطيع أن يقيّم بطريقة سليمة ونقدية أفعال وأقوال مختلف الأطراف فيميز بين المعلومات السليمة والمعلومات المدسوسة وبين النقد والتحامل وبين التحليل المتزن والمواقف الغاضبة وبين المعرفة والأحكام المسبقة.

2- طبيعة المادة التي ستجمعها من الميدان

وصلت الآن إلى مرحلة ميدانية هي من أهم مراحل التحقيق الذي يصنّف في صنف الأشكال الإعلامية ولا يكتمل إلا إذا جاء ثريا بالمعلومات الحية التي تجمعها أنت دون غيرك مباشرة من مصادرها وبالوقائع وبالتصريحات الجديدة التي تحصل عليها. وفي صورة فشل العمل الميداني، يتحول التحقيق إلى مقال رأي. فكن حريصا على تنوع المادة الإعلامية الحية التي ستجمعها وعليك أن تخلق الفرص الكافية للحصول على المادة التي تحتاج إليها لإنجاز التحقيق:

- تحتاج إلى أفكار عامة وآراء وتحاليل ومفاهيم ومصطلحات ومعارف على علاقة مباشرة بالموضوع وكن حريصا على تنوع هذه الأفكار. أحصر المفاهيم والمصطلحات ودققها مستعينا بالقواميس والموسوعات والكتب المتخصصة والخبراء.

- تحتاج إلى وثائق غير متوفرة في الأرشيف وفي المصادر التقليدية المتاحة لك والتي اطلعت عليها في مرحلة إعداد التحقيق ولا يمكن الحصول عليها إلا أثناء عملك الميداني واتصالك المباشر بالمصادر

- تحتاج إلى العديد من التصريحات التي تمدّك بها مباشرة الشخصيات الفاعلة في الموضوع أو التي يمكن بصفة أقل أن تستخرجها من الوثائق ولكن التحقيق لا يقتصر على سرد التصريحات مثلما نرى ذلك منتشرا في عدة تحقيقات التقليدية

- تحتاج إلى أخبار وأحداث ومعلومات ووقائع ومعطيات وطرائف غزيرة يمكنك أن تستخرجها من التصريحات أو تقتطعها من الوثائق التي تحصل عليها. المعلومات يمكن أن تكون كيفية/ نوعية أو كمية/ إحصائية. ولا يمكن أن نفكّر في انجاز تحقيق بالنسبة لكثير من الصحفيين دون اعتماد مجموعة من الأرقام التي تجسّم الظاهرة.

- تحتاج أيضاً إلى ملاحظات ومعاينات مباشرة ومشاهد حية تقوم أنت بجمعها وتسجيلها وتصويرها عند تنقلك من مصدر إلى مصدر وعند تواجدك في مواقع ووضعيات مختلفة على علاقة بالموضوع ومعايشتك لجانب من أوجه حياة الشخصيات التي تتحدث إليها. لديك عينان وأذنان هما أهم حواس الإنسان.

- لا تتردد في طلب تراخيص أو مساعدة من مصادرك لحضور بعض الأنشطة ومتابعة بعض التجارب التي يحدثك عنها مصدرك.

- إذا كنت تحقق في موضوع كتب الأطفال على سبيل المثال، يمكنك مثلا زيارة مكتبة المدرسة للإطلاع على كتب الأطفال المخزونة في الرفوف أو ملاحظة الأطفال وهم يختارون كتبهم في المكتبة وعدم الاكتفاء بما سيقوله لك المدير أو المعلم أو حتى الأطفال عندما تتحدث معهم، كما يمكنك معاينة مكتبة بعض الأسر لتلاحظ مدى تواجد أو غياب عناوين كتب الاطفال فيها.

- تحتاج إلى صور ورسوم بيانية وكاريكاتير تنجزها أنت أو بتعاون مع زملاء آخرين في الجريدة أو تحصل عليها من مصادرك وهي مادة رئيسية تضفي على التحقيق قيمة إعلامية إضافية.

تنظيم المعلومات وتأليفها في قصة وتدقيقها

يتطور البحث الاستقصائي إلى مادةً أكثر بكثير مما تنتجه تغطية الأخبار التقليدية، ويجب أن تكون هذه المادة مُنظمة بفاعلية على أسس مستمرة. وهذا العمل التنظيمي هو جزءٌ من عملية منهجية للكتابة والنشر. فأنتَ لا تقوم بالبحث، ثمَّ تُنظِّم، ثمَّ تكتب. بدلاً من ذلك، أنت تُنظِّمُ وأنت تبحثُ، وهذا التنظيم يُجهِّزُ الأرضية لعمليَّة الكتابة.إن لم تأخذ الوقت الكافي لتنظِّم، سوف تحتاج، في النهاية، إلى ضِعف الوقت لتكمل المشروع وذلك حدٌّ أدنى وسوف يكون عملك صعباً عند كتابة القصة وشرحها والدفاع عنها. إلى جانب ذلك، لن تحظى بالمتعة، لأنك ستكون قلقاً طوال الوقت وغير مُنظم ومتوتراً ومحبطاً. ولذا، إليك بعض الخطوات السهلة التي يمكن أن تجعلها جزءا من روتين خاص بك.

بناء قاعدة معلومات:

1- اجمع الوثائق.

2- راجع الوثيقة كي تُقيِّمَ محتوياتها.

3- اعطِ كل وثيقة عنواناً أو رقماً.

4- ضع الوثائق في ملفاتها.

5- راجع الوثائق دورياً.

6- نَقل الوثائق بين الملفات.

7- إذا كانت الوثائق حسَاسة، جهِز نسخاً احتياطية منها واحتفظ بها في مكان ليس بيتك أو مكتبك.

8- إقامة صلات بين الملفات

هذه الخطوات تجعل وثائقك ومعلوماتك أسهل على الجمع والتتبع والمراجعة، تجعلُ من السهل على عقلك إقامة صلات بين المعلومات. وسوف تلاحظ بالتأكيد أن المعلومات تثير أسئلة لم تتم الإجابة عنها. إذا يخبرك أرشيفك بنوع المعلومات التي يحتاجها ليكتمل. وسوف تُصبح أيضاً أكثر حساسية للمعلومات الجديدة التي لها علاقة بفرضيَّتك، ولذا ستصل إلى اكتشافات غير متوقعة.

سادسا : المراجعة والتقييم

بموجب الخطوات السابقة يصبح لدى الصحفي معلومات عن الموضوع أو المشكلة بعضها مدون كتابة وبعضها لقطات صوتية أو مرئية وهنا تخضع هذه المعلومات لعملية فحص شامل بهدف التأكد من مدى كفايتها وعمقها وارتباطها بالموضوع ومدى الثقة فيها ومدى الانسجام أو التنافر بين الافكار التي تتضمنها واتفاقها مع هدف التحقيق.

أحصر بطريقة جلية ما توفر لديك إلى حد الآن من معلومات حول الموضوع و ينقصك قصد استكماله ميدانيا. لا فائدة لتخصيص وقت للبحث عن معلومات متوفر لديك من مصادر وثائقية ولم تنتبه إليها لأنك لا تسيطر ذهنيا على ملفّك واكتفيت بتكديس الوثائق دون قراءتها وهضمها.

ان الصحافي الجيد هو من يتمكن من التقييم السليم للمعلومات التي حصل عليها وا يحسم اي خلل يوجد فيها، كأن يستكمل بعضها أو يحصل على ارقام وإحصاءات حديثة بدلا من القديمة، وقد يرى ضرورة إجراء حوارات اخرى حتى يضمن مستوى أكبر من العمق والأدلة الكافية، والجودة الفنية والموضوعية بحيث تنتهي هذه المرحلة وقد استقر تماما على المعلومات اللازمة لإنتاج التحقيق بشكله النهائي.

سابعا : بناء هيكل التحقيق

بعد تحديد المادة التي ستستخدم في التحقيق واستبعاد ما سواها ويصبح بإمكان منتج التحقيق تجهيز محتوى التحقيق في صورته الاولية من خلال اجراء العمليات الاتية:

1- اجراء عملة مونتاج للمواد المسجلة، الصوتية أو المرئية، سواء كانت حوارات أو لقطات، مع التدقيق في المدة التي ستبث ضمن التحقيق، من حيث توافر فيها الجودة الفنية والموضوعية، مع مراعاة الوقت المخصص لبث التحقيق، ومن الضروري الاحتفاظ بنسخة أصلية من كل المواد المسجلة للرجوع اليها، إذا اقتضى الامر.

2- كتابة النصوص التي سيتضمنها التحقيق، فقد تكون بعض هذه الافكار مأخوذة من الوثائق والمطبوعات، أو من مقابلات أو المواد التي تم تسجيلها.

3- تصنيف النصوص تحت عناوين محددة، والتي تمثل الجوانب التي سيتناولها التحقيق.

4- صياغة المقدمة والخاتمة، ومواد الربط بين الفقرات.

5- تحديد الموسيقى أو المادة الغنائية التي سيتم تضمينها للتحقيق فضلا عن تحديد مكانها في التحقيق.

6- فحص فقرات التحقيق من المحتوى والترتيب واللغة سواء كانت نصوصا مكتوبة أو حوارات مسجلة أو مواد موسيقية والتأكد من جودتها وصلاحيتها

ليس من الضروري التزام الحرفي بتسلسل وترتيب هذه الإجراءات والخطوات فهي غالبا ما تخضع لرؤية المنتج وتصوره الذهني لما سيكون عليه التحقيق. وسيتم توضيح هذه العمليات بشكل تفصيلي في الفصل اللاحق.

هوامش الفصل الثالث

1- عيسى عبد الباقى موسى، معالجة الصحف المصرية لقضايا الفساد-دراسة تحليلية ميدانية، رسالة ماجستير.غير منشورة،كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى بقنا، 2004.

2- هدى عثمان، شيري ريكاردي، صوت الجمهور تغطية الشرق الاوسط الجديد في العصر الرقمي، ترجمة سيما النابلسي، 2006، ص40 -45.

3- د. بركات عبد العزيز، المادة الاخبارية في الراديو والتلفزيون، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2013، ص254-258.

4- د. محمد معوض، مدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2013.

5- د. بشرى الحمداني، التغطية الصحفية الاستقصائية، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012.

6- جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، التحقيقات الصحفية الامنية،الرياض، 2010.

7- وللمزيد انظر: "دليل مونك ماني لتنمية المصادر" الموقع

http://home.earthlink.net/~cassidyny/monkmanny.htm

الفصل الرابع

صناعة التحقيق التليفزيوني الاستقصائي

يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- بناء النص
  1- طرق صياغة الفقرة الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي
  2- القالب الفني لصياغة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي
  3- خاتمة التحقيق
- استخدام المادة المسجلة
- اعداد الاسكريت
- التسجيل النهائي والمونتاج
- المراقبة والتقييم

صناعة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي

إن جاز استخدام كلمة صناعة وتصنيع فإن المادة الإعلامية ليست مجرد عرض بسيط للواقع الخارجي، بل هي مادة مصنّعة ومختارة ومنتقاة، يقوم بتصنيعها وتشكيلها المراسل أو القائم بالاتصال، سواءً كان كاتباً صحفياً أو منتج تلفزيونياً أو مخرجاً سينمائياً والتحقيق التلفزيوني الاستقصائي أصبح فنا وصناعة تسترعي اهتمام العديد من المهتمين في الحقل الإعلامي، فلم يعد مقبولا في عصر سادت به التكنولوجيا ودخلت التقنيات الالكترونية الحديثة إلى كل منفذ في حياتنا اليومية، لم يعد مجديا ان نسرد المعلومات أو أن نصف الاحداث وصفا عاديا بالطرق التقليدية، ولم يعد لونا صحفيا واحدا مقبولا لدى الناس فقد تعددت خيارات الناس وتنوعت مصادرهم في الحصول على المعلومات، وان التنافس الشديد بين الفضائيات جعل من الصعب تخيل بقاء المشاهد مشدوداً أمام شاشتك لأطول فترة ممكنة.وقد عانت الصحافة التليفزيونية بصفة عامة من ظاهرة تدني درجة الانتباه بشكل كبير لدى المشاهدين، ففي المتوسط لا يمكن أن تحافظ على انتباه مشاهد أمريكي أكثر من أربعين ثانية، ربما يكون المشاهد العربي أكثر صبراً، لكن التنافس الشديد بين الفضائيات العربية جعل من المشاهد العربي أيضاً يهرب بسهول إلى منافذ متعددة من القنوات الفضائية إذن عليك أن تسعى إلى إبقاء ذلك المشاهد مشدودا لشاشتك اطول وقت ممكن.

إن تحقيق التكامل بين الشكل والمضمون من جهة وبين استغلال الامكانات الفنية لجهاز التلفزيون كوسيلة إعلامية ذات كيان فني مميز بين وسائل الاتصال من جهة اخرى، يتطلب الكثير من المهارة أثناء صياغة وإنتاج المواد الإعلامية، وهنا يكمن التحدي الذي تواجهه عملية إعداد التحقيق التليفزيوني: كيف يمكنك أن تروي موضوعات معقدة لجمهور لا تعرفه ولا تراه، بصورة تجعله مندمجاً ومنفعلاً معك في مدة قصيرة جداً لا تتعدى الدقائق. إن الجانب الاكبر من عمل التحقيقات الاستقصائية شديد الصعوبة وغير جاذب، فعادة ما يضطر الصحفي

لقراءة آلاف وآلاف من الابحاث ووثائق الاشرطة والقضايا وملفات الشركات لمعرفة أدق التفاصيل المرتبطة بالقضية أو موضوع البحث.

لذا فإن بناء هيكل التحقيق التلفزيوني الاستقصائي، يتطلب توافر مهارة كبيرة لتطبيق الجوانب الفنية التي تتمثل، في: كتابة النصوص، واستخدام التسجيلات (الصوتية أو المرئية) وصياغة الإسكربت، ومراجعته في صورته النهائية، وسوف نتطرق في هذا الفصل إلى أهم الجوانب والأسس الفنية الواجب توافرها في صناعة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي.

أولاً: بناء النص

يعد التلفزيون من أهم وسائل الإعلام الجماهيري في العصر الحاضر وأكثرها تأثيراً، ويتميز بالتطور الهائل في إمكانياته على مستوى الصوت والصورة واللون والحركة والمؤثرات بأنواعها، ونوعية الشاشات وأحجامها وإمكانياتها، والتقنيات التفاعلية، وتقنيات الوضوح العالي، فضلا عن الانتشار العالمي بالبث المباشر عبر الأقمار الصناعية، حتى أصبحت القناة الفضائية الواحدة قادرة على الوصول إلى جميع قارات العالم، كما ويوصف التلفزيون بأنه متاح دوماً في متناول جميع المشاهدين، وبشكل مستمر ومتواصل، ولا يحتاج المشاهد إلى بذل جهد، وإنما يمكنه الاسترخاء والمتابعة. ان التوظيف الامثل لإمكانيات الوسيلة - يقصد بذلك التوظيف الامثل للمادة التي تم جمعها، والاستغلال الامثل لخصائص الوسيلة (التليفزيون)، يكون من خلال الاجابة عن اسئلة تتعلق بخصائص الوسيلة، ففي التليفزيون تقوم المادة المرئية (الصورة) بالدور الاساسي، والمطلوب ان يتم توظيف امكانات التليفزيون، من حيث: الصوت والصورة واللون والضوء والحركة توظيفا، بطريقة تضمن جذب انتباه المشاهدين والمحافظة عليه. لذا تقوم عملية بناء النص التلفزيوني على اللغة الدقيقة التي تنقل الفكرة بصدق إلى الجمهور، وترسم صورة الموضوع بأمانة، وصياغة ما هو معقد ليصبح بسيطاً، وما هو غامض ليصبح واضحا ومفهوما.

إن المشكلة الأكبر التي تواجه غالبية الصحفين هي كيفية كتابة الكم الهائل من المعلومات وقصص الناس وهمومهم في موضوع واحد. ويقول مارك هانتر الصحفي الاستقصائي في محاضرة ألقاها في مؤتمر اريج عام 2009 حول كتابة التحقيق الاستقصائي "ما فائدة المعلومات إن لم أعرف كيف أستخدمها وأرتبها بتسلسل زمني وأقدمها للقارئ بطريقة سهلة و جذابة".

هنا ينصح هانتر بالبدء "من حيث نحن الآن أي اللحظة الحاضرة، ونعود إلى الوراء لنظهر كيف وصلنا إلى هنا (ماضي القصة)، ونعيد القصة مرة أخرى إلى المستقبل (لنسمح للجمهور المتابع أن يتشرب القصة)، ثم نقول إلى أين ستذهب لاحقاً (احتمالات في المستقبل)".

ويشرح هانتر أن هذه البنية (حاضر، ماض، مستقبل)، تجيب عن ثلاث أسئلة مفتاحية ينتظر القارئ أو المشاهد أن يجيب الإعلامي عليها، وهي لما يجب أن أهتمّ بهذه القصة؟، كيف وقع هذا الحدث؟ هل سينتهي؟ وكيف؟

ويرى هانتر أن الصحفي يجب أن يضع نصب عينيه أن يكون تحقيقه مثيراً ولافتاً من الناحية الأدبية (ليستمتع الجمهور)ومن الناحية المعلوماتية، ومن الناحية الانسانية بالدرجة الأولى، لذا يتحدّث عن التركيز على "إيقاع" القصة. مشيرا إلى ان "القصة الجيدة مثل القطار"، فقد يُبطئ أو يسرع لكنه لا يجب أن يتوقف، ويقول: "لا بد أن يشعر الجمهور من (المشاهدين أو المستمعين أو القراء) أنه ينتقل من مقطع إلى آخر، وإذا لم يحصل ذلك، فالقصة غير فاعلة". والبناء ويعني هيكل التحقيق غير متماسك.

إن تخيلت نفسك جالساً في غرفة تروي قصة لجمع من الحاضرين، بإمكانك في هذه الحالة ربما أن تتابع مدى استيعابهم لما تقول، وقد تعتمد في طريقة سرد ما تبقى من القصة على التغذية المرتدة التي توفرها لك ملاحظاتك أو الأسئلة التي قد يوجهونها إليك، أما في عالم الصحافة التليفزيونية لا يمكنك ذلك. عليك أن تجد طريقة منظمة لرواية القصة. البناء الأسهل للتحقيق التليفزيوني قد يكون ذلك المعتمد على التسلسل الزمني. لكن الكثير من الموضوعات الخبرية معقد، ولا يمكنك الاستناد في رواية معظم تلك الموضوعات على التسلسل الزمني. من هنا عليك أن تربط بين كل مجموعة من أجزاء التحقيق برابط منطقي. من السهل تقسيم التحقيق إلى أجزاء مبنية على العناصر الخبرية وعلى المادة الفيلمية المتعلقة بها. قم بعد ذلك بمحاولة الربط المنطقي بين هذه الأجزاء بحيث تبدو وكأنها ممسكة بأيدي بعضها البعض.

يمكنك استخدام منطق اللغة وكلمات مثل: "من ثم... وبالتالي... غير أن... على الرغم من ذلك... بالقرب من هذا المكان... على بعد كيلومترات عدة من... على بعد ساعات من... من أجل ذلك... وهنا يكمن السبب وراء... بعد ساعات من... بعد مرور عام تقريباً

على". من ناحية الصورة، حاول أن تبدأ كل جزء بصور ذات صلة بتلك التي اختتمت بها الجزء السابق.

إن التحقيق الاستقصائي في التليفزيون يعتمد على المادة المرئية والصوتية بأنماطها المختلفة، وتأتي النصوص المكتوبة في مقدمة تلك الانماط، وتقوم هذه النصوص على استخدام اللفظ المعبر، والمصطلحات الدقيقة، والعبارات السليمة. وبوجه عام، وإذا كانت البراويز أو الاطر Frames تستخدم في التقرير الصحفي، لإضفاء معنى معين على الصور وبعض اجزاء المادة المكتوبة والرسوم التوضيحية. فإن المادة المرئية بكافة اشكالها وكذلك اللون والضوء والحركة تستخدم في اضفاء المعنى وإظهاره في التحقيق الاستقصائي التليفزيوني، كما ان الموسيقى والمؤثرات الصوتية والصدى، أو ما يعرف بالترديد يستخدمان في ابراز العبارات والكلمات المهمة في التحقيق الاستقصائي بالراديو، فقد تكون هناك كلمة معينة ذات دلالة مؤثرة، تتخذ كعنوان لإحدى فقرات التحقيق، ويسبق هذه الكلمة ويلحقها ومضة موسيقية معبرة، أو يتم نطقها بأسلوب الايكو أو الترديد فتجذب انتباه الجمهور. لكن يظل النص المكتوب بعناية مرتكزا اساسيا للتحقيق الاستقصائي. وهناك حقيقة في العمل الإعلامي، أنه كلما احتاجت الفكرة للتوضيح في دقائق معدودة، كلما احتاجت لمزيد من الجهد لإعدادها بصورة مرضية، وبالطبع كلما ازدادت عملية الإعداد صعوبة وتعقيداً.. لكن لا تتشائم... فمكونات العمل التليفزيوني من صوت وصورة وكلمات، إضافة إلى الوجود الميداني في موقع الحدث؛ تقدم أدوات كافية إن أحسنت استغلالها لتحقيق تلك الغاية، والتحقيق التليفزيوني الجيد عليه الإجابة عن تساؤلات المشاهد الاتية:

- ماذا حدث؟
- ما التطورات الأخيرة لما حدث؟
- ما القضايا التي يجب عليّ أن أفهمها للربط بين تلك التطورات؟
- لماذا يُعتبر ما حدث مهماً؟
- وما الذي يعنيني من كل ذلك؟

لكي تنجح في تقديم إجابات عن تلك الأسئلة عليك أولاً أن تلم بها، ثم عليك أن تتمكن من نقلها إلى المشاهد بطريقة جذابة وسهلة.و فيما يلي يمكن إيجاز مواصفات التحقيق التليفزيوني الاستقصائي الجيد:

1- وحدة الموضوع: بمعنى إلا يهدف التحقيق إلى بحث أكثر من قضية. لا يمكن أن يتناول التحقيق من ارض العراق تطورات الأزمة داخل الحكومة وكذلك اتهامات الفساد التي يواجهها رئيس الوزراء وخفايا الهجوم العسكري على مدينة الفلوجة. أحياناً وفي حالات نادرة يمكن للصحفي الجيد الربط بين موضوعين، إن كانت هناك علاقة ومنطقية بينهما.

2- الجمل القصيرة: تسمح للمشاهد لالتقاط أنفاسه كل 3-5 ثواني، فالجمل الطويلة معقدة بطبيعتها، ويصعب مونتاجها، وتجعل المشاهد يلهث، كما أنه من الصعب قراءتها بشكل تلقائي.

3- ما بين التقاط النفس والآخر: يجب أن تترك الصورة تتنفس. نعم؛ وصوت أنفاس الصورة هو الأصوات الطبيعية المصاحبة لها. لكن احذر من المبالغة في إبراز الأصوات المصاحبة من دون مبرر موضوعي.

4- يجب أن يقسم التحقيق إلى أجزاء منطقية أوSequences ؛ كل جزء تراوح مدته ما بين 15 إلى 20 ثانية. والجزء أو السياق أو الـ Sequence هو أما موضوع واحد أو موقع جغرافي واحد، داخل المدينة نفسها، أو تمهيد لمقتطف صوتي، أو المقتطف الصوتي نفسه. ويساعد هذا التقسيم المشاهد على فهم السياق العام للقصة.

5- السياق الزمني يجب أن يسير في اتجاه واحد: أما من الأحدث إلى الأقدم أو العكس.

6- السياق المكاني يجب أن يسير في اتجاه واضح: أي إن بدأت من موقع ما واتجهت إلى موقع آخر ربما يمكنك فقط العودة في النهاية إلى الموقع الأول، لكن بالتأكيد لا يمكنك التحرك أكثر من ذلك.

7- يجب أن يتم التمهيد لأصحاب المقتطفات الصوتية في النص بتعريف إلى أي اتجاه ينتمون، وفي الصورة بأن نشاهدهم في أماكنهم الطبيعية يمارسون حياتهم اليومية وذلك قبل أن يبدءوا بالحديث.

8- استخدام الجرافيكس التحقيق: لا يجب أن يعكس بشكل مفضوح نقص المادة الفيلمية بل يجب أن يكون في سياق توضيح معلومات وبيانات من الصعب توضيحها من دون استخدام الجرافيكس (كالأرقام، والإحصائيات، ونتائج استطلاعات الرأي، ونتائج الانتخابات، أو مسار الطائرة المخطوفة أو التي تحطم).

9- استخدام الصور الأرشيفية: يجب أن يكون في سياق واضح ومعلن لا أن يخدع المشا
ويجعله يخلط بينها وبين الصور الحديثة.

10- بناء الصورة الواقعية للموقع حيث ستبدأ الحرب بعد قليل. الإيقاع الزمني بطيء ومتز
لكنه مفعم بالتوتر. تكاد تسمع أصوات الطائرات وأنت تتابع النص. بالطبع الاستخد
الموفق لحركة الكاميرا والصوت الطبيعي يجعلان النص أكثر تأثيراً.

من المشكلات الشائعة عند بناء النص أن تتم إثارة فضول المشاهد في اتجاه معين من دو الإجابة على التساؤل اللاحق. فمثل المسلسلات الدرامية السيئة التي أحياناً ما تدفع بالمشاهد إلى أن يتساءل: "ثم ماذا جرى لفلان؟ لماذا لم يتمكن من العودة إلى بيته؟" أحياناً ما يرتكب التحقيق التليفزيوني الخطأ نفسه، فيعرض معلومة ناقصة ضمن البناء الدرامي. عليك أن تعي ما الأسئلة المنطقية التي قد تدور في ذهن المشاهد وتستخدمها لزيادة جرعة التماسك الهيكلي عن طريق حسن اختيار موقع الإجابة عليها ضمن بناء النص. مثال تحقيق عن "المتمردين لتائبين" في دارفور: "ما موقف أهالي الضحايا؟ أين سيعيش التائبون؟ وما الوظائف التي سيشتغلون بها؟". وما إلى ذلك من الاسئلة التي يمكن ان تتبادر إلى ذهن المشاهد وقد لا يجد اجابة لها.

كتابة النصوص

إن الكتابة للتلفزيون ليست مجرد تسطير كلمات يلقيها المشتركون في البرنامج، وإنما الكيفية التي تظهر بها الصورة واللقطات والمشاهد في قالب واضح محدد، يعالج جميع جوانب الفكرة أو الهدف المطلوب في فترة زمنية محددة وأساليب متنوعة، تختلف حسب طبيعة البرنامج التلفزيوني، ونوعيته وإمكانياته والخامات التي يستخدمها. فبعد اختيار الموضوع أو الفكرة يحتاج القائم به إلى البحث دقيق ومستفيض وتحليل وتقييم لمواده التي جمعها وكتابة تصل إلى عمق المشكلة المعروضة ولا يمكن كتابة نصوص التحقيق الاستقصائي التلفزيوني كاملة اذ عادة ما يتكون من انواع مختلفة من الاشكال النمطية للبرامج التلفزيونية من مقابلة وتعليق وتقرير مما يصعب تدوينه ككل، وغالبا ما يقوم محرر التحقيق أو احد المعلقين بقراءة مع عدم الايحاء بالرأي اثناء القراءة والاقتصار على ما تحتويه وثائقه وتقاريره من معلومات سواء كانت ضد أو لصالح موضوع التحقيق ويقتصر دور قارئ التعليق كدور الراوي.

وعموما وفي كل هذه الاساليب يجب على المحررين أو المراسلين مراعاة ان التلفزيون يعتمد في المقام الاول على القيم المرئية التي تتميز بقدرتها الفائقة على توليد العواطف دون وسائل الإعلام الاخرى ويتطلب اعداد وإجراء التحقيقات التلفزيونية الاستقصائي وتحريرها موهبة وإطلاعا ودراية كاملة بإمكانيات التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية تعتمد على الصورة في المقام الاول وفي مخاطبة خليط من الفئات المتباينة الأعمار والثقافة والنوع والاهتمامات. وهناك عدة اسس يجب مراعاتها عند تحرير التحقيقات من أهمها:

- **أولاً:** ضرورة اتفاق النص الذي نسمعه مع مضمون ومحتوى المادة المصورة التي نشاهدها، فحينما يتفق مضمون النص مع مضمون المادة المصورة تزداد نسبة فهم واستيعاب المشاهدين لهذه المادة، ذلك لان المشاهد حينما يشاهد مادة مصورة لا يتفق مضمونها مع التعليق المصاحب لها فلا بد ان يجهد نفسه حتى يظل متنبها لما يقال ويعرض في ان واحد، وتختلف القدرة من فرد لأخر، وإذا ابتعد مضمون النص المصاحب للصورة كثيرا فربما لن يفهم المشاهد شيئا لأنه لا يستطيع ان يركز انتباهه لفهم النص والمادة المصورة في أن واحد ويبقى مشتتا.

- **ثانيا:** يجب ان تكون القصة الخبرية بسيطة جدا ذات وحدة درامية لا ينتابها أي لبس أو غموض، وأن تكون سلسلة واضحة. والوضوح اهم ملامح اسلوبها وهو المطلب الاساسي في تحريرها. كما يجب أن يراعى المحرر فيها الوحدة الدرامية فيقدم الوقائع في صورة روائية شيقة منذ بدايتها وحتى النهاية، ويروى ما حدث وكأنه يقع في الوقت الحاضر مما يضفى عليها حيوية وشفافية. كما تتطلب الوحدة الدرامية توضيح جميع عناصر القصة الاخبارية من الذروة إلى الأسباب ثم الاثار مع ضرورة التزام الايجاز لسبب قيد الوقت الضيق الذي يتطلب ان يكون لإيجاز عنصر اكثر اهمية. كما يجب ان تكون الجمل ومكونات النص واضحة قصيرة، وان تكون مباشرة. وعلى المحرر التلفزيوني ان يختار الكلمات التي تناسب المشاهدين بوجه عام، فالكلمات الاكثر شيوعا تستخدم بدلا من الكلمات النادرة الاستعمال، وتفضل الكلمات الخالية من ازدواج المعنى أو التورية، وضرورة توخي الحقيقة في الكتابة والالتزام بالصدق الذي يكره المشاهدون ابعد عنه. ويجب الوصول إلى الاهداف مباشرة وذلك بحذف الكلمات التي يعتبر وجودها كعدمه مع الالتزام بالواقعية في رواية الحدث.

وتتم كتابة النصوص بعد الحصول على مادتها من مصادرها المختلفة (سواء كانت المادة مطبوعة أو مسجلة أو غيرها) ومن ثم تقييم هذه المادة من خلال فرزها ومراجعتها، لان اول متطلبات كتابة التحقيق هي القدرة على فرز المادة المفيدة والاختيار منها ومن ثم صياغة نصوص التحقيق خاصة الفقرات الافتتاحية والفقرات الاساسية، والخاتمة، فيما يوضحه الشرح الاتي:

1ـ طرق صياغة الفقرة الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي:

لقد اسفرت اساليب الممارسة الإعلامية للصحافة والراديو والتليفزيون عن امكانية استخدام عديد من انواع الفقرات الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي، بحيث تشد انتباه الجمهور لمواصلة متابعة الاحداث ومجريات الوقائع التي يتضمنها التحقيق، والمقصود بالفقرة الافتتاحية، بداية التحقيق الإستقصائي أو المقدمة التي تشد الانتباه وتجذب القارئ أو المستمع أو المشاهد إلى القصة الإخبارية. وتتنوع اشكال الافتتاحيات ويمكننا هنا ذكر ابرزها وهي:

أـ الافتتاحية الشاملة:

بمعنى صياغة فقرة افتتاحية بصورة مختصرة، لتدل على موضوع التحقيق ككل، مثل ذلك: "لم يكن احد منا يتصور كذب البيان الذي اصدرته وزارة الداخلية بشأن وفاة....... فلدينا الدليل على انه مات بسبب التعذيب بقسم الشرطة......... ثم نقله ضباط القسم إلى المستشفى.......... حتى يفهم الناس انه توفي في المستشفى كأي مريض عادي، وتحت أيدينا الادلة الطبية والقانونية....."،

بـ الافتتاحية الانتقائية:

وتعني اختيار زاوية واحدة من موضوع التحقيق، واتخاذها كفقرة افتتاحية قد تكون هذه الزاوية ذات اهمية أو دلالة معينة، ففي تحقيق استقصائي كان الهدف هو الكشف عن التواطؤ بين احدى شركات الادوية، وقناة فضائية تذيع اعلانات عن ادوية على انها تعالج الامراض المستعصية، والتي لم يتوصل الطب إلى علاج لها.. وقد جاءت الافتتاحية هكذا: " في هذا التحقيق سنبدأ بالتعرف على الرأي العلمي، فيما تتضمنه الاعلانات عن ادوية تعالج الامراض، التي لا يوجد لها علاج طبي حتى الان، خاصة وأن هناك بعض الحالات التي عرضتها احدى الفضائيات تؤكد انها شفيت من......، في حين ظهرت بعض الحالات، التي اكدت ان المسالة كلها مجرد نصب واحتيال.... " لاشك ان التحقيق يتضمن بحث الموضوع

بعمق، ويتضمن لقاءات حول هذا الموضوع مع حالات مختلفة، ومع متخصصين، وقد عرض صورا من مكاتبات واتفاقيات، تفيد بأن القناة الفضائية لها نسبة من ثمن الادوية، التي يشتريها الناس بالإضافة إلى قيمة الاعلان. والتحقيق في مجمله يهدف إلى كشف التواطؤ بين بعض الفضائيات المتخصصة وشركات الادوية، وبعض الاطباء لخداع الجمهور.

ج. الافتتاحية التوضيحية:

وهي تلك الافتتاحية التي توضح الحقيقة الصحيحة عن فكرة أو موضوع يفهمه بعض أو معظم الناس على نحو خاطئ، وما اكثر هذه الافكار والموضوعات، سواء ضمن الاحداث الجارية أو ضمن الممارسات الاجتماعية، فقد يكون التحقيق عن التزوير في الانتخابات.. وهنا تبين الفقرة الافتتاحية للتحقيق الاستقصائي ان القائمين على فرز بطاقات التصويت، وليس القضاة هم الذين قاموا بتزوير ارادة الناخبين، أو ان المرشح الذي تم التزوير لصالحه لم يكن ضالعا في العملية، وإنما قام بها أنصاره... إلخ.

د. الافتتاحية الوصفية:

وهي تلك الافتتاحية التي تصف الحدث أو ترسم صورة له: كانت الساعة تشير إلى الثانية من بعد الظهر، كل شيء في الطائرة يتسم بالهدوء، الركاب منشغلون بالقراءة أو استماع الموسيقى عندما ظهر فجأة شاب ملثم ليعلن اختطاف الطائرة..... ولدينا الادلة التي تحدد أسباب اختطاف الطائرة، كما تحدد المسؤولين عن هذه العملية.

هـ. الافتتاحية الاقتباسية:

بمعنى ان تكون الافتتاحية في صورة عبارة وردت على لسان شخص معين، وتكون ذات دلالة مهمة للموضوع، ووقع شديد على المشاهد أو المستمع. ففي تحقيق استقصائي عن موضوع التزوير في الانتخابات، يمكن ان تكون الفقرة الافتتاحية لقطة مسجلة للمرشح المتهم بالتزوير يقول فيها: " اقسم بالله العظيم انني لا أعلم بهذا التزوير، ولم أحرض عليه، ولو عرفت القائمين به لمنعتهم ولو بالقوة، بل وحولتهم إلى الشرطة.. أنا لا أقبل أن أفوز بالتزوير، يكفيني تاريخي ناصع البياض.

و. الافتتاحية الاستفهامية:

وهي التي تصاغ في صورة اسئلة تجذب انتباه المستمع أو المشاهد، وتثير حب استطلاعه

لمعرفه ما ستكون الاجابة وتحاول أن تصيغ سؤالا عن أهم المعلومات لتشارك المشاهد في القضية التي يثيرها التحقيق. ففي تحقيق استقصائي عن حقيقة ما اثير بشأن التزوير في الانتخابات يمكن ان تكون الفقرة الافتتاحية هكذا: " ما الحقيقة بشأن ما اثير في تزوير الانتخابات لصالح احد المرشحين؟ من هم القائمون بالتزوير؟ وما التزوير بالضبط؟ وكيف تم؟ وما تأثيره في فوز هذا وخسارة ذاك؟ وهل القائمون بالتزوير قاموا به من تلقاء انفسهم ام بتحريض من طرف اخر؟ من هو هذا الطرف؟..... إلخ.

ح- الافتتاحية الخطابية:

وهي التي تصاغ في صورة حديث مباشر يخاطب الجمهور، مثل: "عزيزي المشاهد (أو المستمع) انت بصحبتنا على طريق معرفة الحقيقة... حقيقة موضوع التزوير في الانتخابات الأخيرة.. لا تتعجب إذا رأيت الادلة والبراهين، التي تثبت أو تنفي التزوير بعيدة عما نتوقعه جميعا أنا وأنت، المطلوب منك ان تتمهل قليلا، قبل ان تكون رأيك الشخصي في هذا الموضوع، فنحن لدينا ما نقدمه لك في هذا التحقيق.....

ط- الافتتاحية المفارقة:

وهي تلك الافتتاحية التي تتضمن معنيين متناقضين، بحيث تثير حب الاستطلاع لمعرفة كيف سيحسم هذا التناقض، ففي تحقيق استقصائي عن سرقة المال العام من جانب أحد المتنفذين (صاحب السلطة) يمكن صياغة الفقرة الافتتاحية للتحقيق الاستقصائي هكذا: "من القاع إلى القمة، ومن الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش... من موظف بسيط لا يكاد يجد قوت يومه إلى احد اكبر الاثرياء في العالم.. من شقة صغيرة في احدى حواري منطقة امبابة الشعبية إلى القصور الفخمة في كافة انحاء المحروسة، وراقصات... انها حقيقة المدعو / ....، الذي انتقل من القاع إلى القمة على جثث ملايين الشعب.

وهذه أمثلة لأهم انواع الفقرات الافتتاحية أو البدايات في التحقيق الاستقصائي، ويتضح ان بعضها قد يتشابه أو يتداخل مع البعض الاخر، ولكن ايا كان الامر، فإن الفقرة الافتتاحية في التحقيق الاستقصائي يجب ان تتصف بالإيجاز والوضوح وجذب الانتباه، والواقع ان صياغات الفقرات الافتتاحية تتخذ اشكالا اخرى متعددة، والأمر متروك للقائم على صياغة النص.

2. القالب الفني لصياغة التحقيق التلفزيوني الاستقصائي:

درجت كتب الصحافة العربية على استعمال مصطلح القالب الفني للدلالة على الخطة أو التصميم الذي يعتمده الصحفي لترتيب وتنظيم وتوزيع عناصر المادة الإعلامية التي جمعها من الوثائق ومن الميدان. ومن المعروف أن القالب الفني التقليدي والأكثر انتشارا في الخبر هو الهرم المقلوب، أو الترتيب حسب الأهمية التنازلية لعناصر الخبر.

أما بالنسبة إلى التحقيق التلفزيوني فهناك عدد من القوالب الفنية الرئيسة والتي غالبا ما يتم اعتمادها في صياغة وترتيب عناصر الموضوع، ويمكن للقائم على التحقيق الاستقصائي الاستعانة بأحدها أو ببعضها في صياغة النص المكتوب،اولها قالب العرض وقالب القصة وقالب الوصف والرابع قالب الاعتراف وقالب الحديث الحواري.

إذا كان المطلب الاساسي من الفقرة الافتتاحية هو جذب انتباه الجمهور، فإن جسم التحقيق هو الذي يثير اهتمام الجمهور ويحافظ عليه حتى نهاية.. وهناك عدة قوالب رئيسية، يمكن للقائم على التحقيق الاستقصائي الاستعانة بأحدها أو ببعضها في صياغة النص المكتوب، **ومن امثلتها نخص بالذكر:**

أ. قالب العرض:

بمعنى العرض المباشر للمعلومات والأفكار والآراء المتعلقة بموضوع التحقيق.. الذي يقسّم فيه التحقيق إلى مجموعة من المحاور أو المواضيع الفرعية المرتبة حسب الأهمية المتنامية، كما يمكن حصر هذه المواضيع الفرعية في مجموعة من الأسئلة ويجيب عن كل سؤال في محور مستقل من التحقيق وهذا القالب كثير الانتشار ويقوم على: جمال الاسلوب، وتوظيف عناصر الصراع والمفارقة من أجل ابراز الحقيقة، وسلاسة الترتيب، بحيث يجد الجمهور في هذا العرض توضيحا لما اثارته الافتتاحية، فالنص بموجب هذا القالب يتخذ شكل الحديث المباشر، المجرد من الانطباعات الذاتية أو السرد القصصي، أو غير ذلك من ملامح قوالب العرض الاخرى.

ب. قالب الوصف التفصيلي:

وهو يشبه قالب العرض إلى حد كبير، غير انه يتضمن الرأي الخاص لكاتب النص، فانطباعاته الخاصة أو الذاتية تظهر لتؤكد الخط العام أو الفكرة الاساسية في التحقيق. ويقدم

فيه الصحفي مجموعة من الصور ومن المشاهد الرئيسية التي تجسم فكرة أو تخلق مناخا عاما، أو انطباعا لدى المشاهد، ينطلق منه لتقديم المادة الإعلامية التي جمعها. وهكذا يزاوج بين الملموس والحسي الذي تسمح به الصورة اللفظية والمعطيات المجردة، فقد يكون التحقيق عن صفقات البضائع الفاسدة، التي يجلبها بعض المستوردين للسوق المحلي بالتواطؤ مع المسئولين عن الرقابة على الواردات ويعرضونها بأسعار مضاعفة، رغم أنها من (أردء) نوعية وتضر بصحة المواطنين، وتعمل على تدمير الاقتصاد القومي.

وفي هذه الحالة، يمكن كتابة اجزاء التحقيق، بحيث يصف الجزء الاول كيف تتم هذه الصفقات، أما الجزء الثاني فيصف كيفية الحصول على السلع من بلد المنشأ، ويصف الجزء الثالث عملية الشحن ثم وصول البضاعة إلى الموانئ، ثم وصف اجراءات الرقابة، ثم العرض بالأسواق بأسعار خيالية، مقارنة بالأسعار المنخفضة التي دفعها المستورد للجهة المنتجة في بلد المنشأ، ثم التواطؤ بين مسؤولي الرقابة والمستورد، ثم وصف حالة الجهات المحلية المنتجة للسلعة. وفي كل ذلك تتكاثف المادة المرئية مع النصوص المكتوبة لإبراز المعنى الحقيقي لحالة الفساد والجشع والانتهازية التي يمارسها ابطال القصة.

جـ القالب القصصي:

وبموجب هذا القالب تكون نصوص اجزاء التحقيق مصاغة في صورة قصة أو حكاية، ففي التحقيق الذي يتقصى عملية سرقة المال العام بواسطة احد المتنفذين، يكون الجزء الاول عبارة عن حديث عن نشأته وطفولته، وفي الجزء الثاني يتم تناول مراحل تعليمه، وفي الجزء الثالث يتم تناول بداية حياته المهنية، ثم تتوالى الاجزاء التي توضح ممارساته وضلوعه في نهب المال العام ووضعه الحالي.. ان كل جزء عبارة عن (قصة)، ومن الضروري صياغة هذه الاجزاء، بحيث يتضمن كل منها معان ذات دلالة للواقعة الرئيسية، التي يكشف عنها التحقيق وهي سرقة المال العام.

د- قالب الاعتراف:

ويستخدم هذا القالب، عندما تكون هناك ضرورة لان ينسب معد التحقيق المعلومات والآراء إلى اصحابها لما لذلك من دلالة وأهمية.. في هذه الحالة، فإن النص المكتوب قد يكون مستمدا من حوار مع احدى الشخصيات، أو من تقارير صادرة عن مؤسسات مهمة، أو من

مؤلفات اشخاص موثوق فيهم، أو ذوى علاقة مباشرة أو غير مباشرة ذات دلالة لموضوع التحقيق، فقالب الاعتراف اساسه الاستشهاد بالمصدر الاصلي للمعلومة، واستخدام هذا القالب يفيد التحقيق الاستقصائي، لان الاعتراف دليل دامغ، خاصة إذا كان على لسان شخص له اهمية، أو من مصدر موثوق فيه.

هـ-قالب الحديث الحواري:

ويقوم هذا القالب على اتخاذ النص المكتوب وسيلة للمحاورة، وهذا القالب يمكن توظيفه بكفاءة عالية ضمن التحقيق الاستقصائي، وان كان يتطلب سعة الخيال من جانب الكاتب.. ففي التحقيق الذي يتناول استيلاء احد المتنفذين على المال العام يمكن ان يتخيل الكاتب احد افراد الشعب في حوار مع هذا الشخص المتنفذ.. يذكر المواطن العادي الممارسات غير الاخلاقية التي يقوم بها الشخص المتنفذ وهذا الشخص بدوره يرد على المواطن العادي.في هذه الحالة تتم الصياغة في صورة حديث حواري بين شخصين: الاول هو المواطن العادي، أما الثاني فهو شخصية المتنفذ الذي يمارس الاستغلال والسرقة.

هذه بعض الامثلة لصياغة النصوص المكتوبة في التحقيق الاستقصائي، وفي الواقع ليست هناك قوالب ثابتة، ويمكن لكاتب النص باستخدام انماط اخرى، كما يمكنه استخدام اكثر من طريقة في الكتابة، اعمالا لفكرة التنوع، وأحداث التناسب بين المادة المرئية وموضوع الفقرة.

3- خاتمة التحقيق:

تمثل الخاتمة همزة الوصل بين المقدمة وفقرات التحقيق، وهي لا تقل اهمية عن الافتتاحية، بوصفها صورة تأكيد لفكرتها وباعتبارها الجزء الذي تلخص فيه جميع ما طرح من افكار ومعلومات، بكلمات بسيطة ومختصرة، قد تأتي خاتمة التحقيق الاستقصائي في صورة ابراز لهدف التحقيق والتعبير عنه. فإذا كان التحقيق يتناول الكشف عن واقعة فساد، فإن الخاتمة يمكن صياغتها لتؤكد حدوث الفساد أو لتوضح أسبابه التي يتعين القضاء عليها، أو تظهر المسؤولية وضرورة المحاسبة، وقد تكون الخاتمة في صورة استفهام يتطلب الاجابة، أو في صورة دعوة للمستمعين أو المشاهدين للإدلاء بأي معلومات معينة، فإذا كان التحقيق الاستقصائي يتناول واقعة رشوة.. فإن الخاتمة يمكن ان تكون دعوة صريحة للجهات المختصة

للتحقيق في الامر... وهكذا،ويُشدد هانتر على عدم كتابة نهايات في الاستقصاء، "لأننا ل
نعرف ماذا سيحصل في المستقبل"ولا يمانع من إبداء الصحفي رأيه وملاحظاته ونصائحه ف
نهاية التحقيق الاستقصائي "فهو من يقرّر كيف يختم قصته شرط أن يخدم ذلك التحقي
بشكل موضوعي".

ثانيا : استخدام المادة المسجلة

يقصد بالمادة المسجلة كل اللقطات واللقاءات المرئية والمسموعة، التي تم تسجيلها خصيصا للتحقيق أو التي تم الحصول عليها من الارشيف أو من اي مصدر اخر،وهذه المواد المسجلة تجسد النص وعباراته إلى حياة معاشة على شكل صورة وصوت، ففي تحقيق عن واقعة الرشوة يمكن ان يستعين منتج التحقيق بحوار تليفزيوني سابق، يتحدث فيه المرتشي عن ان الصدق والأمانة هما شعاره في الحياة، وانه يتبع سياسة العصا الغليظة مع اي موظف يتقاضى رشوة. وعلى الرغم من ان هذا الحوار قد يكون تم منذ سنوات، إلا ان الاستشهاد به في تحقيق يذاع حاليا يكون له اهمية، ويضفي طابع الاثارة على التحقيق، خاصة إذا كانت الفقرة التي تليه، تبرهن على تورط المتحدث في واقعة الرشوة.

بوجه عام.. فإن المادة المسجلة تمثل عنصرا حيويا، بل وأساسيا في التحقيق الاستقصائي التليفزيوني، ويمكن الاستفادة بها في كتابة النصوص مثلما يمكن تقديمها في صورة لقطات أو حوارات مرئية أو صوتية، فقد يرى القائمون على انتاج التحقيق ان بعض اللقطات أو اجزاء الحوارات، التي تم تسجيلها تحتوي على معلومات مهمة، تثري النصوص المكتوبة، وبالتالي يستفاد بها.. وهنا يلتزم معد التحقيق التزاما كاملا بالدقة الشديدة في التعبير عن مضمون المادة المسجلة، غير ان الالتزام بالدقة لا يعنى بالضرورة النقل الحرفي، إلا في بعض الحالات الاستثنائية والضرورية عندما تكون لذلك دلالة مهمة، فقد يكون هناك حوار لمدة ساعة مثلا تم تسجيله، وان الجزء الذي سيذاع مسجلا لن يتجاوز بضع دقائق. أما الاجزاء الباقية فيمكن الاستفادة بما ورد فيها من المعلومات في كتابة النصوص، ويلعب عامل (الوقت)، دورا مهما في هذا الموضوع، كما ان الجودة الفنية للمادة المسجلة، وكذلك اللغة المستخدمة تؤثران بشدة في كمية المادة المسجلة، التي ستذاع ضمن التحقيق في صورة لقطات أو حوار. من جهة اخرى، فإن المواد المسجلة بأشكالها المختلفة – المرئية والمسموعة – تشكل الجانب

الاساسي في التحقيق الاستقصائي، فقد تكون المادة المسجلة عبارة عن حوار متعمق أو لقطات فيديو أو صورا ثابتة... الخ،

ونظرا لأهمية الحوارات المسجلة كفقرات ضمن التحقيق الاستقصائي، فإن ذلك يقتضي الاختيار الصحيح، الذي يعني ان تتوافر في الحوار خصائص الجودة الفنية، الأهمية الفائقة للموضوع، وان يشكل اضافة حقيقية للمعلومات التي يتضمنها التحقيق، وعلى الرغم من ان التحقيق الاستقصائي يتضمن اكثر من حوار، بل ولقاءات متعددة، إلا ان هناك ضرورة التوازن والتنوع، ففي التحقيق الاستقصائي التليفزيوني يفترض ان يتنوع ما بين اللقطات المرئية، والحوار المتعمق، والصور الثابتة، والرسوم البيانية والوثائق المكتوبة، والحديث المباشر.. وذلك في حدود ما يقتضيه عمق التناول واثبات الوقائع بالأدلة والبراهين.

ثالثا: اعداد الاسكربت

يشمل الاسكربت جميع مكونات التحقيق حسبما سيذاع، فهو يتضمن المقدمة، والفقرات، والخاتمة وكل مواده مرتبة ترتيبا منطقيا، والربط بينها بسلاسة. ويتم فحص ومراجعة جميع مكوناته من حيث المضمون والأسلوب واللغة والجودة الفنية، مع تدوين وقت كل جزء من اجزاء التحقيق بحيث يكون مجمل وقت الاجزاء هو مدة أو الوقت. وقد يجد منتج التحقيق ان هذه المدة تقل أو تزيد عن المدة المقررة للحلقة، وهذا راجع إلى خطأ حساب وقت كل جزء اثناء عملية المونتاج أو كتابة النصوص.. ولتلافي الوقوع في هذا الخطأ، فإن القائم على الانتاج يجب ان يراعي منذ البداية المدة الكلية للحلقة، وان يكون وقت كل جزء في حدود معينة، بحيث تكون مدة الاجزاء في حدود المدة الكلية.

على أية حال، إذا تبين ان مدة الحلقة تقل عن المدة المقررة، فأنه يمكن اضافة افكار معينة للنصوص، أو اعادة عملية مونتاج بعض الحوارات واللقطات، أما إذا تبين ان مدة الحلقة تزيد عن المدة المقررة، فإنه يمكن اختصار بعض الاجزاء. وفي كل الاحوال، يجب عدم الاخلال بعمق التحقيق وتكامله (لاحظ دائما ضرورة الاحتفاظ بنسخة اصلية من كل حوار أو لقطة أو وثيقة أو نص، حتى يمكن الرجوع اليها عند اللزوم، سواء لاعتبارات تتعلق بالمدة الزمنية أو لاعتبارات قانونية أو غير ذلك، ففي بعض الحالات يترتب على بث التحقيق ردود افعال

- لقطة مستوى العين: تكون الكاميرا على مسافة خمسة أو ستة أقدام من الأرض أي عن نفس مستوى عين شخص عادي ينظر إلى الشيء المصور. وهي تعتبر اللقطة ذات الزاوية القياسية بالنسبة لبقية الزوايا.

- لقطة الزاوية السفلى: تكون فيها الكاميرا أسفل الشخص المصور لتظهره أكثر طولا وجلالا وقوة.

- لقطة الزاوية العليا: تنظر إلى الشخص المصور من أعلى لتقزمه وتجعله أقل من حجمه الطبيعي، ولتظهره في موقف الضعيف.

جـ- اللقطة المتحركة The Movement of the shot

تتحرك فيها الكاميرا، لتظهر الصورة وكأنها تتحرك أو تغير من اتجاهها، أو تتغير من منظور المتفرج، وسمحت إمكانية تحريك اللقطة للمتفرج، أن يتابع حركة ممثل، أو سيارة مثلا، أو أن يشاهد الشيء المصور من وجهة نظر الممثل شخصيا أثناء حركته، وهو ما يقوي انتباه المتفرج إلى الأجزاء التي يريد المخرج أن يلفت نظره إليها.

- لقطة التتبع: وتكون فيها الكاميرا مثبتة على منصة ذات عجلات dolly ، تتحرك على قضيبين متوازيين حتى تساعد على سهولة ونعومة حركة الكاميرا، أثناء متابعة حركة الشيء المراد تصويره.

- لقطة الرافعة: تثبت الكاميرا فيها على ذراع رافعة Crane لتتحرك أفقيا، ورأسيا وفي جميع الاتجاهات حتى تقترب وتبتعد عن الشيء الذي تقوم بتصويره بشكل درامي جاف.

- اللقطة البانورامية: تتحرك الكاميرا فيها بشكل أفقي إلى اليمين أو إلى الشمال وهي ثابتة في مكانها، أو لتلقي نظرة بانورامية على مكان ما.

- اللقطة التلت: تتحرك الكاميرا فيها بشكل رأسي إلى أعلى أو إلى أسفل وهي ثابتة في مكانها، أما لتتبع شخص يصعد أو ليهبط إلى أسفل، أو لتصوير وجهة نظر شخص ينظر إلى أعلى أو إلى أسفل.

د- عدد الأشخاص داخل اللقطة The number of Characters Within the shot

وهي اللقطة التي تسمى بعدد الأشخاص التي يتم تصوير ما بداخلها ومنها:

- لقطة واحدة: أي اللقطة التي تصور شخص واحد.
- لقطة الاثنين: أي اللقطة التي تصور شخصين.
- لقطة الثلاثة: أي اللقطة التي تصور ثلاث شخصيات.

ويمثل المصور أحد العناصر الرئيسية في الإنتاج التلفزيوني أيا كان نوعه.

2. الصوت

عناصر شريط الصوت: يحتوي شريط الصوت في الفيلم على أربعة عناصر:

1- المؤثرات الصوتية
2- الموسيقى
3- التعليق
4- الصمت

وهذه الأصوات يمكن استخدامها مع بعضها أو بصورة مستقلة بشكل واقعي أو بشكل تعبيري ومن الضروري أن تكون الأصوات متزامنة مع الصورة. بمعنى أن تكون صادرة في نفس اللحظة ومتوافقة مع الحركة وشريط الصوت النهائي يتكون من الأشرطة السابقة حيث يتم مزجها مع بعض، وأهم الأشرطة هو الذي يتم تسجيله أثناء تنفيذ الفيلم مصاحبا للتصوير أي التسجيل المباشر مثل راو يحكي عن شيء أو ماكينة تدور بصوت معين. أما الموسيقى أو الأغاني فتسجل قبل التصوير وتركب على الصورة عند المونتاج.

3. المونتاج:

بمعناه الدقيق ليس عملية تقطيع وتوصيل وتجميع اللقطات المصورة، لكنه عملية تركيب خلاق لجزئيات الفيلم من حيث تكوين الأفكار المعاني والأحاسيس والمشاعر والإيقاع والحركة، فضلا عن تحقيق الوحدة الفنية للموضوع كما ويعبر عن العملية الإبداعية التي تتم أثناء جمع عدد من اللقطات بهدف خلق تأثير معين على المتفرج فعن طريق السيطرة الإبداعية على التوقيت، والسرعة والإيقاع، للقطات والمشاهد، يمكن خلق التوتر، أو الفكاهة أو الاسترخاء، أو الإثارة أو الغضب أو غيرها من المشاعر. وهكذا نرى أن المونتاج ليس حرفية أو حرفة أو فنا، بل هو خليط من الثلاثة. وقد تحولت خطوات المونتاج التلفزيوني والسينمائي، من العمل على أشرطة لسينما ومن ثم أشرطة الفيديو إلى المونتاج الالكتروني بواسطة اجهزة

الحاسبات، لخدمة السرعة والإتقان والنوعية في نقاوة الصوت ووضوح الصورة وتنقل بواسطة فلاش (Flash) صغير والذي يستوعب الاختفاظ بالصورة والصوت المنقولة إلى من الحاسبة ولمدة عدة ساعات من البرامج التلفزيونية.

ويتم تقطيع الصور والصوت إلكترونيا على الحاسبة على شكل عملية تنظيمية مرتبة، ولحسن الحظ، هناك برامج حاسوب متطورة باستمرار صممت لهذا الغرض ولبدء العمل باستخدام احد هذه البرامج (وليكن مثلا برنامج Final Cut) فانه يتم نقل مكونات التحقيق إلى ملف خاص موجود في البرنامج، وهذا الملف يسمى المشروع (The Project) ويتم هذا النقل من خلال امر Import لكل فقرة من فقرات التحقيق، حسب ترتيبها في الاسكريبت اي في تتابعها المحدد، ويتم ذلك بسحب كل فقرة باستخدام الماوس ووضعها في ترتيبها.

ومتى تم الانتهاء من هذه العملية، تبقى خطوة مهمة تالية، وهي اضافة الانتقالات وتعرف اصطلاحيا بانتقالات الفيديو، ويقصد بها المؤثرات البصرية، التي يتم وضعها بين مقاطع الفيديو للربط بينها بحيث لا تكون هناك اضطرابات نقلية، أو فواصل غير منطقية بين هذه المقاطع، وتتم اضافة انتقالات الفيديو أيضاً عن طريق سحبها بالماوس ووضعها بين المقاطع، وقد يتطلب الامر اجراء تحسينات تقنية تتعلق بجودة الصورة أو ضبط الصوت بحيث يكون في مستوى واحد، وتعتبر التأثيرات المرئية أو تاثيرات الفيديو من اهم وسائل الاتقان الجودة في العمل الإعلامي، لانها تمكن من ضبط جودة الصورة من خلال التحكم في مستوى الاضاءة والألوان، وهذه التأثيرات يطلق عليها احيانا (الفلاتر) أو المرشحات وهي موجودة ضمن البرنامج الحاسوب (برنامج المونتاج) فمثلا قد يجد المنتج ان الالوان باهتة في لقطات معينة وفاقعة في لقطات اخرى، أو ان الاضاءة منخفضة في مشهد ومرتفعة في مشهد اخر.... في هذه الحالة، ومن خلال التأثيرات المرئية (والموجودة ضمن برنامج المونتاج)، يمكن احداث التوازن المطلوب، حيث يتم سحب المؤثر باستخدام الماوس ووضعه على المقطع أو الفقرة، وعلى الرغم من أن التأثيرات المرئية متاحة ضمن مكونات البرنامج المستخدم في المونتاج، إلا ان المنتج قد يرى استخدام تأثيرات فيديو غير تلك الموجودة على البرنامج، وفي هذه الحالة يمكنه استخدام احد البرامج الحاسوبية المتخصصة، مثل: برنامج Sound Track (وهو يختص بالتأثيرات الصوتية) وكذلك برنامج Motion وبرنامج Color، وبرنامج Shake وغيرها.

وبموجب هذه الاجراءات، تصبح فقرات التحقيق مرتبة في حلقة واحدة، ويتم نقل مكوناته على CD أو DVD، ويفضل الممارسون استخدام ال DVD لأنها ذات سعة اكبر، غير انه يتم استخدام الشرائط Tapes، ما دامت الكاميرا المستخدمة تعمل بالشرائط خاصة (الكثير من القنوات التليفزيونية تستخدم الكاميرات، التي تعمل بالشرائط بأنواعها المختلفة)، وان كان بعض القنوات يستخدم كاميرات تسجل المادة المصورة على قرص صلب (Hard). وبانتهاء عملية المونتاج، يكون لدى منتج التحقيق كافة فقرات الحلقة، وهذه الفقرات التي تمت منتجتها قد تكون موجودة على جهاز المونتاج، أو على وسيط اخر مثل الشرائط Tapes او CDs، أو DVDs أو مخزنة على دسك صلب خارجي (وفي هذه الحالة تحتاج مكونات التحقيق إلى تحميل، بمعنى نقل مكونات على جهاز مونتاج ليتم تكوين الحلقة كاملة). وفي كل الاحوال، يكون المطلوب ترتيب فقرات متسلسلة حسب ترتيبها في الاسكريبت، وبحيث تكون جميع هذه الفقرات حلقة واحدة متكاملة ومضبوطة صوتيا ومرئيا.

خامسا: المراقبة والتقييم

لقد قُمتَ ببحث حول القصة، ونظّمتها وكتبتها. والآن دعنا نتأكد من أننا قمنا بها قمنا به بشكل صحيح قبل أن تنشر أو تذاع. وهذا الأمر يشمل المراقبة أو التقييم، اي قبل بث حلقة التقرير على الهواء، يتعين ان يقوم منتج التحقيق وفريقه بمشاهدة الحلقة (أو الاستماع اليها).. وعندما يتناول التحقيق قضية شائكة يترتب على نشرها تغييرات وردود افعال قوية، فإن المنتج قد يرى ان يشترك في المشاهدة المسبقة افراد من الجمهور وخبراء أو اشخاص يوثق فيهم، وسواء كانت هذه المشاهدة بواسطة فريق العمل فقط أو بحضور آخرين، فإن الهدف منها هو التأكد من ان التحقيق قد اصاب عمق الحقيقة وانه مقنع ومثير، وتتوافر فيه الأهمية والجودة المطلوبة. وبوجه عام يمكن أجراء التقييم وفق عدة معايير اساسية، يتمثل اهمها في الاتي:

أ. الجودة الفنية:

ويقصد بذلك جودة المحتوى من حيث النوعية والشكل والإخراج، فجودة الصورة تعني وضوحها ودلالتها، وجودة الصوت تعني وضوحه وخلوه من الاخطاء اللغوية والفنية، وجودة المعلومات تعني دقتها ووضوحها وخلوها من التضارب والتناقض، وجودة الموسيقى

والمؤثرات تعني انها مناسبة للموضوع وتجسده، وجودة الترتيب تعني ان فقرات الموضوع وضعت مرتبة في مكانها الصحيح، وجودة الافكار والوقائع تعني انها دقيقة وغير مكررة... الخ.

ب- الحيوية والإثارة:

عندما يقوم فريق العمل بمشاهدة التحقيق الاستقصائي قبل بثه، فلا بد ان يضعوا انفسهم كمشاهدين أو كمستمعين، وان يركزوا اذهانهم فيما يسمعون أو يشاهدون. هل هو مثير ومتنوع وينبض بالحياة؟ ام انه جامد وممل وعلى وتيرة واحدة؟ هل تتوافر فيه الحيوية من حيث دقة الوصف وصدق التعبير، واستخدام الاسلوب الاخباري في الصياغة والحماس والتنوع في الاداء والمحتوى والأسلوب؟ هل يحتوي التحقيق على وقائع مهمة ومثيرة لم تكن معروفة، وان معرفتها الان تشكل تحولا في فهم الناس للموضوع وتحقق الاثارة وجذب الانتباه لمواصلة المشاهدة.

ج- البحث بالعمق:

إن التركيز على جوهر الحقائق والتفاصيل بالغة الأهمية شديدة الدلالة دون تكرار واختيار الكلمات والجمل والتراكيب اللغوية والمؤثرات الصوتية والمادة المرئية المعبرة وكل ما من شأنه تعميق البحث في تفاصيل القضية أو المشكلة المطروحة للبحث، دون الاخلال بالعرض المختصر، مع تجنب التراكيب الصعبة والأحكام التي تتصف بالعمومية وعدم التحديد.

د- الواقعية:

من الخصائص الاساسية للتحقيق الاستقصائي انه واقعي، اي انه يتناول موضوعات حدثت بالفعل أو قائمة وموجودة، وتتصف بأنها مهمة وتؤثر في حياة الناس، وان كانت غير معروفة على غير حقيقتها، أو ان المعرفة بها جزئية وليست كاملة، ويتم تقييم مدى التزام التحقيق الاستقصائي بالواقعية من خلال قدرته على الوصف الدقيق، ليس فقط للموضوع محل التناول كحقيقة واقعة، ولكن أيضاً بمدى الالتزام بما هو ملموس أو محسوس من جوانب الحدث وتفاصيله الدقيقة، ووصف المسميات بأسمائها، بحيث يضع الجمهور امام احداث وتفاصيل حقيقية، وأشخاص وأزمنة وأماكن حقيقية.

هـ.المعايشة:

يتعين على فريق العمل ان يشاهد التحقيق، مع التركيز على ما إذا كان الموضوع قد تم نقله بطريقة توحي (بالمعايشة)،اي معايشة الموضوع، ومدى الاندماج والتفاعل مع وقائعه في مكانها وزمانها بأسلوب سهل مباشر، ان المشاهد سوف يشعر بأنه يعايش الحدث في حالة واحدة فقط، هي:(إذا احس بصدق ما ينقل له) وبطبيعة الحال، فإن هذا الاحساس يتحقق، إذا كان المنتج قد عايش الحدث ونقله (بصدق).. فإن هذا الصدق سوف ينتقل إلى الجمهور.

إن تقييم التحقيق وفق هذه المعايير قبل بثه على الهواء قد يكشف عن انه صالح للبث أوانه في حاجة إلى تعديلات أو الاضافات.

دافع عن تحقيقك وأدعمه

وأخيرا سوف تنشر أو تذيع أو تبث التحقيق بطريقةٍ تثير أكثرمن ردود فعل ممكنة حول قضية التحقيق أو المعلومات الواردة فيه، لذا يتطلب منك العمل وفق المنطق الاتي:

- اضمن أن القصةَ محررة بشكل جيد. فقد يدمِر المحررون غير الخبراء بالاستقصاء أثر قصة بقَصِ الحقائق الخاطئة. فكن مستعداً للقتال لما هو مهم، وللتنازل عما ليس مهماً.
- اضمن أن القصة موضحة بالصور والبيانات بشكل ملائم. فالصور أو الرسوم البيانيّة الضعيفة أو الغائبة ستجعل القصةَ عصيّةً على الفهم وأقل جاذبيةً.
- اضمن أن تحمل القصةُ عناوين جيدة، لا تضع عنواناً يسيء تمثيل عملك أو يعلن شيئاً ليس في القصة.
- قاتل لتحصل على الحد الأقصى من لفت الانتباه والمكان الأفضل في وسيلة الإعلام لقصتك.

هوامش الفصل الرابع

أخذت أغلب المعلومات هذا الفصل عن المصادر الاتية:

1- أنظر هدى عثمان وشيري ريكاردي، صوت الجمهور، ترجمة سيما النابلسي، المركز الدولي للصحفين، 2012، ص37.

2- د. بركات عبد العزيز، مصدر سابق، ص259- 270.

3- د. ميشيل خياط، التحقيق الصحفي والتلفزيوني، دمشق، 2002.

4- د. عبد العزيز الغنام، مدخل في علم الصحافة – انتاج البرامج الاذاعية والتلفزيونية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983، ص243.

5- محمد معوض، المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني،القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2013، ص158-159.

6- مارك هنتر، هاتسون، ونلز واخرون، على درب الحقيقة، دليل أريج للصحافة العربية الاستقصائية، المكتبة الوطنية، عمان، 2009.

7- د. أميرة الحسيني، فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون، بيروت، 2005.

8- جون أولمان، التحقيق الصحفي، أساليب وتقنيات متطورة، القاهرة، 2000.

9- د.ديبرا بوتر، دليل لالصحافة المستقلة، مكتب الإعلام الخارجي الامريكي، وزارة الخارجية الامريكية، 2006، ص57- 61.

10- فهد عبد الرحمن الشميمري، التربية الإعلامية، الرياض، 2010،ص227- 233.

11- د. جمال الجاسم المحمود، التحقيق الصحفي، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق.

12- د. طالب فرحان، صناعة الإعلام الاذاعي والتلفزيوني، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2011، ص88- 94.

13- د.المهدي الجندوبي، التحرير الصحفي، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة البحرين، 2010، ص133.

الفصل الخامس

دور التحقيقات الاستقصائية في تدعيم المسار الديمقراطي



يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- العلاقة بين وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي
- التلفزيون ووظيفة تكوين الرأي العام
- دور التحقيقات الاستقصائية في رسم السياسات العامة
- التحقيقات الاستقصائية وصناعة الرأي العام
- التحقيقات الاستقصائية التلفزيونية: نمط مستحدث لحشد الرأي العام

الفصل الخامس

دور التحقيقات الاستقصائية في تدعيم المسار الديمقراطي

أولاً: العلاقة بين وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي

تتمثل العلاقة بين الإعلام والتحول الديمقراطي في ست علاقات أساسية هي[1]:

1- الإعلام الحر غير المقيد يمكن أن يكون أداة معاونة على سقوط النظم الفاشية التي تجبر المواطنين وتلزمهم بقواعد وقوانين محددة ولا تسمح بأي قدر من الحرية، من خلال تشجيعه على تكوين معاهد ومؤسسات ديمقراطية

2- وسائل الإعلام مؤسسة ديمقراطية مثلها مثل الأنظمة الفرعية الشرعية الأخرى والعمل على تحررها وإصلاحها يتم تحفيزه على أساس أنها جزء من العملية الديمقراطية.

3- الإعلام التحرري، ووسائل الإعلام الحرة هي نتاج للديمقراطية، بمعنى أن الإصلاح الإعلامي قد يكون فعالاً أو مفيداً فقط في سياق الديمقراطية القائمة

4- عدم وجود علاقة مباشرة بين وسائل الإعلام والديمقراطية فوسائل الإعلام قد تشجع كلاً من الإصلاح الديمقراطي وغير الديمقراطي، أو لأنها قد تلعب دوراً فعالاً في إسقاط النظم الفاشية، ولكنها في نفس الوقت لا تلعب دوراً فعالاً في تأييد وتعزيز الديمقراطية الناتجة.

5- إمكانية العلاقة السلبية بين الإعلام والديمقراطية بمعنى قد يكون الإعلام الحر معوقا للتطور الديمقراطي أو أن التطور والتحول الديمقراطي قد يكون عاملاً وسبباً في تلف وتدهور الإعلام الحر، فرغم وجود دراسات نظرية توضح عمق العلاقة الإيجابية بين

الإعلام والديمقراطية فإن هذه الدراسات الجزئية تفتقر لتقديم نموذج أساسي ثابت يحدد ويتنبأ بالتقنيات التي تربط الإعلام التحرري بالديمقراطية، فدراسات الحالة لا تستطيع التمييز بين الأنماط العامة والحوادث الفريدة.

6- العلاقة التبادلية والتكاملية بين الإعلام والديمقراطية، بمعنى أن كلاً منهما مساند للآخر، فتحرير وسائل الإعلام يعد جزء لا يتجزأ من عملية التحول الديمقراطي فالإعلام يساعد ويسهل المناظرات العامة المطلوبة من أجل تحقيق الديمقراطية الفعالة، كما أن المؤسسات الديمقراطية تؤيد استقلال وسائل الإعلام.

وهناك علاقة ترابطية بين طبيعة النظام السياسي وبين طبيعة النظام الإعلامي، فالنظام السياسي يهيئ المناخ ويتيح الفرص لنشوء نظام إعلامي مناسب، ولذا فإن النظام السياسي والاجتماعي هو الذي يعبر عن الإعلام ويحدد شكله ومضمونه، وعندما تختلف الأنظمة السياسية تختلف معها – عادة الأنظمة الإعلامية، ويمكن إجمالا وضع عدد من المعايير التي تحدد طبيعة ومفهوم حرية الإعلام في النظام الديمقراطي وهي:

- انفتاح المجتمع من خلال تدفق المعلومات.
- تمكن ونفاذ وصول الجمهور إلى المعلومات.
- وصول وسائل الإعلام إلى المصادر والمعلومات التي تحتاجها، بما فيها معلومات عن ومن النظام السياسي القائم.
- توافر المعلومات وتدفقها للإعلام وإلى الجماهير.
- الأهمية التي تحظى بها وسائل الاتصال ومدى المرونة والتعامل معها.

إن حرية التعبير عن الآراء من خلال الإعلام المستقل هو الضمان الأساسي لتنوع وجهات النظر، وما يتبع ذلك من تنوير لآفاق الرأي العام، حيث يلعب الإعلام الحر والمستقل دوراً محورياً في حراسة المجتمع ومؤسسات الدولة. فتأدية وظيفة الرقيب بشكل جيد تكون في كثير من الأحيان أصعب أدوار وسائل الإعلام، فالمسؤولون الحكوميون لا يرغبون دائماً في ممارسة الشفافية، خاصة إذا لم يكن للدول نضال كبير في ممارسة تقليد إخضاع مسؤوليها لفحص الرأي العام.

وتستطيع وسائل الإعلام عندما تكون قادرة على العمل بحرية أن تشكل ركائز مهمة

لتشييد الديمقراطية، فعلاوة على خدمتها كرقيب على المؤسسات المحلية وتنبيهها الشعب إلى القضايا المتعلقة بسلامته بإمكان هذه الوسائل أن تساعد المواطنين في فهم حكومتهم البعيدة عنهم والوصول إليها، مما يزيد ويطور من أساليب المشاركة بمختلف أنماطها.

ثانيا: التلفزيون ووظيفة تكوين الرأي العام

يقال بأن التليفزيون أحدث وسائل الإعلام تأثيرا في الرأي العام لأنه يستخدم الكلمة المسموعة والكلمة المرئية في آن واحد، ويحملك إلى العالم كله وبالصورة والصوت ويضعك وجها لوجه أمام صانعي الاحداث وكبار الشخصيات وقادة الدول.

الرأي العام هو الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة، فالرأي العام يمثل محصلة الآراء والأحكام السائدة في المجتمع. وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف في وضوحها ودلالاتها في عقول الأفراد، ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيته على الرغم من اختلافهم في مدى إدراكهم لمفهوم، ومبلغ تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة. وينبه البعض إلى ان المفهوم الشائع للرأي العام هو، ليس مجرد رد فعل بسيط أساسه العرف والتقاليد بل هو حصيلة امتزاج العواطف والأفكار واختلاط التحيزات بالحقائق وتصارع المصالح والمبادئ، وهو ليس رأيا كليا أو مطلقًا بمعنى الكلمة، فلا يكون مطلقًا في عموميته إلا نادرًا، ولذلك فإنه يقصد بالرأي العام في هذا المجال الرأي الغالب أما الرأي العام المتصل اتصالاً وثيقًا بالميراث الثقافي فيطلق عليه الاتجاه العام، وهو مجموعة العادات والتقاليد التي تمثل اتجاها ثابتًا يتصف بالدوام، بعكس الرأي العام الذي يتصف بالحركة والتغير.

ويصف البعض التلفزيون بأنه يحتل المقام الأول من بين وسائل الإعلام كلها في التأثير على الرأي العام ويرجع ذلك لعدة أسباب من أكثرها أهمية، أنه يحوز على نسبة اهتمام أكبر قياسا بوسائل الإعلام الاخرى ويهتم أكثر من سواها من وسائل الإعلام بالخوض في القضايا السياسية والاجتماعية ومناقشتها بإسهاب وعرض وجهات النظر المختلفة وخلفيات الأنباء وتفصيلها،حيث أثبت التلفزيون أنه قادر تمامًا على تشكيل الرأي العام والقيام بدور قيادي مؤثر في تكوين اتجاهاته، ومن أجل ذلك فإن الحكومات الديمقراطية تهتم باستخدام

وسائل الإعلام بشكل عام والتلفزيون بشكل خاص في شرح سياستها ومحاولة صياغة الرأي العام وتوجيهه الوجهة التي تتفق مع الصالح العام. وقد أدى ظهور المزيد من القنوات التلفزيونية إلى ما يسمى الانفجار الفضائي حيث إمكانية وصول إرسال دولة لدولة أخرى بسهولة مما أدى بدوره إلى انفتاح المشاهد على الثقافات المختلفة، كما أصبحت الرسالة الاتصالية الواحدة تصل إلى عدد ضخم من الجماهير المنوعة والمنتشرة في مختلف أنحاء العالم، وبالتالي أصبحت هناك ضرورة لإعادة النظر في صياغة الرسالة الاتصالية بالشكل المرغوب فيه والقابل للفهم لدى الجماهير من جميع الفئات.

وظهرت في هذا الإطار منافسه شرسة ما بين القنوات الفضائية وقنوات الكابل أو المدفوعة الأجر للمشاهدة. كل ذلك غيّر من عادات المشاهدة واختياراتها لدى المواطنين الذين كانوا يعتمدون على وسائل إعلامهم المحلية فقط للتعرف على أية أحداث داخلية تقع في دولتهم، حيث أصبحوا يشاهدون الأحداث التي تقع في دولتهم من وسائل الإعلام المحلية والدولية على حد سواء، وبالتالي يقعون في إشكالية المقارنة بين المضامين المقدمة في كلتيهما.لذلك أكدت العديد من الدراسات أن القنوات الفضائية أنهت عزلة المواطنين وخففت من وقع الاحتكار الإعلامي عليهم وأصبحوا على وعي بوجهات النظر المختلفة، مما جعل دول العالم المتقدم تستشعر إمكانية استخدام هذه القنوات كوسيلة مهمة للدعاية والحرب النفسية وذلك لإثبات وجودها وتحقيق أهدافها.وبناء على ما سبق توجد رؤيتان مختلفتان نحو القنوات الفضائية هما: التفكير في القنوات الفضائية كخدمة خاصة تحاول الترويج لها وبيعها للجمهور، بغض النظر عن مادتها وأهدافها، وهنا لا يوجد اهتمام بمن يوفر الخدمة ويقف وراءها وأهدافه... والنظرة الثانية تكمن في التفكير في القنوات الفضائية كأداة ثقافية في المجتمع من شأنها أن ترتفع بعقلية الجمهور واهتماماته وتثري الحياة الثقافية، وهي بذلك لا تعتبر الربحية هاجسها الأول. ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة بدأت تطفو على السطح الإعلامي تطورات تتجه نحو اتجاه التخصص الذي يعتبر اتجاها عالمياً بدأ في الولايات المتحدة وانتقل منها إلى مختلف أنحاء العالم حتى البلدان النامية وهي الظاهرة التي امتدت إلى الوطن العربي ونتج عنها عشرات القنوات المتخصصة وفي مقدمتها قنوات الأخبار والأغاني والأفلام والأطفال والرياضة.لكن القنوات الإخبارية الخاصة لها تأثير خاص على الرأي العام، ومن أهم مكونات الرأي العام أو عوامل تشكيله.

ويؤثر التلفزيون في الرأي العام العالمي عن طريق ما يعرضه من الاخبار والبرامج الاخبارية والتعليقات والأحاديث والتحقيقات والأفلام وما إلى ذلك من البرامج التلفزيونية. ولكي يكون التلفزيون وسيلة بناءة لتكوين الرأي العام، وأداة حقيقية للتوعية والتنوير لابد أن تتمتع بأكبر قدر من الحرية، ان الصحفي والإعلامي الذي تقيده المحظورات والمحاذير، لا يستطيع أن يسطر بقلمه كلمة نافعة أو مجدية، لان فاقد الشيء لا يعطيه، وهو عاجز بطبيعة الحال عن أن يقدم فكرة سليمة، أو رأيًا صائبًا، أو وجهة نظر ذات مضمون جيد يخدم المجتمع ويؤثر في الرأي العام، وبالتالي ينعكس أثره على أحكام الرأي واتجاهاته عاجلاً أم آجلاً.

إن مضمون الإعلام يكون أكثر يسراً وفعالية في التأثير في الرأي العام إذا كان متعلقاً بموضوعات جديدة أو مسائل لم يسبق تكوين آراء أو اتجاهات حيالها. ومن أساليب الإعلام في تشكيل الرأي العام: أسلوب التكرار والملاحقة وأسلوب الإثارة العاطفية...أسلوب عرض الحقائق...أسلوب تحويل انتباه الجماهير...أسلوب البرامج الإيجابية المحددة. وكلها أساليب يمكن ملاحظتها في الإعلام الغربي وكذلك العربي حيث تستخدم مراراً وتكراراً للتأثير على تفكير المشاهدين. وبذلك لم تعد وسائل الإعلام أداة لنقل المعلومات فقط بل أصبحت إحدى العوامل الرئيسة التي تؤثر في أفكار الجمهور واتجاهاته وسلوكه وان وظيفة تشكيل اتجاهات الرأي العام من خلال التركيز على قضايا معينة وتهميش قضايا أخرى وطرحها لقائمة من القضايا التي ترتبها طبقاً لأهميتها عن طريق انتقاء قصص إخبارية معينة وإهمال قصص أخرى وبذلك يعتقد الجمهور أن قضية ما قضية مهمة لأن وسائل الإعلام تتناولها باستمرار.

ثالثا: دور التحقيقات الاستقصائية في رسم السياسات العامة

هناك مفهوماً شائعاً للتحقيقات الاستقصائية يتمثل في المضي خلف ما يريد بعض الأشخاص إخفائه، وهي بذلك تقدم المسودة الأولى من التشريعات بجذبها الانتباه إلى مظاهر الإخفاق في نطاق الرقابة بالمجتمع، وكيف تم اختراق هذه النظم من جانب الأغنياء وذوى النفوذ والفاسدين[2].

وقد لا تؤدى جميع التحقيقات والقصص الاستقصائية التي يتم نشرها أو بثها إلى تحقيق نتائج إصلاحية. فالبعض من تلك التقارير الاستقصائية ذات تأثير قصير المدى، أو ربما ينعدم تأثيرها على الرأي العام، والسياسات العامة، ومن جهة أخرى، فإن هناك بعض التقارير

الاستقصائية التي تتميز بتأثير طويل الأجل ومن ثم تؤدى إلى إصلاحات جوهرية نعم كشفت الأخطاء من خلال الصحافة الاستقصائية يمثل قوة يمكنها أن تؤثر على السياسات العامة، ففي الحقبة الأولى لظهور هذا اللون من الصحافة كان لها الفضل في فضح جرائم الرشوة، والفساد، والجريمة المنظمة، وهدر الموارد، والوحشية من جانب أجهزة الشرطة في التعامل مع المواطنين، وكان الإحساس بالمسئولية الاجتماعية الدافع وراء هذه التوجهات من جانب المحررين[3]. وقد تعتمد التحقيقات الاستقصائية على مصادر عدة في تعزيز مصداقيتها أبرزها الأخبار والمعلومات والوثائق الرسمية وكذلك المعلومات السرية من مصادر المتنوعة مثل كبار المسئولين وموظفي الحكومة الخبراء والأكاديميين والباحثين إضافة إلى المصادر المتنوعة والوثائق غير المنشورة والمكتبات والتقارير والمعلومات والأجنبية.

ويمكننا القول أن التحقيقات الاستقصائية لها القدرة على ربط الأشخاص المتنفذين بجرائم وبنفس الوقت تستطيع أن تخلق إحساساً غير واقعياً خاطئاً لدى المجتمع بان هناك تصرفات خاطئة يراد من خلالها إبعاد أفراد المجتمع إلى جرائم قرصنة وبنفس الوقت يؤدي إصدار إحكام مبنية على السرعة والعجالة موجهة إلى مسؤولين وبذلك تكون المسؤولية الأخلاقية مهمة حيث أن نشر أي خبر فيه اتهامات تخلو من الأدلة والوثائق سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة نتائجها سلبية اتجاه المؤسسة إن من بين أهداف التحقيقات الاستقصائية إيجاد ورسم صورة حسنة من المجتمع إلى الصحافة أو بالعكس بمعنى آخر أن تكون الصحافة روابط عمل في المجمعات تختص في الممارسات الديمقراطية وبالتالي رسم الاتجاهات الايجابية لأفراد المجتمع مما يُمكن الإعلام الاستقصائي لان يكون لديه حلولاً مناسبة لأي مشكلة تحدث في المجتمع.

لذا فإن طرح العوامل المشتركة في إحداث التأثير المطلوب للتحقيقات الاستقصائية يمكن أن يؤدى إلى زيادة تأثير على الأجندة الاجتماعية، وصانع القرار، والرأي العام وذلك وفق مجموعة من المحددات تتعلق بتوقيت النشر ومدى ارتباطه بالجوانب السياسية الأكثر إلحاحا مثل الحملات الانتخابية على اختلاف أنواعها، وكذلك مدى التعاون بين الصحفيين وصانعي القرار، ومستوى اهتمام الرأي العام بالقضية التي تناولتها التقارير الاستقصائية، والضغوط الناجمة عن جماعات المصالح، ومدى إمكانية الحصول على حلول مكلفة للمشاكل التي تطرقت التقارير الاستقصائية إلى مناقشتها.

رابعا: التحقيقات الاستقصائية وصناعة الرأي العام

تلعب وسائل الإعلام دوراً رئيساً وفاعلاً في تشكيل سياق التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي في المجتمعات المختلفة، حيث تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وبين النخبة والجماهير، ويتوقف إسهام ودور وسائل الإعلام في عملية الإصلاح السياسي والديمقراطي على شكل ووظيفة تلك الوسائل في المجتمع وحجم الحريات، وتعدد الآراء والاتجاهات داخل هذه المؤسسات، بجانب طبيعة العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية المتأصلة في المجتمع، فطبيعة ودور وسائل الإعلام في تدعيم الديمقراطية، وتعزيز قيم المشاركة السياسية وصنع القرار السياسي، يرتبط بفلسفة النظام السياسي الذي تعمل في ظله، ودرجة الحرية التي تتمتع بها داخل البناء الاجتماعي. وتحتاج الديمقراطية لتقوى وتنتعش إلى حوار دائم بين أطراف المجتمع كافة، فهو ماء الحياة السياسية بدونه تتدهور شجرة الديمقراطية وتذبل وتذوي. فقد لوحظ ان دخول التلفزيون في الممارسة السياسية كان العامل القوي في جعل مجلس العموم البريطاني على سبيل المثال ان يفقد احتكاره القديم كمنبر اعلان عن السياسات. فقبل ظهور التلفزيون تركز الحوار السياسي في بريطانيا داخل مجلس العموم أساسا فمجلس العموم لم يكن فقط المكان الذي تصنع فيه التشريعات، وإنما أهميته أيضاً في كونه المكان الذي تعلن فيه السياسات والحوار الناشئ عنها. وطبيعي أن تقوم الصحافة البريطانية بدورها المعروف في تنمية الممارسة السياسية، حتى وصفت بحق أنها السلطة الرابعة، بل وصل الأمر أحيانا - عندما تضعف المعارضة الحزبية كما في عهد تاتشر - لتصبح هي المعارضة الحقيقية في البلاد.

وسرعان ما أدرك السياسي البريطاني أهمية التعامل مع الجهاز الإعلامي الجديد، وبعد أن كانت العادة أن يذهب الصحافي إلى داوننج ستريت ليسأل رئيس الوزراء سؤالا أو اثنين بأسلوب تراعى فيه اللياقة والكياسة، لم يجد رئيس الوزراء غضاضة في أن ينتقل بنفسه إلى استوديو التلفزيون، بل كثيرا ما يرحب بذلك، ليواجه تحقيقا علنيا صارما، يقاطع المحقق التلفزيوني رئيس الوزراء أو المسؤول الكبير عدة مرات ليظهر ما في تصريحاته من تناقض أو تكرار السؤال نفسه مرات ومرات لانتزاع اجابات محددة وصريحة عن أسئلة واضحة ينتظرها الرأي العام. وفي ديمقراطية حقيقية كبريطانيا تنعم الحياة بأكبر جوائزها على أصحاب الفكر الحاد والقلوب الجريئة. ولعل أشهر من فاز بهذه الجوائز في بريطانيا وهو (روبين داي) المحقق التلفزيوني الشهير.

استمر روبين داي كمحقق تلفزيوني ـ بخلفية قانونية ـ لما يقرب من أربعين سنة، شهد فيها ثماني انتخابات عامة وشارك في بعضها عندما رشح نفسه لعضوية مجلس العموم ولم ينجح، وحقق مع ستة رؤساء وزارات، من هارولد ماكميلان إلى تاتشر تحقيقات شهيرة مثيرة نشرت مواقف منها الصحافة البريطانية في أولى صفحاتها، كانت التحقيقات من قوة التأثير في الممارسة السياسية في بريطانيا إلى درجة مدت من نطاق الجغرافية السياسية إلى حدود جديدة لم تكن متصورة من قبل. فبقي أكثر من أي شخصية سياسية أخرى على المسرح السياسي البريطاني مدة أطول من غيره باستثناء الملكة، واعتبره البعض فارس الشاشة الصغيرة.

فقد جاءت مقابلته الشهيرة مع هارولد ماكميلان رئيس الوزراء في فبراير (شباط) 1958، بمثابة المقابلة التاريخية فلم يسبق لأحد أن حقق بهذا الأسلوب القوي مع رئيس وزراء خارج البرلمان. وكان خروجا واضحا على المعروف والسائد فلم يكن ليخطر على بال تشيرشل مثلا أن يعطي مقابلة للراديو، وسيلتهم آنذاك، فما البال بالتلفزيون. وها هو ماكميلان رئيس الوزراء وأقوى شخصية سياسية وقتها في بريطانيا يتعرض لتحقيق شديد لا يقل أبدا عن أي تحقيق أو مساءلة داخل مجلس العموم.

فكان التحقيق التلفزيوني بداية مرحلة جديدة مهمة تعترف بالتلفزيون لا كمجرد أداة تسلية أو دعاية حزبية لكن كجزء أساسي من الممارسة السياسية الحديثة. في اليوم التالي للتحقيق مع ماكميلان لم تنشر الصحافة البريطانية فقط أهم ما دار في التحقيق خاصة، سؤاله عن أهمية استقالة وزير الخارجية سلوني لويد، بل أدى التحقيق إلى اظهار ماكميلان بموقف المتمسك بوزير خارجية يعتبر كارثة للسياسة الخارجية لبريطانيا، وذلك على الصفحات الأولى للصحافة.

والتحقيق التلفزيوني من هذا النوع يمنع من استعمال السياسي للتلفزيون كأداة دعائية. لقد أعطى التلفزيون الفرصة للساسة أن يعرفهم عن قرب إلى ملايين من بلادهم وملايين خارج بلادهم ولا بد أن يكون هناك من ثمن، فلا بد أن يكونوا مستعدين لحديث أو تحقيق، فيه بقدر المعلومات قدر من التحدي المقبول. أما البرامج التي تنتهي بمجرد اعطاء فرصة للسياسي ليقول ما يريد دون تدقيق ودون مناقشة جادة جريئة تؤخذ فيها السياسات بكل ما تستحقه من أهمية وتقييم، فليست إلا صورة من تنازل التلفزيون عن مسؤولياته تجاه الجماهير.

إن ما يصدر عن السياسي في التحقيق التلفزيوني له أهمية خاصة، لأنه لا يصدر عنه كجزء من اللعبة الحزبية داخل البرلمان، وبعيدا عن تأثير مؤيديه ومساعديه من أرباب الدعاية والعلاقات العامة.

ومهمة المحقق التلفزيوني هي اثارة الموضوعات التي تشغل بال الرأي العام لا بال الاحزاب السياسية، والإصرار على توضيح الامور وتبديد أي غموض حولها بأسئلة وأسئلة اضافية، وطلب معلومات جديدة قد تظل خفيّة لا يعرف عنها أحد دون السؤال عنها، ثم اظهار ما في الردود من متناقضات إذا بدت بوادره. كذلك يجب ان لا تهزه ردود السياسي، ان كان الموضوع حساسا لأنه يمس مصالح قومية عليا أو بالأمن القومي، فكثيرا ما يتخفى كثير من الساسة وراء هذه الدعاوى التي كشفت الأيام زيفها. ورغم شعور روبين داي بأهمية ما تؤدي إليه تحقيقاته، فكل ما كان يشعر به انه يسأل مجرد أسئلة يريد الرجل العادي اجابات عنها. أسئلة ربما كان الشخص العادي يحب ان يسألها لو كان يعرف شيئاً عن موضوعاتها. وفي الوقت نفسه أدرك روبين داي درسا مهماً: إذا أردت أن توجه سؤالا حساسا أو مثيرا للانفعال، تأكد ان السؤال قد صيغ بطريقة يمكن إذا رجع إلى نصه في ما بعد ـ كانت عادلة ومناسبة. وبهذا الشكل فسؤال صيغ بشكل هادئ ومؤدب قد يحمل في طياته معنى شديد الوقع، وقد يؤدي إلى اجابة تستحق النشر أو تكشف عن نقاب أمور مهمة.

ولنجاح مثل هذه التحقيقات يتعين أن يكون المحقق بجانب صفاته الشخصية جزءاً من فريقه على درجة عالية من الكفاءة والتعاون. فأمور مثل الشخصية والمهارة والخبرة والحضور كلها أمور ضرورية، لكن بجانب ذلك يتعين أن يكون المحقق له دور مهم في تخطيط الجوانب السياسية في القناة التلفزيونية، ويشارك في تفسير الاخبار، فهو مشارك في العمل الإعلامي نفسه وليس مجرد عارض لأسئلة ينتظر اجابات عنها. ان التحقيق التلفزيوني يحتاج إلى قدر كبير من البحث والتقصي وقد كان روبين داي حريصا مثلا على قراءة مضبطة مجلس العموم بشكل منتظم. كذلك سارت قناة ITN التي كان يعمل فيها داي على عدة مبادئ أساسية لم تحد عنها منذ البداية. فالأسئلة لا يجوز أن تقدم إلى السياسي قبل البرنامج وان كان مقبولا الاشارة إلى الميدان الذي ستدور حوله الاسئلة، بالإضافة إلى هذا المبدأ من منطقية لعدم اعطاء السياسي فرصة ترتيب الاجابات التي يريدها، فإنه يعطي المحقق الفرصة في توجيه اسئلة اضافية أو الضغط على نقطة معينة. كذلك لا يجوز أن تجري تجربة حية تمهيداً أو إعداداً

للبرنامج نفسه وهذا معناه كله أن التحقيق يتم على أساس شروط المحقق لا شروط السياسي، كذلك فمن المستقر حق المحقق في توجيه أسئلة قد تبدو محرجة باسم الرأي العام. هذا الامر وإن كان يبدو عاديا الآن فلم يكن ذلك سهلاً في منتصف الخمسينات. ان المحقق التلفزيوني يجب ان يتذكر بأنه، ليس مطلوبا منه أن يكون محاورا أو ممثل نيابة أو محللا نفسيا أو خبيرا من الدرجة الثالثة، لكن هو صحافي يسعى إلى المعلومة لحساب المشاهد والرأي العام.

وقد لخص روبين داي نصائحه لمن يريد أن يتصدى لمثل هذه التحقيقات في شكل مدونة أو منهج يلتزم بالأمور الآتية:

- على المحقق أن يؤدي مهمته كصحافي يبحث ويدقق في الحقائق والآراء.
- يجب ان يضع جانباً ما يحبه أو يكرهه، ويوجه اسئلته بحيث تعبر عن آراء متعددة متجنبا أي شكوك في حياده.
- لا يجب أن يسمح لنفسه بأن يبدو شديد الاعجاب أو شديد التأثر في حضور شخصية قوية أو ذات نفوذ.
- لا يجب أن يتنازل عن كرامة وجدية الموضوع الذي يناقشه بالتغاضي عن توجيه أسئلة محرجة أو الايحاء بإجابات معينه لصالح السياسي.
- يجب أن يقاوم أي محاولة من جانب رؤسائه لإقناعه بتخفيف حدة التحقيق وإلا يعتذر عن المضي في التحقيق من البداية.
- لا يجب أن يقدم اسئلته مقدما وان كان يمكنه أن يشير إلى الميدان العام الذي سيدور الحديث داخله.
- يجب أن يعطي السياسي فرصة عادلة للإجابة عن الأسئلة في حدود الوقت المحدد للبرنامج.
- لا يجب ان يستغل خبرته المهنية في ان يوقع بشخص ليس معتادا على هذا البرنامج أو يتسبب في احراجه.
- يجب ان يوجه أسئلته بحزم وإصرار لكن بدون طريقة مملة أو في شكل هجومي أو لمجرد أن يبدو محققا قويا.

خامسا: التحقيقات الاستقصائية التلفزيونية: نمط مستحدث لحشد الرأي العام:

تعد التحقيقات الاستقصائية نمط مستحدث لحشد الرأي العام، في كثير من الأوقات تقوم بوضع أجندات العمل العام دون ممارسة أية أدوار تهدف للحشد والتعبئة والتحريض من قبل الرأي العام، فهي تسلط الضوء على الأخطاء التي يتم ارتكابها بدون الدعوة المباشرة للمطالبة بالإصلاح والتغيير،وفي أحيان أخرى تقوم الاستقصائية ببناء الأولويات العامة كعملية جماعية يمكن أن يتبادل التأثير فيها كل من الحكومة، ووسائل الإعلام، والرأي العام من أجل خلق وإيجاد نتائج إصلاحية وتغييرات في السياسات العامة، يمكن أن تعزز الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

إن التحقيقات الاستقصائية واحدة من أكثر الأنماط الصحفية المثيرة للجدل وأكثرها تكلفة، إذ تتطلب المزيد من الالتزام والوقت والاستشارات، فهي تضطلع بدور أكثر تحريضا للرأي العام تجاه أية انحرافات تحدث في المجتمع بالإضافة إلى دورها في تحليل المعلومات وممارسة الدور شبة القضائي في تحديد جهات الاتهام للانحرافات التي يتم تحديدها، ويتجاوز هذا الدور مجرد الاقتصار على الوصف، أو رد الفعل، على غرار ما يحدث في الأنواع الأخرى من الصحافة، ومن ثم فهي تحظى بالمزيد من الإطراء والتشجيع باعتبار أنها تساهم في تعزيز الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام في الرقابة على الحكومات، والشركات الكبرى التي تتمتع بنفوذ هائل في تلك المجتمعات.ويؤكد قولنا هذا نتائج الاستطلاعات التي اجرها العديد من الباحثين لقياس مدى تقبل الرأي العام وموافقتهم على الاساليب المتبعة في جمع المعلومات لإجراء التحقيقات الاستقصائية، فقد شهدت استطلاعات الرأي العام للصحافة الاستقصائية،منذ السنوات الأولى من عقد الثمانينيات من القرن العشرين تأييد المشاركين فيها وأعلنوا أنهم يوافقون على الأساليب التي قد تبدو غريبة لجمع المعلومات الضرورية للقصص والموضوعات الاستقصائية، طالما كان الهدف هو تعرية الانحرافات، وكشف الفساد، دون استخدام تلك المعلومات لتحقيق أغراض خاصة أو مشبوهة.

وحاول الباحثون في الصحافة الأمريكية، والقائمون على إعداد مسوح واستطلاعات الرأي العام، تقييم مدركات الرأي العام الأمريكي للصحافة الاستقصائية، وذلك من خلال القيام بمسح ورصد مدى قبولهم لهذا النوع من الصحافة، والأساليب التي يتم اتباعها للحصول على القصص الاستقصائية، وقد حاول هؤلاء الباحثون تحديد العديد من المتغيرات

التي تؤثر على المدركات المتعلقة بالصحافة الاستقصائية لدى الرأي العام، علاوة على ذلك تساءل القائمون على هذه البحوث والاستطلاعات، عما إذا كان الأفراد الذين تم استطلاع آرائهم يشعرون بالسعادة والرضا لدى مشاهدة التحقيقات الاستقصائية التي تبثها الشبكات الإخبارية، وعما إذا كانت الصحافة الاستقصائية جديرة بالاهتمام عندما تقود إلى بعض الأعمال كرد فعل على ما تنشره أو تبثه، وعما إذا كانت تلك التقارير تمثل انتهاكاً لخصوصية الأفراد والمؤسسات وذلك أثناء محاولة المحررين الاستقصائيين الحصول على القصص التي يقومون بنشرها أو بثها.

كما قام الباحثون في وسائل الإعلام الأمريكية، والمشرفون على إعداد مسوح واستطلاعات الرأي العام، بدراسة مدى تقبل الرأي العام الأمريكي للصحافة الاستقصائية، والتقنيات التي يلجأ إليها المحررون لدى إعداد تلك التقارير، وقد حاول هؤلاء الباحثون تحديد المتغيرات التي تؤثر على تلك المدركات، وذلك من خلال متابعة واستحضار عدد من سلاسل القصص والتحقيقات الاستقصائية، بهدف التعرف على مدى تجاوب الرأي العام مع مفهوم تلك القصص والتحقيقات الاستقصائية، وعما إذا كان الرأي العام يقوم بأي رد فعل تجاه هذه التقارير.

واستمر تأييد الرأي العام لممارسة الصحافة الاستقصائية، وأقر الرأي العام الأساليب المتنوعة التي يلجأ إليها الصحفيون لجمع مواد القصص والتقارير الاستقصائية، إلا أن هذا التأييد خلال سنوات التسعينيات من القرن العشرين أصبح محلاً للتساؤل، وذلك بسبب الدعاوى القضائية التي تم تحريكها ضد وسائل الإعلام في الولايات المتحدة فعلى سبيل المثال خلال عقد التسعينيات قامت شركة فود لايون Food Lion التي تدير سلسلة من المتاجر المتخصصة في الصناعات الغذائية وأصناف البقالة، بمقاضاة شبكة ABCالأمريكية الإخبارية، بسبب الأساليب التي اتبعها المحررون العاملون بالشبكة في جمع المعلومات عن إعداد الحلقات التي تم بثها من خلال برنامج Prime Time Live، وقد انحاز المحلفون إلى جانب الشركة، ومن ثم صدر الحكم من المحكمة التي نظرت تلك القضية بتغريم شبكةABC الإخبارية مبلغ5,5 ملايين دولار أمريكي، ولكن أعادت الدائرة الرابعة من محكمة الاستئناف الأمريكية نظر القضية من جديد بعد أن أصدر القاضي في محكمة الدرجة الأولى حكما بتخفيض مبلغ الغرامة إلى 315 ألف دولار أمريكي[4].

وأشرف كل من فيدلر وويفر على دراسة استهدفت قياس إدراك الرأي العام الأمريكي وتجاوبه مع التحقيقات الاستقصائية، وموقفه من التقنيات التي يلجأ إليها المحررون للحصول على المعلومات، والتي قد تتنافى مع المعايير الأخلاقية، فضلا عن تقييم التوجهات التي يميل إليها المواطنون في الولايات المتحدة، وذلك من خلال القيام بعملية مسح لشيكاغو Chicago، ومنذ ذلك التاريخ تعددت عمليات مسح وقياس الرأي العام، منها، المسوح والاستطلاعات التي قام بها الخبراء في مؤسسة معهد كالوب Gallup عام 1981، وعملية المسح التي قام بها الأعضاء في جمعية المحررين الصحفيين بالولايات المتحدة بين عامي 1984-1985.وقد ركزت جميع تلك الدراسات على قياس مدى تجاوب الرأي العام مع القضايا التي تثيرها الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة. وبمرور الوقت تراجعت نسبة تأييد المشاركين في استطلاعات الرأي، من الذين كانوا يرون أن التحقيقات الاستقصائية تعد نوعاً بالغ الأهمية للمجتمع مقارنتا بين أنماط الصحافة الأخر[5].

وأخيرا فإن مقدرة وسائل الإعلام للقيام بالأدوار السابقة مرهون بتوافر مجموعة من الحقوق لكل من الجمهور، ووسائل الإعلام وتتمثل هذه الحقوق في:

حق الجمهور في الوصول إلى وسائل الإعلام:

ويعني ذلك الحق في التعرض لهذه الوسائل وإلغاء كل القيود على حق المواطنين في الوصول إلى وسائل الإعلام واستخدامها، سواء ارتبطت تلك القيود بالموقع الجغرافي أو الطبقي أو التمويل أو أية عوامل أخرى، ويحقق ذلك زيادة قدرة الجمهور العام على اتخاذ القرارات الصحيحة فيما يتعلق بالتعرض لتلك الوسائل، واستخدامها والاستفادة منها، فمحو الأمية الإعلامية للجماهير تعتبر شرطاً مهماً لفهم الجمهور لوسائل الإعلام وزيادة قدرتهم على أن يكونوا ناقدين لهذه الوسائل، كما يوفر ذلك بيئة مناسبة لإمكانية زيادة مشاركة المواطنين في شؤون المجتمع.

حرية واستقلالية وسائل الإعلام:

فديمقراطية وسائل الإعلام، وضمان قيامها بدورها الفعال يتطلب أن تكون هذه الوسائل بعيدة ومستقلة عن السلطة وناقدة لها، فبقدر استقلال وسائل الإعلام عن السلطة يأتي تمثيلها للجماهير، وتوفر له المعرفة، وتدافع عن المصالح العامة في المجتمع، وتحدد الأولويات طبقاً

لاهتمامات الجمهور، أي أن عملية الاستقلال تعني إنهاء احتكار النظم الحاكمة للمعلومات أو تقليص قدرتها على ذلك، وبالتالي تأثيرها المباشر في الحد من قدرة النظم الحاكمة على إخفاء الممارسات الاستبدادية والتسلطية مع وضع القيود على قدرة الدول في التوسع لمثل هذه الممارسات.

وأن وسائل الإعلام الحرة والمستقلة خاصة الصحافة يمكن أن تلعب دوراً حيوياً في عملية التحول الديمقراطي من خلال مشاركتها في تدعيم الحق في حرية التعبير والتفكير والاعتقاد، وتدعيم استجابة الحكومة لمتطلبات واحتياجات الجماهير، فضلاً عن تعدد وتنوع منابر التعبير السياسي لجميع الجماعات والاتجاهات السياسية، كما ان حرية الصحافة تعزز من الأساليب الديمقراطية من خلال ممارسة وظائفها الرقابية على الحكومة ومتابعة أساليب السيطرة والتحكم، خاصة بالسلطة الجائرة التي تسيء للمواطنين وذلك من خلال المراقبة والفضح لكل أنشطة وممارسات الحكومة والنظام السياسي ككل وانتقادها، وعدم إطلاق يدها في القرارات والسياسات التي تتخذها، وهو الأمر الذي يؤكد علاقة الارتباط بين حرية الإعلام والديمقراطية، لذا من الصعوبة وجود حكومة ديمقراطية دون حرية واستقلال وسائل الإعلام، فالبناء الإعلامي الحر أكثر قدرة على تدعيم عناصر المشاركة والمنافسة التي ترتبط بمفهوم الإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي.

هوامش الفصل الخامس

1- د.عيسى عبد الباقي، وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي في الدول العربية، موقع أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، قضايا

2- Shelton Gunaratne. "Democracy,Journalism and Systems Perspectives From East and West" (Singapora: Marshall Cauendish, 2006) pp 1-24.

3- Martin, Linsky: Impact-How the press affects federal policymaking (New York: Norton company, 1986: pp35..

4- D. Weaver,L.Daniels: public opinion on investigative reporting in the 1980s, journalism Qaurtirly, Vol,69, no,1, spring 1992. pp. 146-155.

5- V. D. Fielder and D. H, Weaver: public opinion and investigative reporting, newspaper research journal, vol, 3, 1982.pp. 54-62

الفصل السادس

المعايير المهنية والأخلاقية للصحافي الاستقصائي

يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- اشكالية المسؤولية المهنية وأخلاقيات الصحافي الاستقصائي
- مهارات الصحافي المتقصي
- المبادئ الاخلاقية للصحافي المتقصي
- الإشكاليات الأخلاقية للمحقق الاستقصائي
- مواثيق الشرف وأدلة السلوك المهني
- معايير التحقيق التلفزيوني الاستقصائي
- التحديات التي تواجه أداء العمل الاستقصائي
- معايير التحقيقات الاستقصائية السرية

الفصل السادس

المعايير المهنية والأخلاقية للصحافي الاستقصائي



أولا: اشكالية المسؤولية المهنية وأخلاقيات الصحافي الاستقصائي

يختلط مفهوم المسؤولية إلى حد كبير بأخلاقيات المهنة الصحافية فعلى الرغم من الدعم الواسع الذي تحظى به الصحافة الاستقصائية من قبل الجمهور والذي يعدها الأداة التي تسهر محاولة الحفاظ على مصالحه، فإن هناك من يعيب عليها جملة من المؤشرات والتي قد تناقض مفهوم المسؤولية المهنية التي تمثله، وذلك كاستخدامها للكاميرات المخفية ودفع أموال للأشخاص من أجل الحصول على معلومات منهم وانتهاكها للخصوصية الفردية التي قد تقود بدورها إلى تشويه صورة الآخرين أو محاولة سرقة وثائق من مكتب موظف أو مسؤول، أو دفع الأموال لقاء الحصول على المعلومات خاصة من موظفين حكوميين أو تتجسس وتصوير دون إذن مسبق فضلا عن الكثير من الممارسات غير المهنية التي قد يلجأ اليها الصحافي من أجل الحصول على المعلومات التي تفيد موضوعه، ولابد لنا أن نبين أن ثورة الإتصال سوف تفرض على كل الدول أن تطلق يد الصحافة الاستقصائية لرصد هذه الانحرافات خاصة مع تفعيل دور الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في الكشف عن المعلومات من مصادر مختلفة[1].

وتعتبر الأخلاقيات عنصرا محددا في تشكيل المهن واستقلاليتها في سياق اثارتنا لمسألة الأخلاقيات وعلاقتها بالتحقيقات الاستقصائية فإن هذه الأخيرة تواجه ضربين من الأخلاقيات: الأول هو مجموعة المواثيق والقواعد الأخلاقية للصحافة التقليدية وكيف أنها

لم تعد تساير احتياجات المواطن، والثاني يتعلق بأخلاقيات العمل الاستقصائي والبحث في العمق ومسؤولية الصحافي الاستقصائي كمحقق.

ويحيلنا هذا الإشكال إلى موضع التحقيقات الاستقصائية وما يتعلق بالأخلاقيات في مفترق طرق بين أخلاقيات التحقيقات التقليدية من جهة والمواثيق الخاصة بالتحقيقات الاستقصائية من جهة أخرى. ويعتقد البعض أن دور الصحافة التقليدية هو نقل المعلومة وتحديد الأوليات وإبداء الرأي عبر التحليل والشرح والتفسير وليس توجيه الأحداث أو الرأي العام، فيما يؤكد انصار التحقيقات الاستقصائية على ضرورة ان يكون للصحفي دور في رقابة المؤسسات الحكومية وتفعيل الجدل الديمقراطي وصنع الرأي العام حول القضايا التي تهم المجتمع. هكذا قسمت الصحافة الاستقصائية أهل الصحافة بين متحمس، وحذر متردد وآخر رافض، وهو ما دفع الكثير إلى القلق من دور العديد من الصحف اليومية وتأثيرها المتنامي والقائم على الخلط بين وظيفتها كناشر للمعلومة والخبر وبين سعيها لصنع الأحداث وتحديد الأولويات، فهناك من يرى أن الحاجة إلى التحقيقات الاستقصائية ليست رغبة نضالية أو مقاومة فئوية بل هي التزام لان نشر الخبر لا يكفي حتى يشكل الرأي العام موقفه من الأحداث، وهذا ما يؤديه الصحافي التقليدي القائم على الملاحظة، في حين أن دوره الحقيقي هو أن يكون فاعلا ونشطا في الحياة العامة، لذا فإن المطلوب من الصحافي التقليدي المزيد من الالتزام الفكري حتى يؤمن أكثر بما يتمتع به من تأثير في قضايا الصالح العام. ويبدو أن النقد الذي يوجه إلى الصحافي الاستقصائي ليس مصدره تدخل الصحافي في قضايا المصلحة العامة من زاوية متعمقة بل في إصراره على ضرورة الاعتراف العلني للصحافي التقليدي بهذا التدخل وقيمته وضرورته[2].

هكذا تبدو إشكالية اخلاقيات التحقيقات الاستقصائية، التي ينظر اليها البعض على أنها تتموقع أخلاقيا بين التدخل الكلي والتجرد الكلي. إن حيادية الصحافي لها صلة بكل مجالات العمل الصحافي، فهي موضوع أزلي ودائم الحضور في تقييم دور الصحافة ومهامها داخل المجتمع، فهي قيمة مثلى وصعبة التحقيق، وبشكل خاص عنصر الموضوعية في عصر تميز بعولمة الإعلام واحتكاره[3].

ومما يجدر الاشارة إليه ان العديد من المهتمين بالصحافة الاستقصائية أقروا بأهمية وضرورة الالتزام بمجموعة من القواعد والضوابط المهنية،فهي الكفلة بتنظيم معايير

وضوابط العمل الاستقصائي وتحكيمه بالاعتماد على جملة من القواعد الأخلاقية الخاصة به، ان التزام الصحافي الاستقصائي بالقواعد الاخلاقية المحددة يسعى إلى الوصول بالإعلام الاستقصائي إلى مستوى متقدم من الاداء المهني المحترف الذي يتسم بالديمقراطية والمسؤولية والاستقلالية، ولبلوغ هذه المرتبة على الصحافي أن يلتزم بميثاق الشرف الصحفي وأخلاقيات العمل الإعلامي، وأن يكون له تكوين إعلامي يدفعه إلى التمسك والدفاع عن مهنته بمسؤولية.

ثانيا: مهارات الصحافي المتقصي:

المهنية العالية والجرأة والنفس الطويل والمعرفة القانونية أبرز المهارات التي ينبغي أن يتمتع بها الصحافي الاستقصائي. مجدولين علان مديرة وحدة التحقيقات الاستقصائية في موقع عمان نت الالكتروني، تعمل في حقل الصحافة منذ عام 2006، حصلت على المرتبه الأولى عن الصحافة المكتوبة في جائزة أريج للصحافة الإستقصائية للعام 2009 والمرتبة الرابعة في جائزة سيمور هيرش للصحافة الإستقصائية لعام 2010.

تقول (علان) لابد للصحافي المتقصي ان يمتلك مهارات استثنائية مختلفة تماما عن تلك التي يمتلكها الصحافي التقليدي، فإن أبرز هذه الميزات الحس الصحافي العالي الذي يمكنه من تحديد القضية أو الظاهرة التي سيطرحها في تحقيقه معتبرة ان هذا الامر مهم للغاية بالنظر للهدف الذي يريد الصحافي ان يحققه من وراء التحقيق الذي يقوم بإجرائه.

وتضيف ان القدرة على التحليل والبحث بعمق أمران مهمان لابد ان يتمتع بهما الصحافي المتقصي إضافة إلى الصبر وطول النفس خاصة فيما يتعلق بالبحث عن المصادر والوثائق. فضلا عن اهمية الحس قانوني العالي الذي يجب ان يتمتع به والذي يمكنه من معرفة حقوقه متى تجاوز الخطوط الحمراء وفي نفس الوقت ان يتحلى بقدر عال من المسؤولية والمصداقية في كل المعلومات التي يتعامل معها في التحقيق خاصة فيما يتعلق بالوثائق التي يمكن أن يحصل عليها.

وترى ان غياب المعلومات من أبرز العوائق التي تقف في وجه الصحافي المتقصي مشيرة إلى ان قانون حق الحصول على المعلومات لم يحل هذه الإشكالية البالغة الأهمية ليس فقط بالنسبة للصحافي المتقصي بل لكافة العاملين في حقل الإعلام.

تتمتع الصحافة الحرة بقوة هائلة، إذا ما كانت القوة تعرّف بالقدرة على التأثير على الآخرين. ولوسائل الإعلام في الدول الديمقراطية الحق في نشر المعلومات بدون موافقة مسبقة من الحكومة. وتوفر دول كثيرة حمايات قانونية للصحافيين ليتمكنوا من ممارسة ذلك الحق. ولكن الحقوق تكون مصحوبة بمسؤوليات. والمسؤولية الأساسية التي تقع على عاتق الصحافيين في أي مجتمع حر هي نقل المعلومات بدقة ونزاهة وإنصاف، أي ممارس الصحافة الشريفة.

ثالثا: المبادئ الأخلاقية للصحافي المتقصي[4]:

إن المبادئ الأخلاقية هي نظام من القواعد والمعايير التي ترشد وتوجه العمل. في حين أن القانون يحدد ما يمكنك وما لا يمكنك القيام به في وضع معين، فإن المبادئ الأخلاقية تحدد لك ما يجب أن تفعله وهي مبنية على قيم شخصية ومهنية واجتماعية وأخلاقية وتنشأ عن التفكير السليم. واتخاذ القرارات الأخلاقية يعني ببساطة تطبيق هذه القيم في عملك اليومي.

ويوضح إعلان تشابولتيبيك، الذي وافقت عليه الدول الأميركية في العام 1994 لمواجهة الضغوط التي تتعرض لها حرية التعبير في نصف الكرة الغربي، أن الصحافة المبنية على المبادئ الأخلاقية عنصر أساسي لنجاح وسائل الإعلام على المدى الطويل، وقد جاء في الإعلان:

- ترتبط مصداقية الصحافة بالتزامها بالحقيقة، وبالتزامها السعي لتحقيق الدقة والنزاهة والموضوعية والتميز الواضح بين الأخبار والدعاية. ولا يجوز فرض
- تحقيق هذه الأهداف واحترام القيم الأخلاقية والمهنية.

فهذه المسؤولية ملقاة حصرا على عاتق الصحافيين ووسائل الإعلام. والرأي العام هو الذي يكافئ أو يعاقب في المجتمعات الحرة.

إن الزلات الأخلاقية تحدث في الصحافة. وقد لفق صحافيون معلومات. وقبل محررون أموالاً من بعض المصادر. ونشرت مؤسسات صحافية دعايات مظهرة إياها وكأنها أخبار. وعندما يحدث ذلك فإن للجمهور الحق في أن يشك في كل شيء يظهر في وسائل الإعلام.

ويتضرر جميع الصحافيين وجميع المؤسسات الصحافية عندما يسلك صحافيون سلوكا غير أخلاقي لأن سلوكهم يثير الشكوك في مصداقية المهنة. وعندما تتضرر المصداقية تتضرر أيضاً قدرة المؤسسة الصحافية الاقتصادية على البقاء والاستمرار.

هناك قاعدة واحدة مقدسة للصحافة، وهي أن الكاتب يجب إلا يلفق. ويجب أن يحمل الترخيص الذي يحمله عبارة "لم يلفق أياً من هذا". والصحافيون المتقيدون بآداب المهنة لا ينسبون للناس كلمات لم يتفوهوا بها ولا يزعون أنهم كانوا موجودين في مكان لم يكونوا موجودين فيه. كما أنهم لا يقدمون عمل الآخرين موهمين المسؤولين والجمهور بأنه عملهم.

وفي حين يعتبر التلفيق والانتحال انتهاكاً للمعايير الصحافية الأساسية في جميع أنحاء العالم هناك بعض الانتهاكات التي لا تكون واضحة للعيان.

ويواجه الصحافيون معضلات أخلاقية كل يوم في عملهم تحت ضغط مالكي المؤسسة الصحافية والمنافسين والمعلنين والجمهور. وهم بحاجة إلى عملية لحل هذه المعضلات لكي تكون الصحافة التي ينتجونها أخلاقية. كما أنهم بحاجة إلى أسلوب للتفكير بالقضايا الأخلاقية يساعدهم على اتخاذ قرارات صائبة، حتى قبل الموعد النهائي لتقديم القصة الإخبارية.

ويقوم أسلوب التفكير هذا على أساس من المبادئ التي يعتمد الصحافيون عليها. وفي ما يلي المبادئ الأساسية للجمعية الأميركية للصحافيين المحترفين:

- ابحث عن الحقيقة وقم بنقلها.
- يجب على الصحافيين أن يكونوا أمناء ونزيهين وشجعانا في جمع وتقديم وتفسير المعلومات.
- قلل الضرر إلى أدنى حد ممكن.
- يعامل الصحافيون الأخلاقيون مصادرهم والأشخاص الذين يتناولونهم في تقاريرهم وزملاءهم كبشر يستحقون الاحترام.
- تصرف بشكل مستقل يجب أن يكون الصحافيون متحررين من الالتزام لأي مصلحة فيما عدا حق الجمهور في المعرفة.
- كن خاضعاً للمساءلة الصحافيون معرضون للمساءلة والمحاسبة من قبل قرائهم ومستمعيهم ومشاهديهم وزملائهم.

قد يبدو للوهلة الأولى أنه من السهل التقيد بهذه المبادئ فمن الطبيعي أنه ينبغي على الصحافيين أن يسعوا إلى الحقيقة وأن يعاملوا مصادرهم باحترام ولكن المبادئ نفسها قد تتضارب في كثير من الأحيان فقد يكتشف الصحفيون الساعون إلى الحقيقة معلومات ستؤذي أسرة شخص متورط في إساءة وقد يتيح انتماء صحفية إلى منظمة غير حكومية لها الاطلاع على قدر أكبر من المعلومات المتعلقة بقصة إخبارية للمنظمة دور فيها، ولكن ارتباطها بالمنظمة قد يهدد أيضاً استقلاليتها ويكون صعب التبرير للجمهور، وفي كثير من الحالات، يعني اتخاذ قرار أخلاقي الاختيار ليس بين الصواب والخطأ ولكن بين الصواب والصواب فكيف إذن يستطيع الصحافيون أن يتخذوا قرارات أخلاقية صائبة؟ إن أفضل طريقة لمعالجة بعض الأوضاع هو تجنبها منذ البداية. فمثلا، يمكن أن يقرر الصحافيون عدم الانتماء لأي منظمات خارجية، أو إعلان عدم أهليتهم لتغطية القصص الإخبارية التي تتعلق بأي من المنظمات التي ينتمون إليها. وفي بعض الحالات الأخرى يجب على الصحافي أن يسعى لتحقيق أفضل توازن ممكن بين المبادئ المتناقضة، دون أن تغيب عن باله إطلاقاً أهمية السعي إلى الحقيقة وخدمة الجمهور.

القواعد الأخلاقية

وضعت جمعيات واتحادات الصحافة في مختلف أنحاء العالم قواعد أخلاقية لإرشاد وتوجيه عمل أعضائها الصحافيين. ويمكن للقواعد الأخلاقية أن تغطي كل شيء من انتحال أعمال الغير إلى الخصوصية ومن التصحيح إلى السرية. وبعضها موجز ومكتوب بصيغة مبهمة، في حين أن بعضها الآخر طويل وواضح لا إبهام فيه. ويقول كلود جون بيرتران، وهو أستاذ بمعهد الصحافة الفرنسي في جامعة باريس، وقد درس القواعد الأخلاقية من دول عديدة، إن معظمها يشتمل على العناصر الأساسية الثلاثة التالية:

1- القيم الأساسية، بما في ذلك احترام الحياة والتضامن الإنساني.
2- محظورات أساسية، بما في ذلك أن لا تكذب أو تسبب أذى غير ضروري أو تنتحل لنفسك أعمال شخص آخر.
3- المبادئ الصحافية، بما في ذلك الدقة والنزاهة والاستقلالية.

وتكون هذه القواعد أحيانا طوعية لا يتعرض منتهكوها لعواقب واضحة. إلا أنه من المتوقع أن يحاسب أقران الصحافيين الذين لا يتصرفون بطريقة غير أخلاقية وأصحاب المؤسسات التي يعملون فيها على سلوكهم. وتنظر مجالس الصحافة في بعض الدول في الشكاوى المقدمة ضد الصحافيين وقد توصي بإجراءات لتصحيح الأخطاء. كما تلعب مجلات مراجعة ومعاينة التأدية الصحافية دوراً تقويمياً في الكشف عن سلوك الصحافيين الذين لا يتقيدون بالمعايير الأخلاقية ولدى بعض المؤسسات الصحافية موظف يعرف عادة باسم الناظر في الشكاوى يراقب الأخطاء والزلات الأخلاقية ويقوم بدور ممثل للجمهور داخل مكتب التحرير. وفي الدول التي تتطلب انتماء الصحافيين إلى اتحادات أو نقابات أو جمعيات، تشتمل القواعد الأخلاقية على بند لتطبيق القرارات. فمثلا، تضم جمعية الصحافيين الأستراليين لجاناً تحقق في التهم المتعلقة بسلوك الصحافيين غير الأخلاقي، وقد يتعرض الصحافي الذي يثبت انتهاكه للقواعد الأخلاقية للتوبيخ أو الغرامة أو الطرد من الجمعية.

أنظمة قواعد السلوك

تضع الكثير من المؤسسات الصحافية قواعد للسلوك أو معايير خاصة بها تتوقع من الصحافيين العاملين فيها التقيد بها بالإضافة إلى تقيدهم بالقواعد الأخلاقية القومية والإقليمية. وقد تنص هذه القواعد على إجراءات أو نشاطات محددة يشجع عليها أو تحظر على الصحافيين، وأخرى تتطلب موافقة أحد المدراء. وتفرض مؤسسات صحافية كثيرة قيوداً على ما يمكن للصحافيين القيام به أثناء العمل أو خارج نطاقه، والسبب الرئيسي لهذه القيود هو الحفاظ على مصداقية المؤسسات الصحافية. وقد يبلغ الصحافيون والمصورون بصراحة أنه لا يمكنهم التلاعب أو ترتيب الأخبار عن طريق مطالبة الناس بأن يفعلوا شيئا لقصة إخبارية لا يفعلونه عادة.ولا يسمح للصحافيين بإخفاء هويتهم للحصول على قصة إخبارية، ما لم تكن هناك مصلحة عامة واضحة وملحة في كشف المعلومات ولا يمكن الحصول عليها بأي طريقة أخرى. وقد تمنع محطة تلفزيونية صراحة استخدام كاميرات مخفية أو تسجيلات خفية أثناء جمع الأخبار، ما لم يوافق أحد المدراء على ذلك لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة.

ومع ظهور التصوير الرقمي وبدء استخدامه، أضيفت معايير جديدة لمنع تغيير الصور أو الفيديو بأي طريقة قد تضلل الجمهور. وقد أسهمت عدة حوادث حظيت بتغطية واسعة في الدفع إلى وضع هذه السياسات الجديدة، بما في ذلك صورة ظهرت على غلاف مجلة

ناشيونال جيوغرافيك في الثمانينيات من القرن الماضي وقربت المسافة بين أهرامات الجيزة في مصر باستخدام الوسائل الرقمية. ويعالج الكثير من أنظمة قواعد السلوك في مكاتب التحرير قضايا الاستقلال الصحفي.

وقد يحظر على الصحافيين، بهدف تجنب حتى ما قد يبدو وكأنه تضارب في المصالح رغم أنه ليس كذلك في الواقع، تغطية أخبار شركة يملكون أسهماً فيها أو تربطهم مصلحة أو علاقة شخصية بها. ولا يسمح للصحافيين باتخاذ موقف علني حيال قضية سياسية أو دعم مرشح لمنصب علنا. وقد تمنع المؤسسة الصحافية الصحافيين من إقامة علاقة عمل مع أي مصدر يزودهم بالأخبار أو ممارسة أي عمل خارجي لقاء أجر ما لم يوافق على ذلك أحد المدراء.ولشركة الإذاعة والتلفزيون الكندية سي بي سي (دليل معايير مطول يفرض على الموظفين رفض الهدايا. ولا يسمح لهم بقبول أي هدايا سوى الهدايا الودية المتواضعة أو الضيافة التي تقدّم خلال تصريف الأعمال العادية ولا يجوز لموظفي الشركة قبول عروض السفر أو الإقامة لتغطية قصة إخبارية وقد لا يكون من الممكن تجنب كل تضارب محتمل، إلا أنه يتعين على الصحافيين أن يدركوا أنه قد يكون لسلوكهم تأثير سلبي على المؤسسة الصحافية وعندما يشعر الصحافيون بأنه من الممكن نشوء تضارب ينبغي توقع قيامهم بتبليغ رؤسائهم بذلك. ومن الممكن أن يطلب صحافي له علاقة شخصية بقصة إخبارية إسناد مهمته لصحافي آخر وتمارس مؤسسات صحافية كثيرة عادة مطالبة الصحافيين بالكشف عن أي علاقات في قصصهم الصحافية قد توحي بوجود تضارب في مصلحة المؤسسة الصحافية.

رابعاً: الإشكاليات الأخلاقية للمحقق الاستقصائي

إذا لم تقم بانتهاك أي قانون أثناء إجراء تحقيقك، فهذا يعني سلامة عملك من أي شيء غير اخلاقي، اليس كذلك؟ هذا ليس صحيحاً. هناك قواعد أخلاقية تتبعها المؤسسات الإعلامية بشكل مستقل عن القوانين بالإضافة إلى ذلك، فإن الصحفيين غالباً ما يكون لديهم مبادئهم الخاصة التي يقومون بتطويرها على مدار سنوات عملهم في المجال ويقررون اتباعها عند كتابة المقالات. وفي هذه الأوقات المتغيرة، يجب أن تصبح مراجعة قواعدك الأخلاقية وتطويرها جزءا لا يتجزأ من شخصيتك، وأن تتوقف وتفكر في القرارات اليومية،

عموماً، يلتزم الصحفي الاستقصائي بنفس القواعد الأخلاقية التي يتبعها المراسلون الآخرون. ولكن بسبب طبيعة عملهم الحساسة وبسبب الآثار القوية التي قد تترتب عليه، يتعين على المراسلين الاستقصائيين الانتباه بشكل خاص إلى:

- التحقق من جميع المعلومات الموجودة لديهم، والتأكد بعناية فائقة من الحقائق.
- اعطاء الأشخاص موضوع التحقيق فرصة عادلة للرد، والطريقة المثلى هي اللقاء شخصيا لفحص الأجزاء المختلفة من المقالة. إذا رفضوا اللقاء، يتعين اعطائهم الوقت الكافي للرد. لا يعتبر الاتصال بالشخص موضوع التحقيق قبل النشر بليلة واحدة من مبادئ الصحافة الجيدة.
- التعرف على تضارب المصالح المحتمل وكشفه إذا ما وجد.
- لا تقبل نقوداً من أي شخص مطلقا أو تقبل سداد ثمن أية وجبة من احد. هذه من القواعد الأساسية في الصحافة، وقد تقر بعض الثقافات دفع اموال للمصادر من أجل الحصول على معلومات. إلا أن هذه قضية مثيره للجدل وقد تقوض مصداقية تقريرك.5

خامساً: مواثيق الشرف وأدلة السلوك المهني (6):

يعتقد واضعو هذه الأخلاقيات أنه إذا تبنت وسائل الإعلام هذه المبادئ وطبقتها فستزداد مصداقية الصحافة وزيادة ثقة الجمهور بما يعني في النهاية زيادة مبيعاتها واشتراكاتها وإعلاناتها.

ينص إعلان اليونسكو 1978 بشأن إسهام وسائل الإعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي، وتعزيز حقوق الإنسان، ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب على ضرورة نشر وجهات نظر أولئك الذين قد يرون أن المعلومات التي نشرت أو أذيعت على الملأ بشأنهم قد ألحقت ضررا جسيما (المادة 5).

كما ينبغي للمنظمات المهنية وللأشخاص الذين يشتركون في توفير التدريب المهني للصحافيين، إيلاء أهمية خاصة للمبادئ الواردة في هذا الإعلان لدى وضعهم قواعد السلوك المهني الخاصة بهم وضمان تطبيقها (المادة 8).

في العمل الإعلامي هناك عدة مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني:

- دولية: كميثاق شرف الفدرالية الدولية للصحافيين
- اقليمية: مثل ميثاق شرف الصحفي العربي الصادر عن اتحاد الصحافيين العرب.
- داخلية: وهي مواثيق أو ادلة تضعها المؤسسة الإعلامية للعاملين فيها.
- ما يجمع هذه المواثيق هو أنها: نابعة من الإعلاميين انفسهم بدون ضغوطات.
- ليس لها قوة قانونية انها اخلاقية.
- هناك قواسم مشتركة بين مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني تقع ضمن المسؤولية الاجتماعية للصحافي والإعلامي:
- الحقيقة: الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يمتلك جزء منها.
- الدقة والموضوعية والنزاهة.
- فصل الخبر عن الرأي.
- احترام الرأي الآخر: وهو غالبا رأي المعارضة والأقلية، وعلى الإعلام ضمان تعددية الآراء لإيجاد سوق حر للأفكار.
- تضارب المصالح: البحث عن مصالح شخصية، وتقبل الهدايا والهبات.
- الإعلانات: يجب فصل التحرير عن تأثير الإعلانات، عدم نشر الحقيقة مراعاة للمصالح الإعلانية.
- الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.
- ضمان حق الرد.
- إن عدم التزام الصحافي بأخلاقيات المهنة واحترامها قد يؤدي إلى إدانته في بعض القضايا إذا تم رفع قضية ضده.

أما في الصحافة الاستقصائية فإن الالتزام بأقصى درجات النزاهة هو أكثر من واجب مهني، بسبب ما قد تتضمنه هذه التحقيقات من اتهام أناس بالفساد أو سوء الإدارة أو الذم. ويمكننا إضافة مبادئ حول أخلاقيات المهنة للصحافة الاستقصائية تتمثل بما يلي:

1- لا تكذب ابدا
2- لا تسرق (وثائق من مكتب موظف أو مسؤول).

3. لا تنتحل شخصية غير أنك صحفي، كأن تدعي بأنك موظف أو تاجر وغير ذلك. (هناك حالات تجيز فيها بعض المؤسسات ذلك كحل أخير إذا لم تكن هناك أي وسيلة أقل ضرراً للحصول على المعلومات).

4. لا تدفع أية اموال لقاء الحصول على المعلومات خاصة من الموظفين العموميين فقد يعتبر ذلك رشوة بالقانون. (إن دفع اتعاب لمختبر مثلا لتحليل عينة مياه جائز، وكذلك الطلب من مدقق حسابات دراسة ميزانيات معينة أو إفهامك ماذا تعني التحويلات).

5. لا تصور أو تسجل بدون إذن أو تتجسس على مراسلات الآخرين. (في حالات خاصة ربما يضطر الصحفي الاستقصائي إلى التصوير أو التسجيل بدون إذن، بشرط استنفاذ الطرق الأقل ضرراً للحصول على المعلومات).

ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين

يتم اعتماد هذا الإعلان العالمي بمثابة معيار للأداء المهني للصحافيين الذين يقومون بجمع ونقل وتوزيع المعلومات بالإضافة إلى أولئك الذين يقومون بالتعليق على الأنباء أثناء تناولهم للأحداث:

1- احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها هو أولى واجبات الصحافي.

2- خلال أدائهم لعملهم سيقوم الصحافيون وفي جميع الأوقات بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء ونشرها وكذلك الحق في إبداء تعليقات وآراء نقدية بشكل عادل.

3- سيقوم الصحافي بنشر تلك الأنباء وفقا للحقائق التي يعلم مصدره فقط ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.

4- سيستخدم الصحافي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء أو الصور أو الوثائق.

5- سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء.

6- سيلتزم الصحافي بإتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.

7- على الصحافي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي.

8- سيقوم الصحافي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

9- على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها. ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة، وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غيره.

سادساً: معايير التحقيق التلفزيوني الاستقصائي:

هناك بعض المعايير التي يجب مراعاتها عند نشر المعلومات ومنها توثيق المعلومات ومراعاة الدقة والوضوح مع احترام خصوصيات حياة المواطنين واحترام الأديان والعقائد وعدم إثارة النعرات العنصرية والكراهية وتجنب نشر الصور الفاضحة والمفردات المبتذلة وكذلك فصل الرأي عن الخبر وتوفير حق الرد والحفاظ على مصادر المعلومات، وقد حدد (حسن محمد أبو حشيش) جملة من القواعد والمعايير التي تحكم اجراء التحقيقات الاستقصائية ويمكن اجمالها[7]:

1- الانطلاق من خبر حقيقي قيم بعيداً عن الخداع والأكاذيب والقصص المزعومة.

2- يتعين على الصحافي الاستقصائي أن تكون عيناه وأذناه مفتوحتين دوماً، لالتقاط كل خبر وكل معلومة، ويجب عليه أن يستمع لكل ما يدور حوله، ولا يدع أي قصة تفلت منه.

3- جمع الحقائق المخفية ذات الصلة بموضوع الاستقصاء والتأكد من صحتها.

4- ربط الحقائق بعضها ببعض، والتأكد من أنها تشكل معاً أمراً ذا قيمة ومعنى.

5- ضرورة التحقق من الوقائع والمعلومات والتأكد من صحتها، ويجب على الصحافي الاستقصائي

أن يعلم أن تلقي المساعدة في الصحافة الاستقصائية غير متوقع؛ لذلك يجب الابتعاد عن استخدام أية واقعة إلا بعد التأكد جيداً من صحتها ودقتها.

6- يتعين على الصحافي الاستقصائي الاعتماد على أدلة متعددة وملموسة في ذات الوقت، وألا يقتصر على جمع الحقائق، بل يجب جمع الأدلة التي تدعم هذه الحقائق وتؤكدها.

7- يجب الحفاظ على سرية المصادر وحمايتها ما دام ذلك ممكناً.

8- لا يجب أن يقف الصحافي الاستقصائي صامتاً إذا ما تلقى تهديداً، حيث إن كثيرين من المعنيين بتقييد الصحافة الاستقصائية سيسعون لوقف الصحافي الاستقصائي عن إنجاز مهمته، وقد يتلقى في هذا الصدد تهديدات عدة، ومن الضروري إبلاغ المؤسسة، وتقاسم عبء القلق معها؛ حيث سيشكل ذلك حماية إضافية، عدا عن إمكانية الاستفادة من الشاهد على التهديدات في القصة عند إنجازها.

9- تعمل الصحافة الاستقصائية في إطار القانون، وخلافاً لرجال الشرطة لا يمكن للصحافي الاستقصائي أن يستمع لمكالمات الآخرين، أو أن يسجلها دون علمهم، ولا يمكنه دخول مباني دون موافقة مالكيها أو ضد رغبتهم، ويجب أن يعمل الصحافي الاستقصائي في حدود القانون، وأن يبتعد عن استخدام الأساليب غير الأخلاقية للحصول على معلومات.

سابعاً: التحديات التي تواجه أداء العمل الاستقصائي:

هناك العديد من التحديات التي يواجهها المحقق اثناء أداء العمل الاستقصائي يمكن أن تعرقل وتحد من قدرته على انجاز مهمته بنجاح وتنبع هذه التحديات من العوامل السياسية، وطبيعة المؤسسة التي يعمل بها المحقق، ودرجة المصداقية التي تتمتع بها وسائل الإعلام، وتوقيت النشر، ومحتوى تلك التقارير، وتوجهات الرأي العام، وتعتبر هذه العوامل بمثابة المؤشرات التي تؤكد مدى فاعلية وتأثير التحقيقات الاستقصائية، والنتائج التي يمكن أن تترتب عليها، ويمكن تلخيص أبرز التحديات التي تعرقل أداء المحقق الاستقصائي كالآتي:

1- ملكية المؤسسة الإعلامية:

يعد نمط ملكية المؤسسة الإعلامية التي يعمل فيها الصحافي المحقق من العوامل التي تؤثر بشكل مباشر على أداء الصحافي، حيث تؤثر على مستوى الاستقلالية التي يتمتع بها، مما يؤثر بصورة مباشرة على التغطية الصحفية هناك ارتباطاً وثيقاً بين زيادة أو نقص الحرية

الإعلامية وبين نمط الملكية السائد في وسائل الإعلام، فكلما اتسع نمط الملكية العامة أو الحكومية لوسائل الإعلام نقصت مساحة الحرية في هذه الوسائل، وكلما اتسع نمط الملكية الفردية لتلك الوسائل كلما زادت مساحة الحرية فيها، وهذا يعني أن تفعيل دور تلك الوسائل في دعم التطور الديمقراطي مرهون بالبحث عن أشكال جديدة للملكية تستطيع أن تشبع الاحتياجات الإعلامية للجمهور، مثل الملكية التعاونية للإعلاميين، وإنشاء هيئات عامة مستقلة عن السلطات تمتلك وسائل إعلامية جديدة تديرها لحساب المجتمع(8).

وشهدت السنوات الاخيرة تغيير ملحوظ في نمط ملكية المؤسسات الإعلامية، حيث لوحظ هناك اقبال متزايد على استثمار الاموال في ادارة وملكية الشركات الكبرى لوسائل الإعلام وفي مقدمتها الشبكات الإخبارية والقنوات التلفزيونية الخاصة، إذ أن تلك المؤسسات الضخمة تميل إلى تعظيم الأرباح، وبأية طريقة متاحة بها يسمح باستمرار الفساد بدون التحري عنه أو التنقيب عن الممارسات المرتبطة به، كما أدت تلك الملكية إلى تدمير الاستقلالية المطلوبة لكى تمارس الصحافة دورها الإصلاحي والإرشادي المنوط بها،ويظهر تأثير ملكية وسائل الإعلام على حدود ما يعد من تقارير استقصائية، وذلك ليس من خلال التدخل المباشر فقط وإنما من خلال تحديد خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها، إذ يتدخل مالكو المؤسسة في تحديد نبرة النقد، ويحددون السوق المستهدف، كما يتحكمون في الموازنة التحريرية المخصصة لإنجاز المشروعات الاستقصائية وغيرها من الأعباء التحريرية الأخرى، كما أنهم يتعاقدون وينهون التعاقد مع المحررين ورؤساء التحرير وفقاً لأجندتهم الخاصة.

2- المصادر الاعلانية:

يتمثل التحدي الثاني في إمكانية قيام المعلنون بإسكات أصوات الصحافيين، ففي دراسة مسحية توصلت إلى أن 40٪ من المحررين المتخصصين في الصحافة الاستقصائية التي تبث عبر شبكات التليفزيون، أعرب على قدرة المعلنين في التأثير على التقارير الاستقصائية.، وفي مسح أجراه البنك الدولي على الصحفيين ورؤساء التحرير ومسئولي الأخبار التنفيذيين في الولايات المتحدة أشار ما يزيد عن 35٪ بأن الأخبار لا تنشر إذا كانت سوف تضر بعائدات الإعلان، وأن استقلالية وسائل الإعلام مهددة بالخطر من قبل شركات الإعلانات، مما يجعل الخط الفاصل بين الإعلان، ومحتوى المواد المحررة رفيعا جدا(9).

3- تكاليف اعداد التحقيق:

يتمثل العامل الثالث في التكاليف الباهظة التي يتطلبها اعداد التحقيق الاستقصائي، حيث يتطلب موارد كبرى وفريق عمل بدرجة تفوق اعداد التحقيقات التلفزيونية المعتادة، نظراً لطبيعة التعمق في القضايا المرتبطة بها، مما يمثل عبئا كبيرا على المؤسسات الإعلامية التي تعاني من ندرة في المخصصات المالية فضلا عن ان هناك العديد من المؤسسات الإعلامية لا ترغب بتخصيص موارد خاصة ضمن الموازنة التحريرية المخصصة لإنجاز المشروعات الاستقصائية وتنظر لها على انها مشاريع غير ربحية.

4- الملاحقة القانونية:

يواجه العديد من الصحافيين العاملين في مجال التحقيقات الاستقصائية عبئ الخوف من الملاحقات القانونية التي قد تترتب جراء نشر الوثائق السرية أو المعلومات التي تضر بسلامة أمن الدولة وما إلى ذلك من المعلومات المتعلقة بالقضايا الاستقصائية الوثيقة الصلة بأي من المجتمعات أو الاشخاص فضلا عن المتاعب التي يمكن أن تنجم عن وجود قصور في الثقافة القانونية لدى الصحافي وعدم وجود إطار قانوني ينظم حرية تداول المعلومات وقانون حق الاطلاع على المعلومات كذلك التحديات التي قد يواجهها الصحافي اثناء عمليات البحث حيث يتعرض الصحفي للعديد من المخاطر والمضايقات، بجانب التهديدات الموجهة ضده سواء بالاعتداءات أو من خلال الخطابات المجهولة المصدر، أو الكلمات الهاتفية التي تنطوي على التهديد.كما تضع بعض المؤسسات الإعلامية مجموعة من القوانين تمنع من حيازة المعلومات ونشرها، فتلك القوانين لا تؤمن حماية للصحفيين، لذا يتطلب من الصحافيين بإقامة الأدلة على صحة ادعاءاتهم وإلا خسروا القضايا.

إن الكثير من وسائل الإعلام خاصة الصحافة تواجه بجانب الخوف من شن حملة منظمة، وقد تثير العديد من المشاكل، وهذا ما يدفع القائمين على إدارة المؤسسات الإعلامية إلى التخلي عن هذا النوع من التحقيقات الاستقصائية.

ويمكن الاشارة إلى بعض التحديات والعوامل التي تؤثر احيانا على اداء المحقق الاستقصائي وتحد من نشاطه وربما تسهم في عرقلة انجاز المشروع بشكل كامل ومنها: وجود المحاصصة والتوافقات السياسية وعدم وجود معارضة سياسية برلمانية وعدم وجود وعي لدى

المؤسسات الحكومية بأهمية هذا النوع من الصحافة ودورها في التنمية ورصد الأداء العام، وعدم وجود إستراتيجية حكومية مكتوبة أو برنامج حكومي تفصيلي أو تنفيذي معلن. ومن بين التحديات الأخرى التي تواجه الصحافة الاستقصائية هي عدم وجود تقارير سنوية تنفيذية للمؤسسات الحكومية بشكل عام لوصف تنفيذ الخطط والبرامج ونسب التنفيذ.

ثامنًا: معايير التحقيقات الاستقصائية السرية:

تشتمل التغطية الصحافية السرية على إخفاء الصحافي لشخصيته الحقيقية والادعاء في بعض الأحيان بأنه شخص آخر لتيسير الحصول على المعلومات. وتعالج قضاياها من رؤية متطرفة عنيفة، رافضة مختلفة، معبرة عن ثقافات مضادة لثقافات المجتمع التقليدية، وعادة ما تتركز في بعض الصحف غير الجماهيرية أو قليلة التوزيع في المناطق الحضرية وفي الجامعات، والمدارس العلياالثانوية، القواعد العسكرية، وقد قل انتشار هذا التيار مع تغير دوافع ظهوره وبواعثه، فقد شهدت السبعينيات مناخا سياسيا واقتصاديا وفكريا وثقافيا وعلميا مختلفا أفرز صحافة مختلفة ولكن بقيت بعض آثار لهذا التيار الصحفي المتميز إلى يومنا هذا[10].

ومن أولى استقصائيات الصحافة السرية وأكثرها شهرة ذلك الذي قامت به نيللي بلي، والتي ادعت إصابتها بمرض عقلي عام 1887 وقضت عشرة أيام في إحدى مستشفيات الصحة العقلية للسيدات في نيويورك لكشف سوء معاملة المرضى. وتم نشر التحقيق الذي أجرته في "عالم نيويورك"، وأسفر عن إجراء اصلاحات ومزيد من التمويل لمؤسسة الصحة العقلية.

الصحافة الاستقصائية السرية مثيرة ويمكن أن تجذب الكثير من القراء أو المشاهدين. وقد عملت التكنولوجيا الحديثة على تيسير الصحافة الاستقصائية السرية عن ذي قبل. فقد توفرت الكاميرات الخفية بالغة الصغر طراز639 ، ومسجلات الصوت التي يمكن وضعها في أي شيء بدءًا من النظارات وصولاً للأقلام بالإضافة إلى سهولة استخدامها. إلا أن الجدل يدور أيضاً حول المقالات الاستقصائية السرية وذلك من وجهة نظر أخلاقية، وقد تكون محظورة قانونياً في أماكن معينة. وقبل أن تقوم بنشر أحد التحقيقات الاستقصائية السرية[11]:

- قبل الشروع في إطلاق تحقيق مستتر تأكد أنك قد استنفذت جميع الوسائل المتاحة الأخرى لاستقصاء المعلومات
- كن على دراية تامة بالقانون. تحقق من عدم مخالفتك لأي من القوانين.
- تساءل: هل المعلومات التي سوف تحصل عليها قيّمة، وتلعب دوراً هاماً في التحقيق الذي أنت بصدده، وسبباً كافياً لتبرير الخداع وعدم احترام الخصوصية؟
- عند إجراء التحقيقات المستترة، تأكد أنك لا تمارس عملية نصب أفخاخ، أي دفع الشخص موضع التحقيق الذي أنت بصدده لارتكاب الأخطاء.
- ضع دائماً في اعتبارك أن القراء أو المشاهدين قد يجدوا في بعض الأحيان استخدام الصحافة المستترة وسيلة خادعة وبغيضة وقد يؤدي ذلك إلى تعاطفهم مع الأشخاص موضع التحقيق.
- بمجرد أن تقرر أن التحقيقات المستترة لها ما يبررها، ضع خطة مفصلة حول كيفية إجرائها وما الذي تأمل أن تحققه.
- بمجرد استكمال التحقيق، عليك بالكشف عن هويتك وإعطاء الأشخاص موضوع التحقيق فرصة للتعليق على النتائج التي توصلت إليها.

هوامش الفصل السادس

1- د. جمال الزرن، البيئة الجديدة للاتصال أو الايكوميديا عن طريق صحافة المواطن، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 17، تونس: جامعة منوبة، 2012، ص33-35

2- STEELE, Robert M. "The Ethics of Civic Journalism: Independence as the Guide", The Poynter Institute For Media Studies, Juin 1995, document internet, p. 1

3- عماد حسن مكاوي: أخلاقيات العمل الإعلامي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000.

4- ديبرا بوتر، دليل الصحافة المستقلة، مكتب الإعلام الخارجي الامريكي، وزارة الخارجية الامريكية، 2006، ص57-65.

5- هدى عثمان وشيري ريكاردي، صوت الجمهور تغطية الشرق الاوسط، ص40-44.

6- للمزيد انظر:

– نص الميثاق: http://www.ifj.org/en/pages/journalism-ethics

– نص الميثاق: http://www.faj.org.eg/charter.asp

7- حسن محمد أبو حشيش، مصدر سابق، ص15.

8- فاروق أبو زيد، إصلاح الإعلام المصري، مجلة المحيط الثقافي، المجلس الأعلى للثقافة، وزارة الثقافة، العدد 46، أغسطس 2005، ص55.

9- د.عيسى عبد الباقى موسى، معالجة الصحف المصرية لقضايا الفساد-دراسة تحليلية ميدانية، رسالة ماجستير.غير منشورة،كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى بقنا، 2004، ص200.

10- د. محمود سليمان علم الدين، التحقيق الصحفي كشكل من أشكال التغطية الصحفية التفسيرية والاستقصائية،التحقيقات الصحفية الامنية، الرياض، 2010، ص97.

11- مارك هنتر، على درب الحقيقة، الاردن، 2009، ص42-43.

الفصل السابع

علاقة التحقيقات الاستقصائية بمناهج البحث العلمي



يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافي والباحث العلمي
- العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية
- مهارات الاستقصاء الموجه في التحقيق الاستقصائي
- الفرق بين الاستفتاء والتحقيق
- الشبكات والمراكز العالمية الداعمة للتحقيقات الاستقصائية

الفصل السابع

علاقة التحقيقات الاستقصائية بمناهج البحث العلمي

تعد التحقيقات الاستقصائية، سلوك منهجي ومؤسساتي صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصا على الموضوعية والدقة وللتأكد من صحة الخبر وما قد يخفيه انطلاقا من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة كـ"كلب" حراسة على الأداء الحكومي وكوسيلة لمساءلة المسئولين ومحاسبتهم على أعمالهم خدمة للمصلحة العامة، ووفقا لمبادئ قوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات.

فإن التحقيقات الاستقصائية، تركز على "مشاكل متكررة، ولا تعتمد على حادثة واحدة معزولة تؤثر على شخص واحد، وتعمل على تصويب الأخطاء، وتفسر قضايا معقدة". وأن البحث العلمي يتصدى بالدراسة لظواهر ومشاكل تهم المجتمع، اذن فهناك علاقة ما بين الصحافة الاستقصائي والبحث العلمي من حيث تصديهم لظواهر ومشاكل تهم المجتمع، فضلا عن التشابه الكبير في اساليب البحث والتقصي. لذا فقد ظهرت أول مدرسة صحفية في الولايات المتحدة على يد فيليب ماير تدعو إلى ضرورة ايجاد الرؤى المشتركة التي تربط العمل الصحفي الاستقصائي بخطوات البحث العلمي المنهجي بدءا من جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها.

وترى هذه المدرسة أن العمل الصحفي خاصة التغطية الإخبارية بأشكالها المختلفة هو بحث علمي لم يكتمل، أو بحث علمي ينقصه التدقيق في اختيار منهج جمع المعلومات أو أسلوب التحليل والتقييم، في حين يرى البعض النقيض، وهو أن ما يفعله الصحفي هو

مالا يجب أن يفعله الباحث العلمي بل يصل البعض إلى حد اعتبار أن خطوات الصحفي ورؤيته في التفكير والسلوك ينبغي أن تكون البداية التي يجب أن تدرس في مقدمات مناهج البحث لكي يتجنبها أي باحث علمي يريد النجاح في عمله. فما هي الحقيقة في ذلك؟ وما الصلة بين الصحفي والباحث العلمي؟ وما وظيفة كل منهما؟ وما أوجه الاختلاف؟ وهل هناك أوجه تشابه؟ ولماذا تثار هذه الدعوة ويشتد مثل هذا التيار لاستعمال أدوات البحث العلمي في العمل الصحفي، في جمع المادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات منها.

إن الدور التقليدي للصحفي هو نقل الاخبار للجمهور عن الأحداث الراهنة التي تكون مهمة أو ممتعة أو كلاهما، وتحديد أي أحداث مهمة أو ممتعة بشكل كاف للدعوة إلى معالجتها وتغطيتها ونشرها، ويكون الحكم فيها المحرر الصحفي وسياسة الصحيفة التي يعمل بها، وبالطبع يتم اختيار بعض الأحداث، ولا يتم اختيار البعض الآخر.

وفي بعض الأوقات يحاول الصحفيون الذهاب إلى ما وراء التقرير البسيط عن حدث ويحاولون وضع هذا الحدث في إطار يعطيه معنى من خلال الافتتاحيات والأعمدة والتغطية الاستقصائية بينما يكون دور الباحث العلمي هو الوصول إلى معرفة علمية جديدة تأخذ شكل قوانين أو تقارير عامة. فالفارق الرئيسي بين البحث العلمي والمادة الصحفية أو الإعلامية لا يكمن فقط في إمكانية الاعتماد على معلومات ونتائج البحث العلمي، ولا في التقنيات الخاصة بنشر تلك المعلومات، بل إنه يتعلق بمجال المعلومات ذاتها.

أولا : أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافي والباحث العلمي

هناك أوجه تشابه أساسية بين الصحافي والباحث العلمي من حيث المبدأ أو الأهداف العامة ومجال العمل لكل منهم، ولكن يظل الخلاف الأساسي بينهما في المنهج، وأهم أوجه التشابه هي:

- محاولة وصف الحقيقة من خلال تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وجوانب سلوك الفرد وحركة المجتمع.
- وجود قاعدة أو أساس تجريبي وهو المدخل المنهجي الذي يعتمد على الملاحظة أو التجربة المباشرة.

- الاعتماد على التحري Verification كمدخل لجمع المعلومات والبيانات والحقائق.
- الاعتماد بشكل أساسي على اكتشاف دليل أو برهان يتم من خلاله الوصول إلى تقارير أو بيانات، أو أحكام، وهذا الدليل أو البرهان يمكن أن يتنوع من ملاحظة المحرر الأولية لحدث مثل محاكمة قاتل، إلى الاختبار المفصل لفرض عن العدوانية في علم النفس، ففي الحالتين: الأساس امبريقي (تجربي(يعتمد على الملاحظة.
- الموقف المتسم بالموضوعية والموضوعية من الناحية المنهجية عملية اتفاق مراقبين أو ملاحظين أو اكثر على وصف شيء:تجربة أو اجراء أو قياس، هنا يوصف هذا الشيء بأنه موضوعي.

والموضوعي فلسفيا :هو ما تتساوى علاقته بجميع المشاهدين(الملاحظين(برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائلها، بعيدة عن التأثر بأهوائه وميوله ومصالحه فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة. وبالنسبة للصحفي يعني ذلك الوصول إلى تقارير أو بيانات أو أحكام، يمكن تحري دقتها.

بداية عمل كل من الصحافي والباحث العلمي واقعة أو مشكلة أو ظاهرة، ثم بحث عن تفسير لهذه الواقعة أو المشكلة أو الظاهرة من خلال وضع تصور أو فرض، ثم جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع، ولكن الاختلاف والفارق بين الصحافي والباحث العلمي هو مدى الأمانة في جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها وأسلوب جمع المادة أو المعلومات، وهذا ما يدفع الباحث العلمي إلى التشكك في نتائج أي موضوعات صحافية تنشر أو تذاع مثلا لشكه في منهجية البحث وأداة جمع البيانات وأسلوب التحليل.ولكن لماذا تثار الدعوة إلى استعمال أدوات البحث العلمي في المجال الصحافي؟

ثانياً: العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية

هناك اكثر من تفسير لذلك وأكثر تلك التفسيرات منطقية هي:

منافسة وسائل الاتصال الإلكترونية للصحف: حيث أثر التلفزيون على الصحافة تأثيراً كبيراً، واستحوذ على بعض الإعلانات، وعلى جزء من جمهور الصحافة، ودخلت المجلات في

وضع منافسة مع الصحف؛ لأنها أصبحت أكثر تخصصاً وعمقاً وتحليلاً وتفسيراً للمواد الصحافية، إلى جانب التغيرات التي طرأت على عادات وأنماط تعرض الجمهور لوسائل الإعلام فزادت نسبة النخب من المثقفين والمتعلمين، فأصبح الحل الوحيد أمام الجريدة هو مزيد من التعمق في المادة الصحفية لمواجهة المادة المتخصصة المتعمقة التي تقدمها المجلات، فضلا عن منافسة المادة الإعلامية المصورة المتحركة الحية السريعة التي تقدمها محطات التليفزيون، من خلال إعطاء مزيد من العمق للموضوعات، والسعي لوضعها في إطار عريض يعطيها معنى، لكي يحس القارئ بالفارق بينها وبين منافساتها من الوسائل الاتصالية، وعن طريق مزيد من التفسير والاستقصاء والتحري والرجوع إلى الخلفيات والوصول إلى الأسباب والدوافع. إنه عمل أشبه ما يكون بالبحث المتعمق والدراسة المستفيضة.

ثالثا: مهارات الاستقصاء الموجه في التحقيق الاستقصائي:

يتطلب التحقيق الاستقصائي مهارات استقصائية متنوعة لتنمية المفاهيم والتفكير الناقد لدى المحقق الصحافي، وتتمثل في الآتي:

1- مهارة الملاحظة Observation

وهى قدرة المحقق الصحافي على استخدام حاسة أو أكثر (البصر، السمع، اللمس، الشم) لرصد متغير، أو ظاهرة أو دليل أو برهان، وهذا يتضمن مهارة تسجيل الملاحظات واستخدام الأجهزة التي تعينه على تحقيق الهدف من الملاحظة.

2- مهارة القياس Measurement

وهى قدرة المحقق الصحافي على استخدام أدوات قياس موضوعية مقننة لجعل ملاحظاته تتصف بالناحية الكمية للظواهر المختلفة وكذلك القدرة على إجراء الحسابات الخاصة بالقياس.

3- مهارة الاستنتاج Inference

وهى قدرة المحقق الصحافي على ربط ملاحظاته لظاهرة أو المشكلة التي هي قيد الاستقصاء بمعلوماته السابقة عنها، ثم إصدار حكما معينا يفسر به هذه الملاحظات.

4- مهارة الاستقراء:

وهى قدرة المحقق على الوصول إلى تعميمات من خلال مجموعة من الحقائق، أو الملاحظات الجزئية، حيث يتم ربط الشواهد المختلفة ببعضها، ومن ثم الانتقال من الملاحظات الجزئية إلى التعميمات.

5- مهارة التجريب Experimentation

وهى قدرة المحقق الصحافي على تحديد المشكلة بصورة واضحة وإجراء التجارب البسيطة الهادفة، وهذه المشكلة تكون متعلقة بموقف معين حول الأداء الحكومي أو اعمال المسؤولين ومحاسبتهم على أعمالهم التي تضر بالمصلحة العامة، لذا لابد من استخدام الأدوات المناسبة ومن ثم الوصول إلى النتائج،وقد تكون هذه النتائج تأكيديه أو اكتشافيه، وهذه العملية مهمة لأنها تكون المرحلة النهائية في عملية الاستقصاء.

6- مهارة التفسير Interpretation

وهي القدرة على بناء أحكام غير ملحوظة من مجموعة من الملاحظات والأحكام، وفي تفسير هذه الأحكام أو الملاحظات حيث يستطيع المحقق الصحافي إدراك الحقائق بين السطور وهذه مهارة عقلية عالية، يمكن تطويرها بالتدريب المستمر، كما تتضمن مهارة التفسير، القدرة على تفسير جداول المعلومات بعد تصنيفها والمقارنة والتحديد.

7- مهارة التنبؤ Prediction

وتعني هذه المهارة القدرة على صياغة ما يمكن أن يحدث مستقبلاً بناء على الملاحظات السابقة، وهي تتضمن تصوراً عقلياً. يستخدم كل ما يتوفر للمحقق من معلومات في ضوء إلا تساق التي تسير عليه الأحداث. وبهذه التوقعات يستطيع الفرد أن يربط المشكلة التي يقوم بتغطيتها ويضعها في سياق التوقعات والفرضيات الموجودة لديه.

8- مهارة صياغة الفرضيات Formulation of Hypothesis

تعتمد مهارة صياغة الفرضيات على التنبؤ، لأن الفرضية هي توقع بسيط. وتحتاج مهارة صياغة الفرضيات إلى قدرة كبيرة على التعبير عن الحلول المتوقعة تعبير صحيح لا يقبل التأويل. فالفرضيات الخاطئة يتم استبعادها في عملية الفحص والمراجعة.

وتحدد الباحثة مها فالح بعض الخصائص المشتركة ما بين الصحافي والباحث العلمي وتتمثل في:

1- التشكيك: وهو يعني أن الصحافي يخضع أي شيء للملاحظة للتأكد منه.

2- المطابقة: حيث أن الصحافي يوثق بحثه عن الحقيقة بالمعلومات والوثائق، بحيث إذا تتبع المحققون والعلماء الخطوات فإنهم يتوصلون إلى نفس النتائج.

3- غريزة التفعيل: ينظر الصحافي للأشياء من باب أنها حالة للدراسة يمكن ملاحظتها والتحقيق فيها.

4- التحقق: أي إمكانية التأكد من تحقق الحكم على موضوع الدراسة وإمكانية الوصول إلى أرقام نسبية.

5- البساطة: أي اختيار الصحافي لأبسط الطرق للوصول إلى الحقائق والحلول للظواهر التي يناقشها.

رابعاً: الفرق بين الاستفتاء والتحقيق

هناك شكل صحافي مستقل يسمى الاستفتاء الصحافي أو سبر آراء ويتمثل في تجميع رأي مجموعة من المواطنين من مختلف الفئات والاتجاهات حول موضوع محدد ويكون عادة في شكل سؤال واحد يطرح على عدة أفراد وتنشر الإجابة بصفة مختصرة مرافقة لصورة شخصية مع ذكر الاسم والصفة. ويمكن للتحقيق أن يشتمل على استفتاء ولكن لا يجب أن يقتصر على ذلك لأن مادة الاستفتاء وإن كانت مخبرة بالقدر الكافي، فهي لا تكفي للوصول إلى هدف التحقيق في التفسير وفهم أسباب المشكلة المطروحة.

وأخيرا فإن الاستفادة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي في التصدي لموضوع معين، هي بمثابة مجموعة من المراحل التي تتميز بالتسلسل والتتابع من ناحية وبالتداخل والترابط من ناحية أخرى، وهذه هي اوجه التقارب بين الاثنين.

خامساً: الشبكات والمراكز العالمية الداعمة للتحقيقات الاستقصائية:

إن اهتمام الصحافيين الامريكيين بالتحقيقات الاستقصائية يفوق اهتمام بقية الصحافيين في العالم، فمن ضمن خمسين شبكة دولية استقصائية في العالم توجد في امريكا لوحدها 14

شبكة متخصصة بالصحافة الاستقصائية وكانت أول ثلاثة شبكات دولية في العالم هي امريكية.

ومع تنامي الحاجة إلى تحقيقات العمق، وتنامى الاحساس بضرورة، إيجاد سبل العمل المشترك بين المؤسسات والصحافيين الذين يكرسون جهودهم لمحاربة الفساد، انتشرت الشبكات والمراكز التي تعنى بالصحافة الاستقصائية في العالم.

ففي عام 1997 تأسس التحالف الدولي للصحفيين الاستقصائيين على يد (مركز الشمولية العامة) وهو الان يضم 158 صحفيا ينتشرون في 61 بلدا بعد أن أنضم له 41 صحفيا في بداية عام 2012.

وقدم التحالف لأعضائه امكانية التشارك مع زملاء يعملون في مناطق تخشى فيها مصادر الاخبار من الكشف عن نفسها، أو تكون حرية الصحافة مقيدة لدى التقصي عن الجرائم أو الفساد كما يتعاون التحالف مع شبكة عالمية من منظمات ومؤسسات صحفية غير ربحية ويوسعها أن توفر للمحتاجين تدريبا وتمويلا لتحقيقات يعملون عليها، وكان من ثمار التعاون عبر التحالف نشر مصادر وتقارير على شبكة عالمية من وسائل الاعلام الشريكة، ومن ضمنها شبكة BBC العالمية، وصحف فولهان سان باولو في البرازيل ونوفايا جازيت الروسية.

ومن هذه الشبكات (منظمة 100 مراسل) التي انطلقت في نيويورك بداية شهر نوفمبر من عام 2011 وتتألف هذه الشبكة، من صحفيين دوليين مهنيين ومن محررين كرسوا أنفسهم للتصدي للفساد ومساءلة الحكومات في أنحاء العالم، اذ يقوم أكثر من 80 صحفيا في مجال الصحافة الاستقصائية ومن العاملين في منظمات إخبارية عالمية بتغطية أخبار تتنوع من الجرائم الدولية والدعارة وغسيل الأموال وتهريب الأسلحة إلى عمليات الابتزاز والرشوة المتفشية، و سهلت هذه المنظمة الكثير من التحقيقات الاستقصائية، أطلقت المنظمة مجموعة من المراسلين الأجانب المخضرمين في جريدة نيويورك تايمز لتشجع الراغبين في خوض غمار الصحافة الاستقصائية وتمكنهم من كشف جوانب الفساد في ألمانيا وهي من الدول المتقدمة في الصحافة الاستقصائية تأسست عام 2001م شبكة التحري الصحفي وتضم في صفوفها أكثر من 500 صحفي، تقدم هذه الشبكة المنح للصحافيين وتخصص لهم المرشدين اذا استوجب الامر من اجل تقديم اعمال استقصائية مهمة وبدعم منها تمكن الصحفي (لوتس موكي) في نيسان 2003م من تقديم ملف في جريدة (دي تسايت) عن المجاعة في افريقيا كشف فيه ان

المجاعة ليست ناتجة عن الجفاف كما صرح بذلك الناطق الرسمي باسم الامم المتحدة،واكد فيه ان في اثيوبيا ما يكفي من الماء.

كما ظهرت العديد من المراكز التي أدت دور مهم في دعم الصحافة الاستقصائية، وكان اول هذه المراكز ظهورا هو صندوق الصحافة الاستقصائية (FJI) اختصارا ل (The Fund for Investigative Journalism) أُسس هذا المركز في عام 1969 (فيليب ستيرن) Philip M. Stern " وكان (ستيرن) يرى ان استثمار اموال قليلة في مجال الصحافة الاستقصائية من الممكن ان يسفر عنه نتائج هائلة في مجال مكافحة العنصرية والفقر وجشع الشركات والفساد الحكومي، وبالفعل تمكن من اثبات صدق رأيه في اول عام لانطلاق الصندوق فقد منح الصندوق 2250 دولار امريكي للصحفي سيمور هيرش مكنته من تغيير الرأي العام الامريكي إزاء الحرب في فيتنام عن طريق تقديمه تحقيقاً كشف فيه مذبحة "ماي لاي" و انفق هذا الصندوق منذ انطلاقته أكثر من(1.5) مليون دولار مول فيها أكثر من (700) تحقيقا صحافيا استقصائيا و(50) كتاباً استقصائيا، يترأس ادارة الصندوق الان "Brant Houston" من جامعة ليون ويتكون كادرها الاداري من مجموعة من اساتذة كليات الاعلام وعدد من الاعلاميين من مؤسسات اعلامية مختلفة.

وفي عام 1975 تأسست في امريكا ايضا منظمة المحررين والمراسلين الاستقصائيين (IRE) وهي اختصار لـ (Investigative Reporters and Editors) على يد اربعة صحفيين هم (ماتري بالم، وهارلي بيرس من جريدة بولتزر، وبول وليامز من جريدة صن، ورون كازول من جريدة شيكاغو تريبون) عقد هؤلاء الأربعة مؤتمرهم الاول في فرجينيا وانضم لهم عدد كبير من الكتاب والصحافيين لإنشاء منتدى يمكن الصحافيين في أنحاء العالم من التعاون عن طريق تبادل الأفكار والخبرات، وتقنيات جمع الاخبار والمصادر من اجل تحسين نوعية التقارير والتحقيقات الصحفية، ودعمت كنيسة "تلامذة المسيح" فكرة المنظمة بمنحها 5278 دولاراً مكنت الشبكة من عقد مؤتمرها الثاني الذي انضم له 300 صحفي من دول عدة، توفر المنظمة لأعضائها امكانية الوصول إلى الآلاف من التقارير والوثائق والمعلومات السرية وغيرها من المواد عن طريق مركز للموارد كما تقوم باستضافة المؤتمرات وتوفر التدريب اللازم والموارد التي تدعم الصحفيين الاستقصائيين، وتعزيز المعايير المهنية العالية، وحماية حقوق الصحفيين الاستقصائيين.

وفي عام 1977 اسس ثلاثة صحافيين هم (لويل بيرجمان و ديفيد وير ودان نوييز) في اوكلاند مركز المراسلين الاستقصائيين The Center for Investigative Reporting في كاليفورنيا وقد قدم المركز مجموعه من الاعمال المتميزة في الصحافة الاستقصائية كان اولها تحقيق ما وراء الحزب The Party's Over عام 1978 الذي نشر في التايمز وكشف التحقيق تحول حزب الفهود السود the Black Panther Party إلى عصابة اجرامية، وفي عام 1979م نشر المركز مجموعه تحقيقات عن الجرائم حملت اسم The Boomerang Crime بمعنى الجرائم المرتدة حصل عن طريقهاعلى جوائز عديدة، وقد تناولت القصص الشركات الامريكية المبيدات المحضورة إلى دول العالم النامي والتي تعود فيها بعد لأمريكا في الاغذية المستوردة، و في عام 1980م قدم المركز تحقيقا مهما باسم عملية كوخ الوغم (Operation Wigwam) كشف فيه تغطية المسؤولين الامريكيين على الاثار الصحية الناجمة عن التجربة النووية التي اجريت تحت الماء قبالة سواحل سان ديغو عام 1955م، وقد حضي التحقيق اهتمام وسائل الاعلام الامريكية بشكل واسع،كما قدم هذا المركز الدعم والتدريب للصحافيين الاستقصائيين منذ بداية تأسيسه وكان السبب في ظهور العشرات من التحقيقات والأفلام الوثائقية التي فضحت الفساد والتي حصلت على جوائز عالمية مختلفة.

وتعد هذه المراكز الثلاثة (CIJ ,FIJ,IRE) من اقدم المراكز في العالم وقد شكلت إنجازاتها الكبيرة حافزا لظهور مراكز استقصائية اخرى في امريكا والعالم تجاوزت الان 54 مركزاً وشبكة.

وفي بريطانية تأسس مركز الصحافة الاستقصائية (CIJ) اختصار The Center for Investigative Journalism، في عام 2003 وذكر المؤسسون للمركز انه جاء إلى الوجود لمعالجة أزمة متفاقمة في التحقيقات الصحفية، ويوفر المركز التدريب على مستوى عال وموارد وبحوث للصحفيين والباحثين والمنظمات غير الحكومية والأكاديميين وطلاب الدراسات العليا وغيرهم من المهتمين في النزاهة العامة والدفاع عن المصلحة العامة كما يقدم المركز المساعدة للصحفيين الذين يعملون في بيئات صعبة، يضم المركز في صفوفه عدد كبير من الاكاديميين ويقدم الدورات للصحفيين في مجال الصحافة الاستقصائية.

كما تأسس في لندن عام 2010م مركز متخصص بالصحافة الاستقصائية باسم مكتب

التحقيقات الاستقصائية في لندن "the bureau of investigative journalism" وهو منظمة غير ربحية مقرها في جامعة سيتي من اجل تقديم تحقيقات صحفية عالية الجودة ويعد المكتب الثاني من نوعه في المملكة المتحدة، تم تأسيسه بعد ان قدمت مؤسسة ديفيد والين بوتر هبة مقدارها مليوني جنيه استرليني، وفي الاشهر القليلة التي تلت تأسيس المكتب تمكن من ان يحقق وجودا على الصفحات الاولى من الجرائد المهمة عن طريق ما قدّمَه من تحقيقات، و للمكتب تعاون مع موقع (ويكيليكس) في نشر وثائق حرب العراق حصل عن طريقها على جائزة من منظمة العفو الدولية، يرتبط المكتب بشراكات عمل مع أكثر من مؤسسة اعلامية صحفية وتلفزيونية منها هيئة الاذاعة البريطانية في ملف بي بي سي بانوراما، لبي بي سي، الإرساليات Channel4، أخبار Channel4، وفاينشال تايمز، جريدة الديلي تلغراف، صنداي تايمز، لوموند، والعديد من المؤسسات.

أما في الدنمارك فقد تأسس مركزان للصحافة الاستقصائية هما مركز Danish (Association for Investigative Journalism) وشبكة سكوب (SCOOP) - Scoop (Network for Investigative) journalist in East and Southeastern Europe وهي شبكة للصحافة الاستقصائية في شرق وجنوب شرق أوروبا تقوم بدعم وتمويل العاملين في الصحافة الاستقصائية في كل من (البانيا، البوسنه والهرسك، روسيا البيضاء، بلغاريا، كرواتيا، مولدافيا، مقدونيا، الجبل الاسود، رومانيا، صربيا، اوكرانيا) أسستها جمعية الصحافة الاستقصائية الدنماركية (FUJ) في عام 2003، ومنذ تأسيس الشبكة تمكنت من تقديم عدد من الاعمال الاستقصائية إلى وسائل الاعلام في دول عدة وقد فازت شبكة سكوب بجوائز عدة عن التحقيقات التي اجرتها في أوكرانيا ومقدونيا ورومانيا.

أما في الوطن العربي فتأسست شبكة أريج في الاردن عام 2005 وهي تدرب الصحافين وتدعمهم لإنجاز اعمال استقصائية في العالم العربي، كما نشطت شبكة أريج بعقدها المؤتمرات السنوية لتنمية الشعور بضرورة ايجاد و تطوير هذا النوع من التحقيقات الاستقصائية، فضلا عن ذلك عقدت ورش عمل من اجل اعداد صحافيين استقصائيين ومدربين من البلدان العربية المختلفة اقتصرت في البداية على الاردن وسوريا ولبنان ثم توسعت لتشمل عدد أكبر من الدول، كما قامت الشبكة بمساعدة الصحافيين لتقديم اعمال استقصائية مختلفة.

وتترك الشبكة للصحفي أو المؤسسة الإعلامية المشاركة معها اختيار الموضوع وتقدم المساعدة على إنجاز تلك الاعمال عن طريق المشاركة في دورات تدريبية أو ضمان تكاليف الاستشارات القانونية، التي تؤكـد تطابق التحقيق مع القوانين السائدة في البلد المعني، فضلا عن ضمان النشر لاحقا لأنها ترتبط بعلاقات دولية مع شبكات اخرى مثل (SCOOP) الدنماركية.

وفي العراق تأسست شبكة (نيريج) (nirij) اختصار ل" network of Iraqi reporters for investigative journalism، في مدينة السليمانية في ايار 2011 بدعم من مؤسسة دعم الاعلام الدولي (IMS) وهي أول شبكة متخصصة بالصحافة الاستقصائية في العراق، ترمي إلى تدريب صحافيين العراقيين والتمويل والأشراف على التحقيقات الاستقصائية، و تضم 11 من الصحافيين العراقيين المتخصصين بالصحافة الاستقصائية والذين حصلوا على جوائز على المستوى العربي والعالمي وهم كل من (كورال نوري، ميادة داوود، خلود العامري، باسم حنا، خضر دوملي، دانا اسعد، دلوفان برواري، سامان نوح، علي الزيدي، عمار الصالح، محمد مسير الربيعي).

تعد شبكة نيريج التجربة الاولى لمراكز وشبكات الصحافة الاستقصائية في العراق وبداية مرحلة جديدة تقوم على تبني أساليب منهجية وعلمية في العمل الصحافي، وعملت منذ تأسيسها على توفير الدعم التحريري والمالي والاستشاري للصحفيين الاستقصائيين العراقيين، لإنجاز تحقيقات معمقة تستند إلى البحث عن الحقائق الموثقة والمدعومة بالمصادر المتعددة وثيقة الصلة بالموضوع قيد الكشف.

فضلا عن إنجاز التحقيقات الاستقصائية المعمقة تقوم (نيريج) بتحسين مهارات الاستقصائيين العراقيين والعمل على نشر ثقافة التقصي في الصحافة العراقية وتتابع قضايا الفساد المالي والإداري، وتؤشر الانحرافات في السلوك الرسمي والمدني والانتهاكات التي ترتكب تجاه شرائح متعددة من المجتمع العراقي.

وتعمل (نيريج) في هذا السياق على مساعدة الصحفيين الاستقصائيين في العراق على اختيار تحقيقات معمقة تتناول قضايا الفساد المالي والإداري والانتهاكات المجتمعية، والعمل على استكمال الفرضيات الخاصة بتحقيقات الصحافيين الاستقصائيين وتمويل كلف التحقيقات

المالية من ترجمة وثائق ونقل وإقامة وفحوصات مختبرية واستشارات وطباعة واتصالات وسائر العمليات التي يحتاجها إنجاز تحقيق استقصائي معمق.

وتسعى الشبكة، عن طريق خططها السنوية ونصف السنوية، على توفير فرص تدريب داخل العراق وخارجه للصحافيين الاستقصائيين العراقيين، وتأهيل عدد من الصحافيين المتميزين لألحقاهم مستقبلا بعمل شبكة نيريج مشرفين أو مدربين، وتقدم نيريج للصحافي العراقي مجموعة من الخدمات لاستكمال اي تحقيق معمق يستند إلى منهجية محترفة وقائم على كشف الحقائق للجمهور.

كما اصدرت شبكة نيريج مجلة ورقية باسم (نيريج) بثلاثة لغات عربية وكردية وانكليزية صدر إلى الان عدد واحد منها فقط.وارتبطت شبكة نيريج العراقية مع شبكة أريج الاردنية باتفاقية تعاون، تضمنت الاتفاقية تعهد شبكة أريج بتقديم ورشات عمل لأعضاء شبكة نيريج وصحفييها، وتدريبات على استخدام الحاسوب لتنظيم المعلومات وحماية الوثائق فضلا عن تقديم دورات تبعا لحاجة اعضاء شبكة نيريج من ناحية النوع والحجم والمدة الزمنية ويكون التدريب أما في أربيل أو السليمانية أو في العاصمة الاردنية عمان لحين استقرار الاوضاع الامنية في بغداد.

وأهم ما في هذا الاتفاق ان يكون هناك اشتراك بين الشبكتين في إنجاز التحقيقات الاستقصائية عابرة للحدود بين اعضاء نيريج وزملائهم في دول انتشار شبكة أريج التسعة او إنجاز تحقيقات ذات ابعاد خاصة تنجز داخل العراق، شرط موافقة الطرفين وفق فرضية يتم الاتفاق عليها بين الطرفين

كما تم تأسيس المركز العراقي للصحافة الاستقصائية في 8/ 8/ 2012 بدعم من الجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الصحافيين، التي يرأسها إبراهيم السراجي ويضم في عضويته مجموعة من الإعلاميين والمهتمين بالصحافة الاستقصائية.

هوامش الفصل السابع

1- محمود علم الدين، وليلى عبد المجيد، فن التحرير الصحفي للجرائد والمجلات، القاهرة: دار السحاب للنشر التوزيع، 2004، ص180.

2- شفق نيوز (2012): الصحافة الاستقصائية ودورها في مكافحة الفساد، تجده على الرابط:

http://www.shafaaq.com/sh2/reports-investegations/110-reports-and-investigations/45457-

3- د. محمود سليمان علم الدين، ضوابط التحقيقات الصحفية الأمنية، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2010، ص68- 77.

4- مها فالح، ما هي الصحافة الاستقصائية، مصدر سابق، ص15-20.

5- عبد الحليم حمود، الصحافة الاستقصائية الفضيحة الكاملة، ط 1، دار المؤلف للنشر والتوزيع، مركز الدراسات والترجمة، بيروت، لبنان، 2010.

6- د. نبيل الشريف، التحري الصحفي، عمان، مركز الافق الثقافي، 1996، ص89.

7- فراس حسين الياسي، الصحافة الاستقصائية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاعلام، 2013.

8- انظر: الموقع على الرابط http://www.loganfdn.org

9- انظر:الموقع على الرابط http://www.tcij.org/about-2

الفصل الثامن

التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي

يناقش هذا الفصل العناصر التالية:

- واقع التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي
- دور التحقيقات التلفزيونية الاستقصائية في الكشف عن الفساد
- واقع التحقيقات الاستقصاية في العراق
- شهادات حول تجارب العمل الاستقصائي
- تقويم لبعض التجارب المهنية في الصحافة الاستقصائية
- نماذج من التحقيقات التلفزيونية الاستقصائية

الفصل الثامن

التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي

أولا: واقع التحقيقات الاستقصائية في العالم العربي

تبقى الصحافة مهنة البحث عن المتاعب، وبالنسبة لمن يعمل في الموضوعات الاستقصائية تلازمه المتاعب في كل خطوة، بدءً بالفكرة، مرورا بتنفيذها، وانتهاء بالحفاظ على جوهر الموضوع، دون تدخل من إدارة المؤسسة الصحفية. وتجري الظروف الصحفية في البلاد العربية -غالبا- ضد العمق في التغطية، لأن إنجاز الموضوع المتعمق يتطلب مالا أكثر، ومدة أطول وربما ملاحقات قانونية، بعكس المدرسة الصحفية التقليدية التي تقوم على إنجاز أكبر عدد من الموضوعات بأقل تكلُفة. لذا اقتصر نشاط التحقيقات الاستقصائية على بعض المحاورات الفردية.

ويرجع البعض تاريخ دخول فن الصحافة الاستقصائية إلى المنطقة العربية إلى النصف الأول من القرن الماضي، وكانت أكبر تجلياته إماطة اللثام عن فضيحة الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته للعدوان الصهيوني عام 1948، تلك الفضيحة التي فجرها الكاتب الصحفي احسان عبد القدوس عام 1949، حيث نشرت مجلة روز اليوسف تحقيقا استقصائيا لإحسان عبد القدوس كشف فيه معلومات عن صفقة الاسلحة الفاسدة المستخدمة في حرب عام 1948م إلى الرأي العام و فضح فيها الفساد الذي وصل إلى المتاجرة بدماء جنود مصر في أرض المعركة، و نجحت المجلة في وقتها في تكوين ضغط شعبي كبير اضطر معه وزير الحربية (مصطفى نصرت) في ذلك الوقت أن يقدم بلاغا للنائب العام لفتح تحقيق فيما نشرته (روزا ليوسف) ذي العدد 149 بتاريخ 20 يونيو عام 1949م عن صفقات الأسلحة الفاسدة في حرب فلسطين، وبعدها قام النائب العام محمود عزمي بفتح باب

التحقيق في القضية، و انقسمت القضية على شقين، قضية اتهام أفراد الحاشية الملكية، و قضية اتهام أفراد من الجيش و المدنيين، و قضي الحكم ببراءة المتهمين كلهم من التهم المنسوبة لهم، ما عدا اثنين منهم حكم عليهما بغرامة 100 جنيه لكل منهما. وعدها البعض أحد أسباب التغير في الحياة السياسية المصرية عام 1959، لكن التحقيقات الاستقصائية تعرضت للخفوت خلال العقود التالية، إلى أن انتعشت بشكل نسبي مرة أخرى مع عودة نظام التعددية الحزبية بمصر عام 1967، إذ أدت الصحف دورا مهما في الكشف عن الفساد لبعض كبار الوزراء والمسؤولين الحكوميين في مصر، بل وإقالتهم.

كما برزت في التسعينيات من القرن الماضي حركة نشطة لبعض المؤسسات الاعلامية العربية في مجال انتاج التحقيقات الاستقصائية التلفزيونية ظهرت بوادرها في انتاج قناة الجزيرة القطرية تحقيقا استقصائيا عن موضوع الجمرة الخبيثة الذي كان محل اهتمام دولي آنذاك بعد تسريب معلومات عن تورط الحكومة البريطانية السابقة في تسهيل تصدير مواد مزدوجة الغرض إلى العراق وقتها كان محظور تصدير تلك المواد المدنية التي يمكن تطويعها للأغراض العسكرية 1998/4/14 أعد التحقيق الصحفي المصري (يسري فوده)، ويعد هذا التحقيق أول تحقيق استقصائي تلفزيوني، وقد حصل على جائزة التحقيقات في مسابقات مهرجان القاهرة للإنتاج الإذاعي والتليفزيوني عام 1998م. ان تحقيق الجمرة الخبيثة هو اول حلقة من برنامج (سري للغاية) الذي استمر لسنوات وطرح موضوعات مثيرة منها (الطريق إلى 11 سبتمبر، وأرواح واشباح و الزئبق الاحمر، و حركة الماسونية، و موت الرجل الثاني، و وكر الجواسيس، و البحث عن الصوفية، و مثلث الغضب...الخ

وارتبطت قناة الجزيرة بعلاقة تعاون مع موقع ويكيليكس وانتجت برامجا بالتعاون معه، وكان للجزيرة سبق اخر في مجال الصحافة الاستقصائية على المستوى العربي تمثل باستحداث موقعٍ باسم كشاف الجزيرة (وحدة الجزيرة للشفافية) يستقبل الموقع الوثائق والمعلومات من المصادر المختلفة ويقوم بدراستها وتقصي معلوماتها ويعرضها بعد التحقق من صدقها.

كما انتجت قناة العربية الاخبارية العديد من البرامج الاستقصائية التي تناولت قضايا فساد مختلف، ومن ابرزها برنامج صناعة الموت الذي بدأ في عام 2006 الذي يعده الصحفي المصري علي بريشة وتقدمه المذيعة اللبنانية ريما صالحة وهو برنامج يعنى بشؤون الارهاب

وقد تناول البرنامج مواضيع الإرهاب والتنظيمات والحركات المتطرفة مثل تنظيم القاعدة ومن البرامج الاستقصائية التي انتجتها قناة العربية برنامج (مهمة خاصة) إذ عملت الصحافية (كلود ابو ناضر) الخبيرة في مجال التحقيقات الاستقصائية على انتاج وتقديم برنامج (مهمة خاصة) من عام 2004-2009 ولا يزال البرنامج مستمرا وبشكل منتظم، تجاوزت حلقات البرنامج إلى الان 300 حلقة تناولت قضايا مختلفة وتقدم بشكل اسبوعي منتظم كل يوم جمعة

ولقد عرض البرنامج موضوعات مهمة نذكر منها على سبيل المثال، سيمفونية الحزن، و بعد عرس الديمقراطية، و تجار الكهرباء في العراق، و الثورة المصرية لم تكتمل، وتحت الرماد، و حنين من الجولان، و العبودية في موريتانيا، و عندما يفقد الامل، و 10 سنوات بعد 11 سبتمبر.

كما يعد برنامج تحقيق في (قناة MTV) الذي تعده وتقدمه كلود ابو ناضر من البرامج التلفزيونية العربية التي اتخذت من التقصي والبحث المعمق اسلوبها للوصول إلى الحقائق، بدأ البرنامج في عام 1998 وهو وقت قريب من بدايات برنامج سري للغاية ليسري فودة،تناول البرنامج موضوعات مهمة ومثيرة عن الواقع اللبناني مثل موضوع الدعارة في لبنان وأدى هذا البرنامج إلى تغييرات عده في الواقع اللبناني لتجاوب السلطات مع ما يطرحه، حقق البرنامج اعلى نسبة مشاهدة، وحصلت كلود ابو ناضر على جوائز تقديرية عدة منها اختيارها كشخصية عام 2011 في مجال الإنجازات المتميزة من المنظمة العربية للتنمية الادارية في جامعة الدول العربية عام 2011 كما حصلت على جائزة تقديرية من (جامعة نوتردام) في لبنان لمسيرتها المهنية في مجال الاعلام.

وقد خصصت قناة الجديد اللبنانية حيزاً كبيراً في نشراتها الإخبارية للتحقيقات الاستقصائية، ويعد البرنامج الأسبوعي (تحت طائلة المسؤولية) من البرامج الاستقصائية المهمة، البرنامج من إعداد وتقديم رياض قبيسي ورامي الأمين، ويقول رئيس وحدة التحقيقات الاستقصائية في القناة رياض قبيسي، إن المقصود بالمسؤولية هنا فعل مطلق، وهي مسؤولية الفاسد وغير الفاسد على حد سواء.تتناول كل حلقة من البرنامج قضية فساد، وقد يمتد البحث ليطال قضيتين في الحلقة الواحدة.

دخلت التحقيقات الاستقصائية العربية مرحلة جديدة بعد ظهور شبكة أريج (ARIJ) في الاردن في عام 2005م وشكل ظهورها بداية لحراك واسع في الاستقصائية العربية في السنوات الاخيرة، فقد احدثت اثارة واسعة وإنجازات مهمة في الصحافة الاستقصائية العربية، وشكلت حافزا لظهور اعمال استقصائية عربية كثيرة في مصر والعراق وسوريا والأردن واليمن والسودان والمغرب، وظهور مراكز جديدة تعنى بالصحافة الاستقصائية مثل، (رابطة الصحافيين والإعلاميين الاستقصائيين السودانية)، و(نيريج: الشبكة الاستقصائية العراقية)، كما كانت حافزا لظهور صحف ومجلات عربية متخصصة بالصحافة الاستقصائية مثل مجلة نيريج في العراق وجريدة العاصمة في مصر وجريدة الخبر في موريتانيا. نشطت شبكة أريج بعقدها المؤتمرات السنوية لتنمية الشعور بضرورة ايجاد و تطوير هذا النوع من العمل الاعلامي، فضلا عن ذلك عقدت ورش عمل من اجل اعداد صحفيين استقصائيين ومدربين من البلدان العربية المختلفة اقتصرت في البداية على الاردن وسوريا ولبنان ثم توسعت لتشمل عددا أكبر من الدول، كما قامت الشبكة بمساعدة الصحفيين لتقديم اعمال استقصائية.

وقد قدمت شبكة أريج العديد من التحقيقات الاستقصائية، في الاردن، ومن الملاحظ وجود تجاوب من قبل السلطات الاردنية مع شبكة أريج فغالبا ما تقوم السلطات بمتابعة تحقيقات أريج وتجري على اثرها تحقيقات رسمية، وتعاقب المقصرين نذكر من تلك التحقيقات التحقيق الذي قدمته الصحفية (حنان خندقجي) الذي كشفت فيه عن وجود اعتداءات جسدية ولفظية على أشخاص ذوي إعاقة داخل دور رعاية خاصة والذي كشفت ووثقت فيه وجود انتهاكات جسدية ولفظية (ضرب، شتائم، إساءة وإهمال) بحق عدد من الطلاب ذوي الإعاقة من نزلاء عدد من دور الرعاية الخاصة في الأردن، وكان من نتائج هذا التحقيق ان قام الملك عبد الله بزيارة مركز (ابن خلدون) بعد سويعات من نشر التحقيق في جريدة الغد الاردنية وبث في فضائية ال (BBC) وتشكلت على اثر تلك الزيارة لجنة لتقصي الحقائق وقدم على اثره وزير التنمية اعتذارا وتبع ذلك مجموعة من الاجراءات من شأنها ان تحسن وضع ذوي الاحتياجات الخاصة.

وبالرغم من ذلك تظل الحقيقة الماثلة، وهي أن الصحافة الاستقصائية، تعاني من محدودية الانتشار في العالم العربي، ويرجع ذلك إلى نوعين من العوامل، الأول مرتبط ببيئة العمل الصحافي، بينما يرتبط الثاني بالتحديات التي تواجه الصحافي نفسه.

1- محدودية ثقافة العمل الاستقصائي بالوسط الصحافي:

ما لا يدركه كثيرون أن التحقيقات الاستقصائية هي مدخل لبقاء وسائل الاعلام عموما، على قيد الحياة، كما أنها ضرورة لنهوضها وتطورها، في ظل التحولات الكثيرة التي تواجهها، لا سيما تحديات الإعلام الفضائي، والإلكتروني.

بل يمكنها أن تحدث تغييرات جوهرية في الاوضاع السياسية للبلدان، لم لا وقد أسهمت في إحداث تغيير كبير في مناطق مختلفة من العالم، خاصة على مستوى محاربة الفساد والاستبداد، وقد ذكرنا في مواضع مختلفة من هذا الكتاب امثلة عديدة اسهمت التحقيقات الاستقصائية في احداث تغييرات سياسية ومنها على سبيل المثال، إسقاط الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون من الرئاسة، بعد أن تقدم باستقالته عام 1974، على إثر فضيحة ووترجيت التي فجرها الصحفي الاستقصائي الشهير "بوب ودورد"، والحديث يطول عن النماذج العالمية التي أسهمت بها الصحافة الاستقصائية في تغيير وجه كثير من المجتمعات والقضايا في دول العالم،بينما تظل الصحافة الاستقصائية في العالم العربي تعاني من ندرة هذه النماذج، في ظل غياب منهجية العمل الصحافي المعمق، بسبب محدودية ثقافة العمل الاستقصائي في الوسط الصحفي والمهني، وعدم وجود التقدير الكافي لأهميته، ودوره الكبير في صنع مستقبل جديد للإعلام العربي.

طبيعة الأداء الذي يحكم الإعلام العربي هو الاعتماد على إنجاز أكبر عدد من الأعمال الصحافية، في أقل وقت ممكن، وبأدنى جهد، وبدون تكلفة مادية تُذكر، بينما تحتاج التحقيقات الاستقصاء إلى قدر كبير من التفرغ، وقيام الصحافي ببذل قدر أكبر من الجهد والوقت، ايضا تفتقر بيئة العمل الصحافي العربي إلى وجود مظلة حماية توفرها المؤسسات الصحفية ونقابة الصحافيين، للصحافي الاستقصائي، في حين يختلف الحال بالغرب، ذلك أن ثقافة الانتقاد - هناك- تمثل قاطرة تقود المجتمع في جميع مؤسساته استنادا إلى ما توفره صحافة الاستقصاء من صدق في التناول، وعمق في المعالجة، وتميز في الطرح، وبحث خلف الكواليس، ودور كاشف يساعد صانع القرار والرأي العام في تحديد الاتجاه إزاء قضية أو مسألة ما.

2- اخفاء المعلومات وحجب الوثائق:

مشكلة شائعة، ويدخل فيها: عدم وجود قواعد بيانات صحيحة، وأرقام دقيقة بالمؤسسات المختلفة، من أجل خدمة الموضوع الصحافي؛ وهو ما يفرض عبئا ثقيلاً على

الصحافي عند البحث، ومحاولة الاقتراب من الأرقام أو المعلومات الدقيقة والسليمة.

وتلك أكبر مشكلة تواجه الصحافي الاستقصائي، وهي عدم قدرته على الوصول إلى المعلومات والوثائق، بسبب الهاجس الحكومي المتستر بغياب الشفافية، وتغييب المعلومات، حفاظًا على سرية العمل، وأسرار الدولة، كما يزعم المسؤولون الرسميون، وبالتالي يتعرض الصحافي للمنع من الحصول على المعلومة من المنبع، فضلًا عن منعه من الدخول إلى مواقع الحدث، في أحيان أخرى.وفي كثير من الحالات يتم حجب المستندات والوثائق الرسمية عن الصحفي من أجل إثنائه عن المضي قدما في عمله، عبر حصاره بعدم تزويده بتلك المستندات، وتجريده من هذا السلاح المهني المهم، بدعوى أنها غير متاحة، أو أنه لابد من الحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك.

3- عدم تعاون المسؤولين مع الصحافي الاستقصائي:

يخشى المسؤول في الغالب، من الحديث في أي موضوع، مع الصحافي الاستقصائي، خشية التورط فيما لا يرضي رؤساءه، فيطيحون به،ومن هنا يضطر الصحافي إلى بذل جهود مضاعفة من أجل الحصول على مادة معلوماتية، دون أي تعاون مرجو مع هؤلاء المسؤولين، الذين تقع تحت أيديهم كنوز المعلومات، لكنهم يتعاملون مع الصحافي على أنه "عدو"بل قد يصل الأمر ببعض المسؤولين إلى إصدار أوامر بمنع صحفيين بعينهم من الدخول إلى مؤسساتهم، بل وإقصائهم عن تغطية أخبارها أحيانا، نتيجة قيام هؤلاء الصحافيين بكشف فسادهم، وهكذا تتسبب صحافة الاستقصاء في صنع عداوات بين الصحافي وكثير من مصادره، بل قد تؤدي إلى نشأة حساسيات بينه وبين رؤسائه في العمل، بحكم العلاقات التي تربط هؤلاء الأخيرين بأولئك المسؤولين، وتحريضهم لهم على الانتقام من الصحافي.

4- بعد النشر: عدم التأثير في الرأي العام:

أن أسوأ عقاب يتعرض له الصحافي بعد الجهد الذي بذله، كي يرى موضوعه النور، اللامبالاة الشديدة به، وعدم وجود ردود أفعال ترتبت عليه، مما يشعره بالمرارة، بعد ما بذله من جهد، وتخطيه لدوائر شتى من المتاعب والصعاب، ليقدم عملًا استقصائيا متميزًا.. ليفاجأ في النهاية بعدم وجود اي رد فعل رسمي أو شعبي حيال قضية التحقيق، ومرور موضوعه على المواطنين والمسؤولين مرور الكرام، دون أن يتحول إلى قضية رأي عام، وفي

بعض الأحيان، وقبل انتهاء الصحافي من عمله، يسارع المسؤولون بحل المشكلة، لا لشيء إلا لقطع الطريق على الصحافي في إنجاز عمله، فلا يجد سبيلًا سوى التوقف عن المضي فيه، بعد أن تم حل المشكلة، ولو مؤقتا، ويقول مارك هانتر أستاذ الصحافة الاستقصائية في جامعة باريس:"في العمل اليومي نعكس كصحافيين واقع المجتمع، وفي العمل الاستقصائي نهدف لتغيير واقع المجتمع"..إلا أن هذا لا يحدث كثيرا في مجتمعنا، للأسف، حتى في حالة وجود أعمال صحافية استقصائية قوية، ما يعني أننا نواجه مشكلة مركبة، تحتاج إلى حلول مهنية ومجتمعية وسياسية واسعة.

فيما يعلل مختصون اسباب غياب التحقيقات الاستقصائية من مضامين وسائل الاعلام العربية بمفهومه العلمي الدقيق المتعارف عليه في ادبيات مهنة الصحافة ويرجعون ذلك لعدة اسباب، يقول (داود كتاب) رئيس مجلس ادارة مؤسسة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية "لا يجادل اثنان ان من ابرز الفنون الصحافية الغائبة عن الاعلام العربي التحقيق الاستقصائي ولذلك اسباب عديدة تتلخص في:

1- القيود التشريعية الناظمة لعمل الاعلام، خاصة فيما يتعلق بقانون حق الحصول على المعلومات

2- عدم توفير البيئة المناسبة للصحافي من قبل المؤسسة الاعلامية التي يعمل لديها لتنفيذ هذا النوع من الفنون الصحافية

3- غياب الكادر المهني المؤهل مشيرة إلى ان العديد من وسائل الاعلام لا تولي جانب التدريب لمتنسبيها اهمية كبيرة.

4- ان التحقيق الاستقصائي أداة رقابية أساسية في المجتمعات ومفتاح رئيسي لضمان الشفافية لترسيخ مبدأ المحاسبة وتعدد الآراء ووجهات النظر بالاستناد إلى الحقائق الموثقة، لذا فهو يشكل مصدر قلق للعديد من مسؤولي الصحف او القنوات التلفزيونية العربية التي تفضل الابتعاد عن هذا النمط من الفنون الصحفية

5- العقلية التقليدية التي تتحكم بالقائمين على هذه الوسائل وخاصة الصحف ونتيجة لهذه العقلية اصبحت المؤسسات الاعلامية تعتمد بالدرجة الاولى على الاخبار والتقارير السريعة التي لا تحتاج لجهد أو وقت

6- غياب السياسات لدى القيادات في المؤسسات الاعلامية وعدم الرغبة في تقديم ما هو مختلف أحد أهم اسباب غياب التحقيقات الاستقصائية عن وسائل الاعلام

ثانيا: دور التحقيقات الاستقصائية في الكشف عن الفساد

تعد التحقيقات الاستقصائية واحدة من أكثر الأنماط الصحافية المثيرة للجدل وأكثرها تكلفة، إذ تتطلب المزيد من الالتزام والوقت والاستثمارات ، فهي تضطلع بدور أكثر تحريضا للرأي العام تجاه أية انحرافات تحدث في المجتمع ، بالإضافة إلى دورها في تحليل المعلومات وممارسة الدور شبة القضائي في تحديد جهات الاتهام للانحرافات التي يتم تحديدها ، ويتجاوز هذا الدور مجرد الاقتصار على الوصف، أو رد الفعل ، على غرار ما يحدث في الأنواع الأخرى من الصحافة ، ومن ثم فهي تحظى بالمزيد من الإطراء والتشجيع باعتبار أنها تسهم في تعزيز الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في مقاومة الفساد والرقابة على الحكومات , والشركات الكبرى التي تتمتع بنفوذ هائل في تلك المجتمعات.

ويعمل الصحافيون الاستقصائيون بصورة مستقلة في الكشف عن الأخطاء في المجتمع، ومن ثم تتسبب التحقيقات التي يعدونها في حشد الرأي العام من أجل المطالبة بالإصلاح والتغيير ، مع دفع صانعي القرار لتقديم مشروعات القوانين التي تنظم المقترحات الإصلاحية ومن خلال هذا الدور يمكن أن يؤثر المحررون بصورة ايجابية على العملية السياسية.

وتزداد اهمية حرية الصحافة في أوقات الاضطراب السياسي، وتلعب وسائل الاعلام في المجتمعات الحرة مسؤوليات هائلة، قد صاحبت الانتفاضات في الربيع العربي الكثير من الصراعات العنيفة وقد شكلت هذه الصراعات والنزاعات بحد ذاتها تحديات خاصة ومخاطر بالنسبة للصحافيين، إلا أن دور الصحافي في شرح الوضع الحقيقي للشؤون القائمة يصبح في غاية الاهمية خلال التوتر والارتباك الناتج عن الصراع.

ان اهمية الانتفاضات في العالم العربي لا تكمن في كونها اطاحت بالعديد من الحكام وشكلت تهديدا لكثير آخرين فحسب، بل عملت أيضا على ضرب احتكار الدولة وتقويض السلطة السياسية مانحة الفرصة بذلك للعديد من الاحزاب والحركات المشاركة في العمل السياسي كما ان تعرية القصور والفساد يمكن أن يؤدى إلى تغيير السياسات

الحكومية العقيمة ، ومن ثم حماية أموال دافعي الضرائب من التبديد والإهدار، وبالتالي إنهاء خدمة المسؤولين الذين يسيئون التصرف في الأموال العامة ، كما أن عملية الكشف عن الممارسات غير الأخلاقية لرجال الأعمال يمكن أن ينقذ صحة وأموال المستهلكين.وفي نفس الوقت اتاحت الانتفاضات والتغيرات الغير مسبوقة الفرصة للصحافيين للقيام بدور فعال يساهم في ايجاد الحلول للمشكلات القائمة،والمساهمة في تشكيل مستقبل بلدهم..

ويعد تطور وسائل الأعلام الحرة ذات التعددية، امرا أساسيا في مكافحة الفساد ومحاسبة المسؤولين في الدولة وإخضاعهم للمساءلة وخلق توعية المواطنين. كما إن تطوير وسائل اعلام قوية ومستعدة وقادرة على التقصّي والاستفسار من حكوماتهم، والاستجابة لمجتمعاتهم يعتبر لبنة حيوية في تنمية ديمقراطية مستقرة في المجتمعات العربية، في مثل هذا الوقت من التغيير التاريخي الذي تشهده المنطقة العربية، تصبح التحقيقات الاستقصائية في غاية الأهمية بصفتها جزء من التحرك نحو الديمقراطية الكاملة ذلك لأنها تكشف الانتهاكات الحكومية والتقصير الذي تعمدت الأنظمة الاستبدادية إخفائه من قبل.

وقد أظهرت عدد من الدراسات حول أهمية التحقيقات الاستقصائية، أن القضايا التي تثيرها التحقيقات الاستقصائية هي تلك التي يعتقد الشعب في وقت لاحق بأهميتها، كما ويضطلع الصحفيون بدور الرقيب على القطاعات القوية في المجتمع، بما في ذلك القادة في المجالات الخاصة والعامة. وبإمكانهم الكشف عن الفساد ومراقبة المصالح العامة وملاحقة أنشطة المرشحين السياسيين، والتبرعات للحملات الانتخابية، ونزاهة عملية التصويت، ومن غير المرجح أن يكون المناخ في البلدان العربية التي تمر بمرحلة انتقالية مثاليا للصحافيين، فقد لا تتوفر لديهم وسيلة للوصول إلى الوثائق الحكومية والمكاتب الحكومية والمسؤولين في الوقت الحاضر

لذا يتعين على الصحافيين الذين يعملون في مثل هذه البيئات امتلاك مزيج معقد من المهارات المهنية فهم يضطلعون بمسؤولية خدمة مصلحة المجتمع في الدرجة الاولى من خلال عرض المعلومات بشكل محايد والعمل كمراقبين لأنشطة الحكومة والمشهد السياسي من جهة ثانية.

اذن لابد من بذل جهود من أجل تطوير فن الصحافة الاستقصائية في العالم العربي

ليؤدي دوره الرقابي وتعزيز الشفافية ومواجهة الفساد وإحداث التغيير المنشود بما يخدم المصلحة العامة.

اضرار حظر النشر او البث لقضايا الفساد

مع التطور المذهل، والتنامي السريع لتقنيات التكنولوجيا الإعلامية الحديثة، اتسع الفضاء والإنترنت وغيرهما لأداء مهمة التقصي والبحث عن الحقيقة، وبات من المؤكد أن التحقيقات الاستقصائية تشكل جوهر العمل الصحافي للكشف عن حالات الفساد الحكومي في العالم العربي.

وعلى الرغم من قلة الإمكانات المادية والكوادر البشرية المؤهلة في الصحافة العربية، إلا أنها تبذل جهدا مقدرا في خوض غمار الصحافة الاستقصائية لمعالجة قضايا الفساد، ولكنها ما إن تبدأ في فتح ملف من ملفات الفساد، سواء كان ذلك في الوزارات أو المؤسسات العامة أو الشركات والهيئات من خلال الحصول على الوثائق والمصادر الضرورية لمثل هذا العمل الصحافي، تفاجأ المؤسسة الاعلامية بأن قراراً صدر من السلطات المختصة بحظر النشر أو بث في القضية المثارة حول فساد ما، على اعتبار أن الأمر أصبح أمام لجنة تحقيق قد يضر النشر بمسارات عمل تلك اللجنة. فهكذا يشهر سلاح الحظر المسلط على رقاب الحرية الاعلامية في البلاد العربية، فتغيب الحقيقة، ويغيب الدور الفاعل للإعلام.وأحسب أن التحقيقات الاستقصائية جزء مهم من العمل الرقابي التخصصي المنوط بالمؤسسات الاعلامية، لتصنع رأياً عاماً تجاه قضية معينة، خاصة إذا تبنت نتائج هذا العمل الصحافي الاستقصائي بعض الجهات السياسية الفاعلة.

ومن الضروري أن تتفهم الحكومات أنها إذا أرادت أن تؤكد لمجتمعها والعالم أنها تبسط الحريات لشعبها، وتلتزم بحرية الصحافة، وان حظر النشر يقضي تماماً على هدفها في الوصول إلى الحقيقة. وفي الوقت نفسه، قد لا يضر بمسارات التحقيقات القضائية، بل يساعدها في إنارة طريقها للقضاء على الفساد والمفسدين. أن الضرر كل الضرر في منع النشر في قضايا الفساد، لأنه يثير التساؤلات أحياناً، ويبعث الريبة في حالات كثيرة. وينبغي أن يعلم الجميع أن الوظيفة الأساسية للصحافة هي العمل على تشكيل رأي عام في مواجهة أي قضية من القضايا الوطنية في إطار الهدف الأسمى المتعلق بحماية مصالح المجتمع. وفي سعيها الحثيث

لهذه الحماية تجدها تبذل جهداً مقدراً في كشف الانحرافات والفساد ليتسنى للسلطات المختصة النهوض بدورها في مكافحة الفساد ومحاربة الفاسدين والمفسدين، وذلك بتقديمهم إلى المحاكمات، ليقول فيهم القضاء كلمته الفيصل، ومن الضروري أيضاً أن يعي المجتمع، أن الفساد مؤذن بخراب الدولة. وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون في مقدمته عند دراسته لظاهرة الفساد في المجتمع، ورصد مظاهرها، وحلّل عواملها الاقتصادية بالدرجة الأولى، دون أن يغفل عن العوامل الأخرى، ووجد أن "الفساد مؤذن بخراب الدولة"، وأكّد أن الدول تتفسخ وتنهار بسبب استشراء الفساد المتنوع المجالات والأشكال، والعجز عن محاربته، ورأى أن القائمين على الدولة في مختلف الميادين هم منبع الفساد، وأن القوانين التي سنونها والقرارات التي يتخذونها، وهي تنطلق من مصالحهم، تؤدي إلى انتشار الفساد واستشرائه.

أن انتشار الفساد يدفع بعامة الشعب إلى مهاوي الفقر والعجز عن تأمين مقتضيات العيش، كما يدفع بالمنتجين إلى التذمر والضيق، لأنهم يرون أن قسماً كبيراً من جهدهم ينهب منهم أو يؤخذ دون وجه حق، ويرصد أثر ذلك كله على موقف الناس من الحكومة، ويشكل بداية لشرخ يؤدي إلى انهيار الدولة.

ولما كانت قضايا الفساد من القضايا المهمة التي تتعرض إليها الصحافة، كان من الضروري أن تعتمد الصحافة الاستقصائية على التحقيقات الصحافية من خلال مصادرها المتعددة، ولكنها قد لا تتوفر بنفس القدر لغيرها من الجهات، ومصادرها أكثر تعدداً من مصادر جهات التحقيق الأخرى، فهي قد تشكل ذراعاً مهماً لتلكم السلطات للوصول إلى الحقائق والوقائع حول قضايا الفساد.

أن قرار حظر النشر في قضية ما، يثير الكثير من التساؤلات، ومن ثم الشكوك في الأهداف الحقيقية من وراء سلسة قرارات حظر النشر في القضايا المتعلقة بالفساد، ويذهب بعضهم إلى أن القصد من تلك القرارات حماية هؤلاء المفسدين أو المتورطين في قضايا الفساد بهذه الحجج الواهية بأن النشر قد يضر بمسارات أعمال لجان التحقيق.أن قرارات حظر النشر في قضايا الفساد تحدثت ضرراً كبيراً في مصداقية الحكومة في سعيها لمكافحة الفساد بكافة أشكاله، كما ينبغي ألا يؤخذ الناس بالشبهات وألا يصدر الإعلام الأحكام على الناس دون التثبت

والتبين قانونيا، وبذلك يتوجب على الصحافي مسؤولية تحري الدقة والالتزام بالحقائق والإسهام في إيجاد المعالجات للقضايا والابتعاد عن الإثارة، وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع والدولة، ومن الضروري أن يلتزم الصحافي الاستقصائي بمتطلبات المهنية وضرورات المسؤولية، ولا يؤخذ الناس بالشبهات والإدعاءات الكاذبة والمعلومات المغلوطة والمضللة، في محاولة رخيصة للاغتيال المعنوي لبعض الشخصيات، والكسب الرخيص بالإثارة، من خلال استسهالهم للعمل الصحافي دون التقيد بالمهنية، ومراعاة المسؤولية في عملهم الصحافي هذا، مما يسيء للصحافة الجادة التي تبذل جهداً مقدراً في سبيل مصداقيتها.

ومما لا ريب فيه ان التحقيقات الاستقصائية تشكل عبئاً كبيراً، ورهقاً عظيماً على الصحافيين، وعبئاً مالياً مرهقاً على المؤسسات الاعلامية، كما أنها تحتاج إلى مقومات أساسية لنجاحها، ومن أهم هذه المقومات ضرورة وجود مناخ من الحرية الحقيقية في الحصول على المعلومات ونشرها، مع التقيد بالمهنية، ومراعاة المسؤولية، والابتعاد عن مواضع المساءلات القانونية، بالتسلح بالمعلومة الموثقة والوثائق الدامغة، والاعتماد على الحقائق فقط دون غيرها من أساليب الإثارة الموقعة في الخطأ والمساءلة القانونية.

وأخيرا فأن حظر النشر حول قضايا الفساد، مهما كانت أسبابه ومسبباته، اضراره أكثر من نفعه. ومن الضروري ان تعمل الجهات المعنية للإقلال منه، تفادياً لتداعياته في تقليص مساحات الحرية الاعلامية في العالم العربي.

نصائح في الاستقصاء الصحافي المتخصص في مجال الفساد

يحدد (دون راي)، الصحافي الاستقصائية والمدرب الدولي في الصحافة الاستقصائية 10 نصائح يجب مراعاتها في الاستقصاء الصحافي المتخصص في مجال الفساد. وتشكل إطاراً عاماً للتدريبات التي يقدمها في مختلف أنحاء العالم ويمكننا اجمالها كالآتي:

1- المقاربة من الاسفل إلى الأعلى: وهي أساسية للتعرف على نتائج الفساد والطريق الاسرع لمعرفة المستويات العليا من الفساد – الإثباتات دائماً مرئية عند مستوى الشارع.

2- تحديد الشكل الهندسي لمنظومة الرشوة والنفوذ: يتورط بالرشوة دائما أكثر من شخص واحد أو مركز أو مسار أو علاقة بين طرفيين. ولفهم مجريات الرشوة، والنفوذ والابتزاز، يتطلب ذلك تصويرها في أشكال هندسية كمثلثات، أو أشكال شبه منحرفة الاضلع

(trapezoids)، أو أشكال خماسية الاضلع الخ، وذلك لتتعرف على العلاقات بين مختلف الأطراف.

3- تنمية وحماية المصادر الرئيسية: وهي موجودة في مكان ما، وتتمنى ان تجد من تثق به لتقدم اليه معلوماتها. على الصحفي أن يتعلم أن عملية إقناع المصادر تتطلب بناء أكبر قدر ممكن من الثقة، وإيجاد بيئة خصبة للتحقق من دقّة المعلومات، بالإضافة إلى فهم المكافأة الحقيقية التي يتوقعها المصدر، وهي رؤية المعلومات التي قدمها منشورة.

4- تحديد كيف يتم استخدام النفوذ: كلما كانت القوانين وتطبيقها أكثر تطورا، كلما كانت وسائل الرشوة مواكبة لهذا التطور. نادراً ما تقتصر الرشوة على المال النقدي، فعلى الصحافيين أن يلاحقوا مسارات أخرى كالأملاك، الترقيات، الحماية، الامتيازات، التوظيف حتى لأفراد من العائلة الممتدة.

5- توثيق وتعقب المستندات: السجلات العامة تعتبر أساسية، ولكنها وحدها لا تكفي لإعطاء صورة كاملة عن الموضوع، هي بداية مهمة، فهي تعطي إشارات خفيّة ولكن منبّهة في الوقت عينه، لوثائق أخرى أو أشخاص آخرين بإمكانهم أن يسدّوا الفراغات اي يحلوا اللغز.

6- العوائق الداخلية :سيواجه الصحفيون في كل بلد قدر معين من العراقيل من داخل مؤسساتهم الإعلامية. فللأسف، إن مالكي ومديري الصحف ومحطات وشبكات الراديو والتلفزيون، هم إما على حافة الجريمة المنظمة أو الفساد وإما هم لاعبين أساسيين فيها. وهذه الحالات تتطلب وعياً كبيراً وتخطيطاً متأنياً.

7- الاثبات والتسجيل: ان العمل في مجال التحقيقات الاستقصائية حول الفساد يتطلب اكثر من العمل في غيره من المجالات، التدقيق والتحقق عن طريق عدة مصادر وبشكل متواصل. إن التقارير المنشورة هي أهداف سهلة للمسؤولين وفريق عملهم الذين اعتادوا التلاعب والعمل على تشويه سمعة الصحافيين. عليك بتسجيل كل ما يشكل إثباتاً وبرهانا.

8- التحالف مع حلفاء موثوق بهم: هناك طرق عديدة لإقحام نفسك فى تحقيقات جارية، والتحالف مع مجموعات أو اشخاص سبق لهم ان جمعوا المعلومات القيّمة. إن الإنترنت

يقدّم للصحفيين شبكة كبيرة من الخبراء والحلفاء المحتملين. كذلك هناك منظمات محلّية تقوم بالتحقيق في فساد الشخصيات أو المؤسسات التي ستلتقيها.

9- التعامل مع التهديدات والانتقام :هذا النوع من العمل لا يناسب الجميع. على الصحفيين أن يتنبّهوا إلى اي مدى من الممكن أن يكون معرضين للخطر، هم بذاتهم وأفراد عائلاتهم. من الأساسي أن يعرف الصحفي كيفية الرد بشكل سريع ومباشر على التهديدات دون أن يهرب أو يختبئ.

10-أن تجعل قصة الموضوع الصحافي ذات صلة مباشرة بالقراء والمشاهدين :يميل الصحافيون إلى الكتابة عن النخبة وللنخبة. بالتأكيد يجب أن تركز مواضيع فضائح الرشوة على اللاعبين في المراكز العليا، ولكن على الصحفيين أيضاً أن يتحدثوا أيضاً عن الضحايا والشركاء في الفساد على كافة المستويات. في النهاية، المواضيع يجب ان تكون عن الناس، وعلى الصحافيين أن يرسموا صورة واضحة للنتائج الناجمة عن هذه القوة الخفيّة أي الفساد ومن يقف وراءه.

ثالثا: واقع التحقيقات الاستقصائية في العراق

في مقدمة الإجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال الامريكي في العراق تجاه الاعلام العراقي، حل وزارة الاعلام وتسريح العاملين فيها بقرار اصدره الحاكم المدني بول بريمر في 23/ 4/ 2003، وإيقاف اصدار الجرائد والمجلات التي كانت تصدر قبل الاحتلال، وبذلك أصبحت السياسة الاعلامية تستمد ضوابط العمل الاعلامي من التعليمات الجديدة التي كان يوجهها الاحتلال للمؤسسات الاعلامية، وهي سياسة مختلفة اختلافا جذريا عن السياسة المركزية السابقة، بعد ان انهارت اجهزت الرقابة التي كانت من مهام وزارة الاعلام آنذاك، أدى ذلك إلى إباحة الساحة الاعلامية العراقية لكل من يريد أن يصدر جريدة أو مجلة أو مطبوعات أو ينشئ إذاعة أو قناة تلفزيونية وفي الأشهر الثلاثة الاولى من الاحتلال شهد العراق إصدار ما يقرب من الـ 180 جريدة ولم يكن التغير كميا فحسب بل كان تغيرا نوعيا ايضا في مجال حرية حركة المعلومات،وقد وصل عدد الاصدارات الصحفية في عام 2005 إلى 700 اصدار صحفي بين يومي وأسبوعي ونصف شهري وشهري وقد غاب الكثير منها لاحقا لأسباب مهنية او مادية. كما ظهرت العديد من الفضائيات العراقية، ونتيجة للمنافسة

المحمومة لكسب المواطن، حاولت القنوات الفضائية العراقية ان تقدم انفرادات مختلفة للمشاهد العراقي، احيانا تتمثل في السبق الصحفي وأحيانا تتمثل في التغطية المعمقة للحدث.

ومع تصاعد اهتمام الوسط الاعلامي العراقي بمصطلح الاعلام الاستقصائي وظهور بوادر جديدة لحضور هذا النوع من العمل الصحفي، ظهرت برامج تلفزيونية تحاول ان تقترب من العمل الاستقصائي تقدم تغطية معمقة تعرض من خلالها موضوعات تتعلق بالفساد والتقصير على مستوياته مختلفة، ومن ابرز تلك البرامج برنامج (كلام ليكس) في قناة السومرية من تقديم (ريناس علي)، يعرض البرنامج كل سبت يتناول موضوعات سياسية أو اجتماعية ومواضيع تتعلق بالفساد الاداري الحكومي، وممارسات اجتماعية مختلفة ولخروجه عن المألوف في الطرح تعرض للإيقاف من قبل هيئة الاعلام والاتصالات بسبب عرضه حلقة حول (الكنائس الإنجيلية في العراق) والتي تضمنت كما ذكرت الهيئة إساءة لتلك الطائفة وعدته مخالفا للمادة (1-4) من قانون الهيئة والتي تنص على (الامتناع عن الانتقاص من المعتقدات الدينية وشعائرها) وذكرت في بيان لها نشرته على موقعها الرسمي انها اتخذت هذا الاجراء بناء على شكاوى وردت اليها من عدد من قساوسة الطائفة الإنجيلية المسيحية، ومن ابرز الموضوعات التي عرضها البرنامج حلقات متفرقة عن مشكلة حقل الاحدب و الاقسام الداخلية، اما برنامج ساعة ونص في قناة البغدادية من تقديم نغم عبد الزهرة يتناول البرنامج قضايا وظواهر سياسية واجتماعية عراقية وموضوعات عدة عن الفساد المالي والإداري والإهمال والتقصير منها ما عرضه البرنامج عن المدارس الآيلة للسقوط والذي استضيفت فيه النائبة مها الدوري وكشفت فيه عن اهمال وتقصير مدير تربية الرصافة الثانية، مما دفع مجلس محافظة بغداد إلى اقالة مدير التربية بعد ان تشكلت معه لجنة تحقيقية على خلفية ما عرض في البرنامج، كذلك برنامج الساعة التاسعة الذي يقدمه انور الحمداني والذي يتناول مواضيع تتعلق بالفساد الاداري وقضايا تهم المجتمع.

فعلى الرغم من هامش الحرية التي اتيحت للإعلام العراقي والتنوع الكبير في المؤسسات الاعلامية بعد احداث عام 2003، إلا انه الوسط الاعلامي العراقي مازال يفتقر إلى الصحافة الاستقصائية بمفهومها العلمي والمهني، باستثناءات بسيطة، كما ان مستوى الصحافة الاستقصائية لم يكن بحجم ظاهرة الفساد في العراق. فكانت الجهود الصحفية نادرة في هذا المجال ومحدودة وفردية. فضلا عما اتصفت به من تحقيقات سطحية غير مكتملة المعالجات

تحوي افكارا وآراء ليست معلومات بأدلة موثوقة.

ويعلل بعض الباحثين اسباب غياب التحقيقات الاستقصائية عن الاعلام العراقي إلى تكتم الدولة على المعلومات المتوافرة لديها، مما يضع الصحافيين امام مأزق قانوني اذ يمكن ان تتسرب المعلومات ولكن ليس من مصادر موثوقة، مما يخل بمصداقية المعلومات لدى الجمهور، كذلك غياب التشريعات القانونية التي تنظم العمل الصحافي خاصة قانون حماية الصحافيين، وحرية النقد البناء، وحق الحصول على المعلومات من مؤسسات الدولة،اضافة إلى الوضع الامني المضطرب الذي ساد الساحة العراقية، وظهور قوة ضاغطة جديدة تتمثل بالجماعات المسلحة التي أخذت تنازع الدولة في سلطانها، وتفرض ضغوطا كبيرة على العمل الصحافي، الذي يتمثل بتعرض حياة الصحافي للخطر، وقد ورد في دليل التغطية الصحفية عن الاوضاع الخطرة ان الحوادث الناجمة عن نشاطات المتمردين مسؤولة عن معظم حالات مقتل العاملين في وسائل الإعلام، إذ بلغت نسبة حوادث قتل الصحافيين في العراق 60٪ من عدد الصحافيين الذين قتلوا لغاية أوائل عام 2005، فضلا عن عمليات الخطف التي قامت بها القوى المختلفة.

كما ان ارتباط أغلب المؤسسات الاعلامية في العراق وتبعيتها للأحزاب سياسية وتزايد حجم التمويل السياسي للإعلام العراقي، سببا من الاسباب التي تعيق الاداء المهني الاستقصائي، الذي يعد استقلالية الوسيلة الاعلامية من اولى متطلباته والتي تنعكس بشكل مباشر على حرية المحقق الصحافي في تناوله للموضوع، حيث توصلت دراسة عراقية – امريكية إلى ان الغموض في مصادر التمويل المالي في الاعلام العراقي يتنافى مع استقلالية العمل الصحافي ويقلل من فرص النجاح الاعلامي. وأشارت الدراسة إلى ان أكثر من 50 مؤسسة اعلامية عراقية مجهولة التمويل ومن بينها محطات اذاعية وتلفزيونية تبث على مدار الساعة وإصدارات مطبوعة بشكل يومي ومواقع اخبارية الكترونية، فضلا عن وجود قرابة 70 مؤسسة اعلامية تتلقى دعما فنيا وماليا من حركات سياسية وأحزاب عراقية وجهات اقليمية.

لذا فمن الصعب على وسائل الاعلام تحقيق تقدما في مطلبها من الجهات الحكومية بحق الحصول على المعلومة والاستقلالية في العمل الاعلامي ما دام مصدر تمويلها مجهولا، مما

يقلل من فرص الالتزام بالمعايير الصحفية وأخلاقيات المهنة التي تعد خير داعما لاستمرارية نجاح المؤسسة الاعلامية وتميزها.

وبالرغم من ضعف المحاولات الفردية كما اسلفنا سابقا إلا ان العراق يعد من البلدان العربية التي تسيدت العالم العربي في مجال التحقيقات الاستقصائية، للسنة الرابعة على التوالي، بعد فوز ثلاثة من الصحافيين العراقيين بالجائزة الاولى، والأولى مناصفة، عن افضل تحقيق استقصائي في العالم العربي لعام 2013في المؤتمر السنوي السادس للصحافة الاستقصائية العربية الذي عقد في العاصمة الاردنية عمان، بمشاركة 350 صحافي عربي وعالمي.

إن الجائزة الاولى، والأولى مناصفة، في مسابقة شبكة اريج العربية عن افضل تحقيقات استقصائية في العالم العربي لعام 2013، كانت من نصيب العراق، مناصفة بين الصحفية العراقية ميادة داود عن تحقيقها (امتيازات سنوية بمليار دولار.. تورط برلمانيون في أوسع ظاهرة فساد شرق أوسطية)، والصحفيان العراقيان دلوفان برواري وسلام جهاد عن تحقيقهما "أطفال مقاتلي القاعدة ... ضحايا بلا هوية يهددون بظهور جيل جديد من المتطرفين". أذ يأتي فوز العراق بالجائزة الكبرى عن أفضل تحقيق استقصائي في العالم العربي لعام 2012 من بين تحقيقات أنجزت في 11 بلدا عربيا بينهما مصر والمغرب والجزائر والاردن، عبر اعلان المشرف العام على الشبكة الاستقصائية العراقية (نيريج) الزميل (محمد الربيعي) عن فوز الصحفية (ميادة داود) بأرفع جائزة عربية لهذا النوع من الصحافة منحت لها من قبل مسابقة (شبكة أريج العربية) والتي عقدت في القاهرة مؤخرا وذلك عن تحقيقها الاستقصائي المعنون تستر (اعدام تعسفي لـ 11 عراقيا في الأسحاقي) الجريمة التي حاول الجيش الامريكي التستر عليها لسنوات:حقائق جديدة تفرض اعادة التحقيق في هذه الجريمة والذي سيقود إلى اعادة فتح الجيش الامريكي للتحقيق في مجزرة الاسحاقي التي وقعت في ربيع عام 2006. ويعد تصدرت الصحافية ميادة من العراق قائمة أول صحافية استقصائية عربية تحقق انجاز الحصول على ثلاث جوائز متقدمة على مدى ثلاث سنوات متتالية فاتحة خير تبشر بمستقبل التحقيقات الاستقصائية في العراق، حيث نالت على جائزة ثاني أفضل تحقيق استقصائي لعام 2010 عن تحقيقها حول تجنيد الأطفال من قبل الجماعات المسلحة، وجائزة أفضل تحقيق في العالم العربي لعام 2011 حول الخلل في قوانين المشردين في العراق، يجدر التذكير -ايضا- بفوز الصحفي الكردي (موفق محمد) بنفس مسابقة هذا العام 2012-

بجائزة ثاني أفضل تحقيق حول(ضلوع قوة نافذة في كردستان في تجارة الأدوية الفاسدة والمزيفة) ليشكل تضامنا نوعيا لنمو هذا النوع من الصحافة في عراق اليوم.

ولتجسيد الصورة بشكل اوضح عن واقع التحقيقات الاستقصائية في العراق ننشر التحقيق الذي اجرته الصحافية ميادة داود والذي نال المرتبة الاولى والذي جاء تحت عنوان (امتيازات سنوية بنصف مليار دولار تورط البرلمان العراقي في أوسع ظاهرة فساد شرق اوسطية تحقيق: ميادة داود): على الجدران الكونكريتية التي سوّرت مباني الحكومة ومجلس النواب وسط العاصمة بغداد، كتب ناشطون مجهولون بالخط الأحمر (نواب العراق هم أكبر مجموعة لصوص في العالم) تلخص هذه العبارة التي صارت عنواناً للتظاهرات المناوئة لامتيازات البرلمان غير المسبوقة خلال العامين الماضيين، أزمة الثقة التي تعصف بين أعلى سلطة تشريعية ورقابية في العراق، وبين باقي طبقات المجتمع العراقي. لا يتعلق الأمر هنا، وفق ما يرى الناشط المدني وعالم السومريات البروفيسور سالم العامري، (بالرواتب والمخصصات الفاحشة التي شرّعها البرلمان لنفسه، بنفسه)، بل يتعلق بأن حرص البرلمان على التمسك بمكاسبه، (ورّطه بالدخول في أوسع منظومة فساد شرق أوسطية جعلت من العراق في مقدمة بلدان العالم من حيث حجم الفساد والرشوة)، وفقاً لمنظمة الشفافية العالمية في تقريرها (تموز / يوليو) الماضي. يكشف هذا التحقيق من خلال الوثائق والأرقام التي يحلّلها رجال مال مختصون، واعترافات برلمانيين ودفاعاتهم، أن كلفة وجود سلطة تشريعية ورقابية في العراق والبالغة نحو ملياري دولار لكل دورة برلمانية من اربع سنوات (وفق ما وثّقه الخبير المالي خليل الونداوي)، كانت السبب الرئيس في عجز البرلمان عن الحد من الفساد في البلاد، أو مساءلة حكومة تدير قرابة 400 مليار دولار هي مجموع موازنات الدولة العراقية كل اربع سنوات تقريباً. الامتيازات الكبيرة التي يحظى بها أعضاء البرلمان والمقدرة بـ 1.6 مليون دولار للنائب الواحد للدورة من اربع سنوات بضمنها الرواتب والمخصصات وأجور الحمايات الشخصية، شلّت قدرتهم على محاسبة المتورطين بملفات فساد كبرى أنهكت موارد البلاد، وتسببت بانخفاض مستوى الخدمات، وغياب الأمن، وفقدان الثقة بالاقتصاد، وعدم القدرة على توفير الطاقة الكهربائية لما يقارب الـ 12 ساعة في اليوم. البروفيسور العامري يعتقد أن برلمان الوركاء وهو البرلمان الأول في تاريخ البشرية (3000 قبل الميلاد كما يرى العلامة كريمر)، كان أكثر قدرة على محاسبة الحكام من برلمان العراق الحالي والذي لم يتمكن خلال

ثلاث سنوات (بدأ عمله في 14 حزيران/ يونيو 2010)، من تجريم فاسد واحد، أو إيقاف هدر مالي في أي مفصل من مفاصل الدولة العراقية. الكاتب والإعلامي أحمد المهنا يؤيد ما ذهب إليه العامري، فهو يرى أن البرلمان الحالي ليس أكثر من (أكذوبة)، وأنه فقد قدرته على محاسبة الفاسدين، ليس فقط لأنه يطمح للحفاظ على مكتسباته المضخمة، بل أيضاً لأن قرارته كانت مرهونة منذ البداية برغبة زعماء الأحزاب الذين سلموا القرار السيادي للعراق إلى دول الجوار. أرقام فلكية تشير الأرقام التي وثّقتها كاتبة التحقيق بالتعاون مع الخبير الونداوي، إلى أن الرواتب السنوية الفعلية التي يحظى بها مجموع أعضاء البرلمان الحالي 325 نائباً، تناهز الـ 180 مليون دولار، شاملة رواتب النواب مع الرئاسات 54.4 مليون دولار وربع قيمة مبلغ تحسين المعيشة (6.2) مليون دولار، اضافة إلى (125 مليون دولار) لرواتب وإطعام حمايات البرلمانيين كما في موازنة العام 2013.

المبلغ الذي تنقله موازنة عام 2013 (125 مليون دولار) لرواتب وطعام حمايات البرلمانيين، يعادل ثلاثة أضعاف المبالغ التي دفعت كتعويضات لعوائل 14 ألف ضحية من ضحايا الإرهاب عام 2012، ربعهم فقدوا حياتهم نتيجة التفجيرات والاغتيالات التي تضرب العراق منذ سنوات، كما يقول الإعلامي والناشط مصطفى سعدون. هذا الفارق الكبير في احتساب قيمة الفرد العراقي، كما يقول الناشط سعدون، تسبب في أزمة ثقة مزمنة بين البرلماني العراقي وناخبيه، وأنتج فجوة طبقية لا يمكن ردمها بوجود برلمان يستقتل للحفاظ على امتيازاته، عبّر عن هذه الأزمة بجلاء، رد فعل قيادية في كتلة برلمانية نافذة شرحت لكاتبة التحقيق تفاصيل مستحقاتها الشهرية، لكنها عادت بعد دقائق لتهدّد كاتبة التحقيق بأنها ستلجأ للقضاء لإيداع كاتبة التحقيق السجن إذا تجرأت على نشر اسمها في التحقيق. حلقة مفرغة خاطبت كاتبة التحقيق رئاسة البرلمان للسماح لها بالإطلاع على سجل الإيفادات والمنح المالية وكلفة علاج البرلمانيين. طلب منها في البداية تقديم طلب للحصول على تخويل بدخول مبنى البرلمان، ثم لاحقاً أبلغوها باعتذارهم لنسيان وضع اسمها عند بوابة الدخول. في المرة الأخيرة، تركت كاتبة التحقيق ثلاث ساعات خارج مبنى البرلمان، قبل أن يطلب منها الانصراف لتعذر استقبالها حتى من قبل الدائرة الإعلامية. وكيل وزارة المالية فاضل نبي، أبلغ الكاتبة أن الوزارة ليست طرفاً بتحديد الرواتب والمخصصات لأن كل جهة لها نظامها الخاص وهي التي تعرف موازناتها وصرفياتها، ومهمة الوزارة هي (التمويل فقط).

الوكيل طلب من الكاتبة في ما بعد أن تسأل البرلمان نفسه عن صرفياته، لأن الإجابة ليست من اختصاصه. 325 وزيراً تحت قبّة البرلمان تتضمّن الامتيازات التي يتمتع بها البرلماني العراقي، وفق القيادية الشابة ونواب آخرين بينهم عضوة سابقة في اللجنة المالية، رواتب ومخصصات شهرية بمقدار 12.9 مليون دينار عراقي (11 ألف دولار)، اضافة إلى رواتب الحمايات الشخصية 20 ألف دولار شهرياً لكل نائبا حتسبت رواتب البرلمانيين في العراق قياساً على رواتب الوزراء. ينص قانون رقم 7 لسنة 2005، يستحق عضو المجلس الوطني الموقت مكافأة لا يزيد مقدارها عما يتقاضاه الوزير من راتب ومخصصات.

قبل عام 2003، كانت سلطة التشريع في العراق حكراً على رئيس النظام السابق صدام حسين، وفق الفقرة (أ) من المادة 42 في الدستور العراقي الموقت لعام 1972 ولم يكن المجلس الوطني (250 عضواً يختارهم حزب البعث الحاكم بنفسه) يمتلك أية سلطة تذكر مقابل رئيس النظام. رغم ذلك منحهم النظام السابق راتب مدير عام مع سيارة حديثة في كل دورة من أربع سنوات، بعد العام 2003، كما يقول الكاتب والإعلامي مشرق عباس، كان تحوّل البرلمان من مجلس شكلي إلى برلمان فاعل عليه البدء بتشريع مئات القوانين التي تتواءم مع انتقال العراق من الشمولية الديموقراطية، يبرّر منح البرلمانيين امتيازات خاصة، خصوصاً مع ارتفاع فاتورة العمل السياسي والبرلماني وخسارة العديد من ساسة الرعيل الأول حياتهم وحياة عوائلهم ثمناً لتصديهم للعمل التشريعي. لكن الآن، كما يرى عباس، يختلف الأمر تماماً، فالعمل السياسي صار امتيازاً وظيفياً واجتماعياً ومالياً، وهناك اكثر من ستة آلاف مرشح تقريباً يتنافسون في ما بينهم على مقاعد البرلمان في كل انتخابات. ولهذا كان من المفروض ان يتم إعادة احتساب هذه الامتيازات منذ سنوات وليس الآن فقط.

سعر العملة في مصلحة النائب دائماً أضاف القرار 13 لسنة 2005، مبالغ أخرى يتقاضاها النائب لتحسين معيشته يبلغ مقدارها (50 ألف دولار أميركي أو ما يعادله بالدينار العراقي) وهذا القانون ساري المفعول حتى الآن. المفارقة هنا كما يرى الخبير الونداوي أن النواب رفضوا تسلم المبلغ بالدولار (50 ألف دولار) وأصرّوا على استلامه بالدينار العراقي، لكن بشرط أن يكون على سعر الصرف الذي كان سارياً عام 2005 (90 مليون دينار) وليس سعر الصرف الحالي (58 مليون دينار)، محققين ربحاً على حساب الدولة العراقية مقداره 32 مليون دينار (27 ألف دولار). يحصل أعضاء البرلمان أيضاً، مع زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم، على

جوازات سفر دبلوماسية طوال الدورة البرلمانية ولغاية 8 سنوات من انتهائها، مع حق الاحتفاظ بعشرة من عناصر الحمايات الشخصية، مع رواتبهم.

التحقيقات الاستقصائية الدولية في العراق:

يبدو أن أوضاع العراق بعد الاحتلال جعلت منه منطقة نشاط مثيرة بالنسبة للصحافيين الاستقصائين، ولذلك تعددت الجهات التي مارست العمل الاستقصائي فيه، ففي الوقت الذي يعجز فيه الكثير من الصحافيين العراقيين العاملين في المؤسسات الصحفية العراقية عن تقديم عمل استقصائي، تمكن صحافيون عراقيون يعملون في مؤسسات اعلامية خارجية من تقديم موضوعات استقصائية، منها على سبيل المثال التحقيق الاستقصائي الذي قام به الصحافي العراقي علي خلف مراسل قناة العربية وكشف فيه عن سرقة شحنة أجهزة كمبيوتر (8000 جهاز) قدمتها القوات الامريكية هدية إلى مدارس محافظة بابل، وتعرضت للسرقة من مسؤولين حكوميين، وتم كشف القضية بعد ملاحقة الصحفي الشحنة والذي تابع خيط اختفاء الأجهزة حتى توصل إلى مكان توزيعها في أسواق البصرة، و شاركه في ملاحقة القضية كل من شاكر عواد ومنتظر رشيد إلى منطقة الحلة، وبعد ان نشرت العربية التحقيق الخاص بالموضوع، قرر رئيس الحكومة فتح تحقيق فوري أدى إلى استعادة نصفها وعددها أربعة آلاف كمبيوتر، وبقي مصير النصف الثاني مجهولا حتى الآن، و كان لعدد آخر من المؤسسات الاعلامية العالمية أعمال استقصائية في العراق منها تحقيق الصحفية (تريزا كريستيانسون) عن عملية بيع الاطفال في العراق بعنوان (سوق لبيع الأطفال في وسط بغداد) لصحيفة (اكسبرسن) السويدية و (فضيحة ابي غريب) التي اثارها الصحفي الشهير سيمور هيرش في مجلة (نيو يوركر) الامريكية وكان فيها دور اخر لشبكة (CBS) في برنامج 60 دقيقة الشهير وفضيحة (دار الحنان) التي كشفتها ايضا شبكة سي بي اس (CBS) الامريكية وفضيحة استخدام الفسفور الابيض في الفلوجة التي كشفتها شبكة (سكاي نيوز) البريطانية وموضوعات كشفها موقع ويكيليكس بالتعاون مع مكتب التحقيقات الاستقصائية في لندن.

رابعا: شهادات حول تجارب التحقيقات الاستقصائية

على الرغم من أن عبارة الاستقصاء أو التحقيق أو التحري صفة لازمت التحريات الجنائية السرية لكن عندما تمارسها الصحافة وتكشف المستور تتحول إلى قضية رأي عام

وركن من أركان الممارسة الديمقراطية وحرية الفكر والتعبير. ومع ارتفاع درجة الوعي السياسي والاجتماعي عبر العالم أصبحت التحقيقات الاستقصائية مطلباً وضرورة اعلامية، لذا فقد اخذ عدد المغامرين بدخول هذا الحقل الصحفي الصعب يتزايد يوم بعد يوم، وذلك بسبب اتساع فضاء الحريات رغم كل الضغوط،اضافة إلى أن التكنولوجيات الحديثة باتت تقدم لهؤلاء الإعلاميين وسائل أكثر تطوراً وقدرة على النفاذ إلى المعلومة وتمكنهم من إجراء تحقيقات استقصائية للكشف عن المستور في هذا الفصل سوف نستعرض شهادات لعدد من الصحفيين اللذين خاضوا ضمار التقصي والبحث عن الحقيقة لتقديمها إلى الجمهور بكل صدق وأمانة.

رنا صباغ، المديرة التنفيذية لـ (إعلاميون عرب من أجل صحافة استقصائية – أريج) قالت: أن الصحافة الاستقصائية أفضل طريقة للوصول إلى قلب الحقيقة والخروج من دائرة التأثير المبرمج الذي يتم ضمن حلقات صناعة الإعلام وتمرير المعلومات. وأضافت أن الصحافة الاستقصائية تكشف التجاوزات والممارسات الخاطئة وتفعل مبدأ المحاسبة والمساءلة بما يؤدي مبدئيا إلى تصويب الأوضاع.

برنت هيوستن، أستاذ قسم الصحافة جامعة إلينوي قال: أعتقد الآن أننا نرى مستوى أعلى من التغطية لتعزيز المصداقية وذلك باستخدام الوثائق وعدم الاكتفاء بالأقوال لذا أعتقد أننا نرى صحافة استقصائية أقوى بفضل استخدام الوسائل التقنية والأجهزة الرقمية. وأعتقد أن الأمر في العالم العربي يمكن أن يؤدي إلى مخاطر واعتداءات محتملة من الذين تواجههم. كصحفي عليك أن تعي طبيعة القوانين أثناء إجراء التحقيق قد لا تواجه مشاكل في بلد معين لكن في بلد آخر قد تنتهي في السجن.

رياض القبيسي، صحفي استقصائي قال: السؤال الأساسي يبقى هو أنا أخرق القانون من أجل ماذا؟

نيلز هنسن، منتج تحقيقات استقصائية: لقد رأيت العديد من الصحفيين يطورون من قدراتهم بسرعة كبيرة وبالطبع الصحفيون الاستقصائيون العرب يعملون وسط ظروف قاسية وصعبة فمن الصعب جداً أن تعمل كصحفي استقصائي في هذه المنطقة، نحتاج إلى أن تقوم مصادرنا السرّية بفضح الممارسات الخاطئة.

إن أول ما يفترضه التحقيق التلفزيوني الاستقصائي هو وجود حدث أو ممارسة أو عمل غير شرعي، أو يتعارض مع مصلحة المجتمع ولا تقبله اغلبية الناس، ومن ثم ينبغي الكشف عنه.

وثاني شروط التحقيق الاستقصائي: وجود جهة ما لها مصلحة في بقاء هذه الممارسة المنحرفة طي الكتمان، بل وتقاوم اي محاولة لكشفها، لان الكشف عنها سيؤدي إلى تقديم المسؤولين عن الانحراف إلى العدالة.

أما الشرط الثالث فيتمثل في أن القصة هي ثمرة جهد صحفي و(تحقيق) ميداني قام به مندوب أو المحقق الصحافي.كما ان التحقيقات الاستقصائية بمجملها تتعامل مع أدلة خاصة ومصادر غير معلنة، أو مراوغات أو تسريبات وحقائق غير كاملة. وجعل هذا النوع من الأدلة مادة صحفية مؤثرة ليس بالأمر السهل.وبشكل عام رغم أن هناك شبه اتفاق على ان التحقيقات الاستقصائية مغامرة محفوفة بكل المخاطر لكنها مع ذلك بدأت تجتذب أعداداً متزايدة من أهل مهنة المتاعب في رحلة بحث عن حقيقة يجتهد كثيرون في دفنها تحت الانقاض.

خامسا: بعض التجارب المهنية في الصحافة الاستقصائية

تغطية قضية الرضيع "بي"

يشرح مات روجرز صحافي في (نشرة المساء) من البي بي سي: تجربته في عمل تحقيق في وفاة أطفال صغار في منطقة دونكاستر.فتغطيته لقضية الرضيع "بي" في هارنغي، لندن، هي التي جعلته ينتبه إلى مشكلات متكررة بشكل مستمر في دوائر محلية أخرى لخدمات الأطفال. فقد قضى سبعة أطفال في أربع سنوات، خمسة منهم خلال العام الأخير.

وتقوم الخطوة الأولى في أي تحقيق على وضع الأساس عبر البحث في الموضوع فأنت بحاجة إلى التحدث إلى اكبر عدد من الناس والخروج بأكبر قدر ممكن من التفاصيل انه عمل شاق، وهادر للوقت، ويتطلب الكثير من المصادر، لكنها الطريقة الوحيدة للحصول على القصة وللخروج بوجهات نظر مختلفة.

وليس مفاجئاً أن المعنيين بالأمر هم الأكثر ترددا في الحديث بصراحة أمام ذلك، كيف

تتعامل مع مصادر قلقة تريد الإدلاء بتصريح بدون تسجيله؟ يشرح مات: "من المهم جداً في بداية الأحاديث هذه ضمان الحزم في العبارات التي تستخدمها عند الحديث". وما هي مستلزمات الحديث غير المسجل؟ "يعني إلا تذكر مصدرك في تقريرك. أي، في هذه الحالة، إلا تخبر الآخرين بهوية مصادرك. تحدثت إلى أشخاص كثر بدون الكشف عن هويتهم، ذلك أنه إذا كشفت هويتهم للاخرين، يصبح الكلام علنياً. من المهم جداً أن تحتفظ بنسخ مدونة بها قيل وأن تتأكد من انك حصلت على عناوين البريد الالكتروني وعناوين منزلية وأرقام هاتفية للمصادر المهمة.

وسرعان ما وجد فريق "نيوزنايت" (نشرة المساء) أن عددا من الذين أبدوا استعدادا للحديث كانت لديهم تحفظات حيال ذلك. أضف إلى ذلك رفض رئيس البلدية إجراء مقابلة، مما أدى إلى مخاوف من أن يبدو التقرير منحازاً.

وقال مات: "كان لدينا أشخاص كثيرون يريدون انتقاد رئيس البلدية، لكن لم يكن هذا الجانب من القصة لدينا. لذلك، كان علينا ان نتحدث إلى أشخاص آخرين من المجلس البلدي أكثر تعاطفا مع رئيسهم، في محاولة للحصول على وجهة النظر الأخرى، بهدف ضمان الحصول على معالجة أكثر توازنا". ونظرا لمدى خطورة التهم، كان معنا منذ البداية محامٍ من "بي بي سي"، وهنا يشير مات فيقول "إنكم في النهاية تبحثون عن الحقيقة".

وقد يبدي بعض المحررين الصحفيين تردداً في الخوض في تحقيق من هذا النوع. فالأمر يتطلب وقتاً ويكلف مالاً. ولا ضمانات بتحقيق نتائج. كما أن مسألة التعرض لإجراء قانوني قد تقنع الصحفي بالتحول إلى خبر أقل جدلاً. وهنا يقول مات في حالات مماثلة: "استمر في السعي. أحصل على أكبر قدر ممكن من التفاصيل والأدلة. ليس كافياً ان تقول "هذا يبدو مريباً" أو "ثمة أمر ما هنا، لست أكيداً"... كون ملفك بشكل أساسي". انه عمل صعب، والنتائج المترتبة عليه هامشها ضيق وغير فورية، كما أنها لن توصل تقريرك للبث المباشر سريعاً، لكن عندما يحدث ذلك، تكون المكافأة كبيرة.

التحرش الجنسي في أماكن العمل

عمرو العراقي صحفي ومؤسس مركز الإعلام الحر وأيضاً مؤسس منصة "إنفوتايمز" اول منصة لصحافة البيانات باللغة العربية، ومدير تحرير ببوابة البوصلة الاقتصادية يشرح

تجربته في ميدان انجاز التحقيق الاستقصائي (التحرش الجنسي في أماكن العمل):

بداية نفى عمرو العراقي أن يكون الحصول على فكرة مناسبة لتحقيق استقصائي أمر صعب لكن الصعوبة تكمن في تحديد الفرضية وزاوية التناول التي يجب ان تكون فكرة مركزة وجديدة وتضيف إلى الجمهور معلومات لم يكونوا يعرفوها عن القضية موضوع التحقيق.

ويشير العراقي هنا إلى ان الصحفي إذا وجد نفسه وصل إلى فرضية لموضوعه يعرفها الناس جيدا فهنا عليه ان يتخلى عن فرضيته ويبحث عن زاوية اخرى.

ومن هنا جاءت فكرة تحقيقه "التحرش الجنسي في أماكن العمل"، فالعمل على تحقيق يتناول التحرش الجنسي في الشارع بشكل عام فهذا أمر معروف لكن محاولة اثبات ان هناك "تحرش جنسي في أماكن العمل" هذا ما يحتاج إلى البحث.

استغرق العمل على التحقيق اسبوعين بشكل مكثف اجريت خلالها العديد من اللقاءات وأنشأت استطلاعا على الصفحة الخاصة بالتحقيق على الفيس بوك في شكل استمارة لم اطلب خلالها اي معلومات تُظهر الهوية وحصلت في النهاية على 50 استمارة من سيدات تعرضن للتحرش في أماكن العمل واخترت منهن البعض لإجراء المقابلات المباشرة، وهذه الخطوة كانت مهمة جدا لتحقيقي فتغلبت فيها على مشكلة ايجاد مصادر يرغبن في التحدث عن هذه المشكلة، وكان الانترنت هو الحل.

تواصلت أيضاً مع عدد من المنظمات النسوية مثل نظرة للدراسات النسوية ومؤسسة المرأة الجديدة للحصول على اي دراسات أو ابحاث أُجريت من قبل عن نفس القضية، وحصلت بالفعل على تقرير تناول تعرض العاملات في الاسكندرية للتحرش في أماكن العمل، وكان من ضمن الفئات الاكثر تعرضا للتحرش هن "الممرضات"، وبناء عليه تحددت الخطوة التالية.

ذهبت "كزائر" إلى مستشفى القصر العيني الفرنساوي وتجولت بشكل عادي، وكان لابد هنا ان الجأ إلى التحقيق السري، فلاحظت مثلا ان غرف تغيير الملابس بدون اقفال، وهذا ببساطة ممكن يسهل عمليات الاعتداء والتحرش، كما رصدت انه ليس هناك كاميرات مراقبة، والغريب اني تجولت لساعات ولم تواجهني اي مشكلة ولم يسألني اي شخص عن ماذا افعل؟

استعنت بصديقة لتتحدث إلى الممرضات بصفتها "باحثة" وبالفعل حصلنا على شهادات ومعلومات عن حالات تحرش جنسي في المستشفى مسجلة صوتيا، ولم استخدمها في التحقيق نفسه لكن كانت بالنسبة لي تأكيد للمعلومات التي حصلت عليها من قبل.لكن تواصلت بعد ذلك مع "كبيرة الممرضات" ونجحت في ان احصل على مقابلة مسجلة بالفيديو من أمام المستشفى نفسها.

ونظرا لحساسية موضوع التحقيق لم يكن عدد المقابلات التي حصلت عليها في تحقيقي كافية، لكني اجريت مقابلات مصورة بالفيديو مع سيدات لم يخشين من التحدث عن تجربتهن.

وهنا يجب ان اشير إلى أن طبيعة التحقيق الذي انتجته كان يحتاج إلى مراعاة اخلاقيات في التعامل مع المصادر ولتوثيق المعلومة مع الحرص على حماية خصوصيتهم.

وأيضاً حرصت على مراعاة الخصوصية والجوانب الانسانية في التعامل مع المصادر "الضحايا" حتى لا اصبح كصحفي "أحد الجناة"، وأبديت مرونة في مسألة التصوير فكنت اعرض مثلا استخدام التسجيل الصوتي أو التصوير بإضاءة خافتة.

ورغم حساسية الموضوع وقلة المعلومات كان تحقيقي غنيا فكان يشمل على فيلم وثائقي مدته 15 دقيقة، انفوجرافيك، استطلاع رأي، مع التحقيق المكتوب بأسلوب شيق بالإضافة إلى الدراسات والأبحاث التي حصلت عليها اضف إلى هذا كله الشهادات الموثقة بالفيديو. ويؤكد العراقي على أن من أهم العوامل التي ساعدت على نجاح التحقيق ووصوله إلى المركز الاول هي:

- خلق قصة صحفية شيقة، والبدء بقصة ضحية.
- استخدام الانترنت والانفوجرافيك والعناصر الجديدة.
- اختيار قالب مميز وغير تقليدي للموقع.
- اختيار قصة مجتمعية مهمة ولها تأثير على قطاع كبير من الناس
- التواصل مع عدد كبير من المؤسسات ذات الصلة بالموضوع.
- التركيز على تأثير "التحرش الجنسي في أماكن العمل" على الضحية ماديا ونفسيا واقتصاديا لكي اخلق تعاطفا معها.
- توثيق القصة بالصور والفيديو.

لكن هناك عوامل عديدة تقف خلف نجاح أي تحقيق استقصائي منها ان التحقيق لابد ان يُحدث تغييرا في المجتمع أو يدفع الناس إلى التحدث بشأن القضية المثارة، وان يقدم حلول أيضاً، بالإضافة إلى ان الصحفي نفسه عليه ان يتخلى عن التفكير بشكل تقليدي (يجب ان يفكر خارج الصندوق).

ومع ذلك أنا لا استطيع ان أقول أن المهمة سهلة فعلي الصحفي ان يتواصل مع قانوني قبل النشر حتى لا يُعرض نفسه للمساءلة القانونية.

اخيرا إن "الصحفي الاستقصائي ينجح عندما يُصبح خبيرا بالجوانب المختلفة لتحقيقه، وعندما يتحلى بروح المغامرة ويبدع في انتاج تحقيقه بعيدا عن التقليدية..

الداء والدواء

تطرّق برنامج "تحت طائلة المسؤولية" الذي يعرض على قناة "الجديد" لقضية إتجار بعض الأطباء بوصفات طبية لأدوية تصنف في خانة العقاقير المخدرة، في مقابل تقاضي مبالغ مالية من أشخاص مدمنين على تعاطي هذه العقاقير كمواد مخدرة، وليس كعلاج طبي يتم وصفه تحت إشراف الطبيب المختص.

طرحت الحلقة إشكاليات عديدة تستحق البحث حول مدى التزام فريق العمل بمعايير الصحافة الاستقصائية المهنية، واستخدام عملاء متخفين، واستدراج الأشخاص لارتكاب أعمال مخالفة، وتصويرهم خفية، ونشر أسمائهم وصورهم، ودخول أماكن خاصة والتصوير فيها.

استخدام الأشخاص المتخفين

استخدم الفريق الإعلامي في برنامج "تحت طائلة المسؤولية" أشخاصاً عاديين ليقوموا بمهمة استدراج وإقناع بعض الأطباء بإعطائهم وصفات طبية لعقاقير مخدرة، من دون أي واجب طبي يستدعي ذلك، وخلافاً لأصول ممارسة مهنة الطب وآدابها. رضخ طبيبين من ثلاثة لعامل المال، وتقاضى الأول مبلغاً زهيدا قدره عشرون ألف ليرة لبنانية، فيما تقاضى الثاني مبلغ خمسين ألف ليرة لبنانية لقاء بيع وصفة طبية لمريض مفترض. ولم يكلفا نفسيهما عناء الكشف عليه ولو شكلياً.

ما قام به العميل المتخفي لا يشكل أي مخالفة قانونية لنص جزائي معمول به في لبنان. فهو خلافاً للشخص الذي يتظاهر برشوة موظف عام، لم يرتكب أي جرم يلاحق عليه قانوناً. ولم يتطرق القانون اللبناني في نصوصه المختلفة إلى هذه المسألة بشكل محدد. وليس في قانون العقوبات أو قانون المطبوعات أو قانون البث التلفزيوني والإذاعي نصا يمنع التظاهر بالمرض للحصول على دواء يخضع للمراقبة، أو التقاط الصور، أو التسجيل الصوتي خفية، وتحديداً إذا كان الغرض من هذا الفعل إثبات أمراً ما يشكل جرماً أخلاقياً وأضرارا بالمصلحة العامة.

حصل الأشخاص الذين تم استخدامهم للإيقاع بالأطباء على وثائق تثبت وصفهم لعقاقير مخدرة لأشخاص من غير مرضاهم، ومن دون التحقق من هوياتهم وتكوين ملفات طبية لهم، تبرر وصف مثل تلك العقاقير وفقاً للأصول المهنية.

مبررات استخدام الأشخاص المتخفين

واتفقت معظم المدارس الصحافية الاستقصائية التي ترعى عمل الصحافة الاستقصائية المتخفية على عدة معايير مشتركة مادية ومهنية، من شأنها إذا توافرت، أن تبرر مشروعية العمل الصحافي الاستقصائي الذي استخدم وسائل متخفية وغير تقليدية ومألوفة في العمل الصحافي.

يتمثل المعيار الأول في توفر مصلحة عامة ملحة تقتضي الكشف عن هذه الأفعال والممارسات. وتبين من خلال التحقيق أن الأفعال التي يقوم بها الطبيبين موضوع الحلقة ليست عرضية كما أثبت الطبيب الثالث، إنما كانت عمليات اتجار منظمة بصحة البشر بإمتياز. وهذه الأفعال التي سعيت الحلقة إلى الكشف عنها تشكل من دون أدنى شك قضية ذات أهمية عامة قصوى.

يتحقق المعيار الثاني عندما يكون اثبات الأفعال أو الممارسات المخالفة لا يمكن أن يتم بالوسائل الصحافية العادية التقليدية. وهنا قد يكون متاحاً لفريق العمل الاستحصال على وصفات طبية مخالفة من أشخاص مدمنين ومصادر صحافية خاصة من دون اللجوء إلى عملية التخفي والاستدراج والتصوير من دون إذن وعلم الشخص المستهدف. وبما أن الحصول على نماذج من الوصفات الطبية المخالفة لا يكفي لوحده لإثبات المخالفات الخطيرة لأن ذلك من شأنه أن يعرض مصادرهم للكشف والتحقيق من قبل لجان طبية تكلفها نقابة

الأطباء. وقد يقود الاكتفاء بذلك إلى ما اعتاد عليه اللبنانيون لناحية التعتيم على مصير التحقيقات والشفافية، ما ظهر جلياً من خلال المقابلة مع نقيب الاطباء الذي حاول الدفاع عن الاطباء المخالفين مبررا أعمالهم اللاأخلاقية بتعرضهم للتهديد والضغوط من قبل المدمنين على العقاقير المخدرة.

ومن هذا المنطلق شكلت التسجيلات والصور الموثقة دليلا قاطعا لا يقبل النقض، خصوصاً أن الطبيب محمد قاسم لم ينف مضمون التسجيلات، وأقر أن هناك 22 ألف شخص يلجأون إلى اطباء للحصول على وصفات طبية مماثلة. لم يكن امام فريق عمل البرنامج إلا اختيار وسيلة التخفي للحصول على معلوماتهم الموثقة والثابتة، والتي تشكل حماية لصحة المعلومات التي كشفوها.

لا شك أن اشكالية مهنية وأخلاقية وقانونية قد تنشأ عندما ظهرت صور الطبيبين المشهر بهما في الحلقة، إضافة إلى أسمائهم وصوراً لمكان عملهم. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن القانون اللبناني لا يؤمن حماية قانونية للصحافيين الاستقصائيين الذين يواجهون أشخاصاً عاديين مكلفين بتأمين مرفقاً عاماً مثل الأطباء، بمخالفات مضرة بالمصلحة العامة، ونشر صورهم وأسمائهم، كون المادة 387 من قانون العقوبات لا تعتبر مثل تلك الاثباتات المقدمة سببا قانونيا مبررا للصحافيين إلا إذا قدمت بوجه الموظف العام (كل موظف في الإدارات والمؤسسات العامة والبلديات والجيش والقضاء، وكل عامل أو مستخدم في الدولة، وكل شخص عين أو انتخب لأداء خدمة عامة ببدل أو بغير بدل).

مخاطر كشف الأسماء

في ما يتعلق بإشكالية التشهير بأشخاص عاديين والكشف عن الاسماء والتسجيلات والصور في برنامج تلفزيوني، هل يعد ذلك تجاوزاً لدور الإعلام أو مخالفاً للقوانين وقواعد السلوك المهنية الإعلامية؟

يمكن أن نستنتج أن المعيار الثالث لتقويم التجربة المهنية لفريق عمل تحت طائلة المسؤولية في حلقته الداء والدواء، قد تحقق كون المخاطر الناجمة عن الكشف عن هوية الطبيبين الشخصية، وما ينجم عن ذلك من ضرر مهني وتعرض لسمعتهم وكرامتهم الشخصية، يتناسب مع خطورة وجسامة التصرفات المضرة بالمصلحة العامة التي أقدم عليها الطبيبين المعنيين.

الشفافية والمواجهة

لا بد من التحقق من توفر المعيار الرابع والأخير لتقويم حلقة داء ودواء مهنياً، والذي يرتبط بشفافية إعداد التقرير الصحافي الاستقصائي والوضوح في مختلف فقراته ومراحله، إضافة إلى مواجهة أصحاب الشأن بالمخالفات المنسوبة إليهم لسماع آرائهم وتفسيراتهم لتصرفاتهم. وفي عبارة مختصرة، يظهر بوضوح من خلال الحلقة والأحداث والوقائع أن فريق العمل قادر على تقديم شرح كامل وصادق للجمهور لناحية اعداد وتقديم هذا العمل الصحافي الاستقصائي، وأسبابه.

فضيحة في حوض السباحة "سبلاش ببلاش"

عرضت محطة الجديد تحقيقا تلفزيونيا استقصائية للمحقق الصحافي جاد غصن على ثلاثة أجزاء، محاولاً الإضاءة مجدداً على تحقيق تم نشره في صحيفة الأخبار، حول موضوع حوض السباحة "سبلاش" ببلاش حمل توقيع كل من فاتن الحاج وقاسم فياض تحت عنوان "سبلاش في "اللبنانية" ببلاش"، حاولت خلاله أن تطرح مجموعة من الأسئلة المشروعة حول المبلغ الذي تقاضته الجامعة لقاء السماح باستخدام مسبحها، وعن مضمون العقد الذي جمع الطرفين، والهدف الذي تحقق من وراء السماح باستغلال صرحها، ونقله إلى الرأي العام عبر الإعلام المرئي بعدما فشلت صفحات الجريدة بلفت نظر الناس إليه.

إلا أن السيد رئيس الجامعة اللبنانية أعتبر أن هذه الأسئلة لا تدخل ضمن نطاق مهمة الصحافيين بل المفتشين!

استهل غصن، تحقيقه في البحث عن أحقية الجامعة من الناحية القانونية في تقديم مرفق عام لجهة خاصة كي تستثمره، وبحسب المحامي منير الزغبي استناداً إلى المادة الأولى من قانون تنظيم الجامعة اللبنانية فهي "مؤسسة عامة تقوم بمهام التعليم العالي الرسمي في مختلف فروعه ودرجاته...متوخية في كل ذلك تأصيل القيم الإنسانية في نفوس المواطنين" ويسأل الزغبي "هذا العمل الذي ستقوم به الجامعة من تأجير دون مقابل أو من وهب لمدة معينة، هل الهدف هو تأصيل القيم الإنسانية في نفوس المواطنين؟ هنا السؤال"... الخطوة الثانية في تحقيق غصن هي في البحث عن مدى التزام الجامعة اللبنانية بالمعايير القانونية أثناء الموافقة على منح المسبح، حاولت مراسلة متخفية استطلاع سبل الاستئجار

فأكدت لها سكرتيرة رئيس الجامعة أنه "أخذ قرارا بعدم السماح لأحد باستخدام المسبح وأن الجامعة لا تؤجر، وأن كل ما في الأمر أنه كان يُطلب منا السماح باستعماله ليوم أحيانا وكنا نوافق". ولدى السؤال عن تجربة مماثلة هي برنامج سبلاش أوضحت السكرتيرة إنه "تمت تقدمة المسبح على أساس أنه برنامج تلفزيوني ولا إيجار في الأمر

ويسأل غصن "الرئيس لا يوافق على منحه لأي كان وأنه اتخذ القرار بعدم إعطائه لأحد مجدداً. ولماذا إتخذ القرار بعدم تكرار تجربة "سبلاش"؟ من "الأخبار" إلى "الجديد"، ظلّ رئيس الجامعة اللبنانية متمسكاً بقرار الإمتناع عن بحث بنود عقد "سبلاش" عبر الإعلام، وأدار الدفة نحو عميد كلية الإعلام جورج كلاس الذي يتولى منصب المستشار الإعلامي لرئيس الجامعة اللبنانية، فأكد كلاس لـ"الجديد" أنه لا يوجد عقد مالي بين الطرفين على الإطلاق، وإنما تم إهداء استديو إذاعي وتلفزيوني لكلية الفنون.

ولكن مراسل الجديد أظهر مراسلات بتواريخ حديثة بين الطرفين تذكر مسألة إهداء المعدات. وهي عبارة عن ثلاث كاميرات وحاسوبين (Laptop) وبرنامجي مونتاج تعليميين مجانيين قدرت قيمتها جميعها بنحو 12 ألف دولار أميركي أُفيد لاحقاً أن الجامعة قامت بإرجاعها إلى المؤسسة الواهبة.

وهنا كان لا بد من سؤال يوجه للمعنيين في الجامعة حول سبب رفض الهبة وهل كان من اتفاق شفهي حول طبيعة الهبة؟ولم يتطرق غصن إلى سبب إرجاع هذه الهبة

غصن أضاء على المسألة الأساس وهي كلفة استئجار مسبح مماثل، وتبين وجود هكذا مسبح عكس ما كانت المؤسسة اللبنانية للإرسال قد ذكرت عن كون مسبح الجامعة هو الوحيد المؤهل لهكذا برنامج، وتكلفة استئجاره تتراوح بين مئة ومئتي ألف دولار أميركي للشهر الواحد. واعتمد غصن رقما وسطيا هو 150 ألف دولار وبحسبة بسيطة خلص إلى أن تكلفة المسبح على المؤسسة اللبنانية للإرسال كانت لتبلغ حوالي 525 ألف دولار أميركي للمدة التي استغرقها البرنامج.

فلماذا لم تستفد الجامعة من تأجير هذا المسبح خصوصا أن نظامها المالي أجاز لها تأجير ممتلكاتها وفقا للمادتين 33 و35، لماذا قررت إدارة الجامعة أن تأخذ دور جمعية خيرية تهب مرفقها دون مقابل؟

وتساءل غصن عن دور وزير التربية.......الذي لم يرد على اتصاله وينص القانون أنه "على رئيس الجامعة دوماً إبلاغ وزير التربية بالمقررات التي يصدرها، ووزير التربية لديه 15 يوماً أما للموافقة أو الرفض أو السكوت، وبعد 15 يوماً يعتبر القرار نافذاً، وفي حال حصل تناقض بين الطرفين يتم اللجوء إلى مقام مجلس الوزراء."

حاول جاد غصن في تحقيقه أن يلملم كل زوايا الموضوع، ولكنه أغفل رأي الجهة التي قامت بتنفيذ البرنامج، أي شركة فانيلا بروداكشن. فهل تعهدت فعلا الجهة المنفذة بتوفير استوديو إذاعي وتلفزيوني؟ وماذا عن تواريخ المراسلات التي أظهرها؟ إلا يعتبر من البديهي وفي حال عدم الحصول على جواب شاف من طرف معني بقضية أن نتوجه إلى الطرف الآخر؟

هل انتهت القضية عند هذا الحد؟ هل أثارت هذه المسألة لجان المراقبة في الجامعة اللبنانية أو الجهات المعنية قضائيا للتحقيق بكل المعلومات التي وردت في هذا التقرير؟ هل هناك من يتابع قضايا الفساد وإهدار المال العام للوصول إلى المحاسبة؟ ونبقى بانتظار إثارة ملف فساد جديد.

تحت طائلة المسؤولية

اكتمل الملف، واتجه رياض قبيسي ورامي الأمين لمواجهة المتورطين. حمل الزميلان عدة الاستقصاء: كاميرا سرية، وجعبة مليئة بالمعطيات، وقائمة أسماء متورطة، قد تجر قافلة من المتورطين إلى العدالة. لم يكن الهدف من الكشف عن الشخصيات، اصطيادها بتهمة الفساد والرشوى... هي ليست أكثر من طعم، للإيقاع بمافيات مصلحة تسجيل السيارات في الأوزاعي (جنوب بيروت). قرع معدا ومقدما برنامج "تحت طائلة المسؤولية" الأبواب الموصدة، ودخلا مغارة النافعة والأربعين سمساراً.

وليس إدخال المشاهد إلى مصلحة تسجيل السيارات، إلا بداية لعمل استقصائي، تخوضه قناة "الجديد"، ويتولاه قبيسي والأمين. هما محريا القناة، ويترأسان "كتيبة التحقيقات الاستقصائية" في المحطة. أراد الإعلاميان الكشف عن الصفقات، ومواجهة المتورطين بالدليل. والأهم، إتاحة حق الردّ للمستهدفين، نظراً لكون الكاميرا الخفية ستصيب الفاسد المفترض بضرر اجتماعي. أخلاقيات المهنة توجب إتاحة حق الردّ.. وتلك ألف باء الصحافة. لا يدعي معدا ومقدما البرنامج تغيير البشرية. ولا إيصال المتهم إلى العدالة. يوصّف البرنامج

الواقع، ويترك للرأي العام الحكم، كما للأجهزة الأمنية فرصة التحرك. عادة ما تعتبر المادة الإعلامية إخباراً للنيابة العامة للتحرك.

ويلخص قبيسي في حديثه عملهما بالقول: نعقد محاكمة، ولا نصدر الأحكام. علماً أنه غير متفائل بإصلاح مسار الفساد المستشري في بلد غارق من رأسه حتى أخمص قدميه بالفساد. ذلك إن معظم اللبنانيين، دخلوا دوامة الفساد، وتمخضت عنه شخصيات انتهازية وفاسدة وكاذبة".. لكنهما يقومان بعملهما، من غير تحميل هذا العمل أبعاداً وتوصيفات عقائدية على شاكلة التغيير. أرادا، على غرار البرامج الإستقصائية الرائجة في الغرب، التشجيع على مزيد من الشفافية.

ولا يتوهم الإعلاميان تباين الآراء حول عملهما. يتركان مساحة للنقاش حول النتائج، وكيفية اصطياد المتهمين المفترضين. لماذا بدء بالفاسد الصغير؟ هل يستطيعان أن يقتربا من الأحزاب والطوائف؟ وماذا عن فساد النواب والوزراء؟ اسئلة بديهية طُرحت، وتُطرح. لكن مسار التحقيقات، كما يؤكد قبيسي، سيصل الجميع. يقول إن التلفزيون منحنا مساحة كبيرة من الحرية، من غير أن يخفي ما هو رائج في لبنان، أن التسييس والتطويف أسهل السبل لتميع الملفات ورغم ذلك، سنزعج تلك الملفات، ونطرق ما نمسك منها بكل الدلائل والبراهين. بمعنى آخر، لن نخوض ملفاً نمسك بربع دليله، بل سنخوض ما نحيط بمضمونه، كي ننال رضى الجمهور.

ويجدد رامي الأمين، التأكيد أن سقف الحرية مرتفع إلى حدود تناول القناة بحد ذاتها. يقول إن هذه النقطة "نوقشت مع إدارة المحطة قبل بداية البرنامج، وكنا واضحين أن "تحت طائلة المسؤولية" لن يبصر النور إذا كان سيخضع لأي من الضغوط.

وطبيعة البرنامج الاستقصائية، تفرض العمل على الدليل، وفي حال غيابه لن تكون هناك حلقة في الأساس. ويشير الأمين إلى "أننا نتبع المعايير المهنية في الصحافة الإستقصائية كي لا نحول الفاسد إلى ضحية". فالأهم بالنسبة اليهما، الوصول إلى الفاسد في المؤسسة الرسمية الذي يغطّي الفاسدين الصغار. أما عن المخاطر، فلا شك أنها قائمة، وقد تكون من الصغار أثناء التصوير والمواجهة، لأن الكبار يحسبون ألف حساب قبل أذية صحافي، خوفاً من أن تتوجه الأضواء مباشرة اليهم، وتحرجهم اجتماعياً وتهز موقعهم المسؤول.

الهدف الإصلاحي في البرنامج، يفصله عن التناول الفضائحي، شعرة. إعلاميون كثيرون غرقوا في هذه المتاهة، حتى باتوا متهمين بتناول الموضوعات وفق قاعدة "الصحافة الصفراء". غير أن الحد الفاصل بين الفضائح والإصلاح، هو طرح ما يهمّ الشأن العام، مستنداً إلى قاعدة معايير الخبر الحديثة، وهي ما يجب ما يعرفه الناس، بما يتخطى ما يريد الناس معرفته. وفي هذا العمل، يتحوّل كل مواطن إلى صحافي استقصائي،أن ما تقوم به "أكثر فعالية من دائرة التفتيش المركزي الحكومية."

هوامش الفصل الثامن

1- د. محمد عبود مهدي،مشكلات السياسة الاتصالية في العراق بعد احداث 9/4/2003-الصحافة الورقية انموذجا، بحث منشور في إصدار وقائع المؤتمر العلمي السنوي الثاني، نيسان 2008، ص263.

2- فراس حسين الياسي، الصحافة الاستقصائية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاعلام،، 2013.

3- ضياء رسن،غموض مصادر تمويل الاعلام العراقي يصيب بمقتل نزاهته،دراسة عراقية – امريكية، جامعة أيرزونا الامريكية، 2011

4- لجنة حماية الصحفيين، في المهمة دليل للتغطية الصحفية في الاوضاع الخطرة، ترجمة: ايمن.ح. حداد (نيو يورك: من منشورات محطة CNN)،2006.

5- دون راي، الاعلام في مساعدة الاعلام، شبكة الصحفيين الدولين

6- صحيفة الوسط،الصحافة الاستقصائية أفضل وسيلة للوصول إلى قلب الحقيقة، 2010 رابط الموضوع: http://www.alwasatnews.com/2741/news/read/377262/1.html

7- موقع الملك فاروق بتاريخ 3،2/ 2012م رابط الموقع: http://www.faroukmisr.net/

8- حازم أبو وطفة، مستقبل الصحافة الاستقصائية، برنامج المرصد، قناة الجزيرة، 26/ 1/ 2014

9- مدونة أنا حُرة، ما هي الصحافة الإستقصائية، 2013 ، تجده على الرابط:
http://anahora.blogspot.com/2013/01/blog-post_29.html

10- من موقع شبكة الجزيرة الرابط:
http://transparency.aljazeera.com/ar/aboutus/

11- رانيا حمزة، حوارات وملفات، فريق عمل مشروع "استقصاء الفساد – تحرّك"، 20/ 12/ 2013
الرابط: http://elshaab.org

12- نذيررضا الخميس، كتيبة الاستقصاء التلفزيوني، 31/ 10/ 2013

13- ماهية الصحافة الإستقصائية، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة لتغطية الاستقصائية / 2013

14- حسن عبد الحميد، جريدة المستقبل العراقي، 11/ 12/ 2012

15- امام محمد امام، منع النشر في قضايا الفساد، الموقع:
Imam Imam: [imam@asharqalawsat.com]

16- موقع مؤسسة اميديست على الرابط http://www.amideast.org/ar/about/2321

17- موقع قناة "mtv" من ارشيف برنامج تحقيق تجده على الرابط:http://mtv.com.lb/Tahkik

18- موقع هيئة الاعلام والاتصالات على الرابط:http://www.cmc.iq

19- موقع قناة البغدادية على الرابط:www.albaghdadia.com

20- وموقع البغدادية نيوز على الرابط:www.albaghdadianews.com

الخاتمة

قدم هذا الكتاب نظرة ثاقبة لصناعة التحقيقات التلفزيونية الاستقصائية وأهم جوانب الاختلاف بينها وبين التحقيقات الصحفية التقليدية، مع شرح كيف ينبغي أن تفهم الصحافة الاستقصائية في إطار وسائل الإعلام. ومدى ارتباطها بالنظام الديمقراطي وتكوين الرأي العام، ومكانة الأخلاق والمعايير المهنية في أداء هذه التحقيقات، كذلك تأثير التكنولوجيات الجديدة على الممارسات الصحفية، فضلا عن عرضه لقصص مثيرة للاهتمام تضمنتها التحقيقات الاستقصائية التي نفذت من قبل مجموعة من المحققين الصحافيين اللذين حققوا نجاحات صحافية فردية، كما قدم هذا الكتاب لمحة عامة عن أساليب التحري ومصادره، ومختلف القواعد والمعايير والضوابط المهنية التي تنظم العمل الاستقصائي.

المصادر والمراجع

أ- مصادر ومراجع عربية

1- إجلال خليفة، اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، القاهرة، 1972.

2- احمد سالم ولد البخاري واحمد ولد الشيخ احمد الامين، الصحافة الاستقصائية، نقابة الصحفيين الموريتانيين، موريتانيا، 2010.

3- أميرة الحسيني، فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون، بيروت، 2005.

4- د.المهدي الجندوبي، التحرير الصحفي، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة البحرين، 2010.

5- بول ستاينلي، الدليل الميداني المهني لاخبار التلفزيون، ترجمة: عارف أحمد حجاوي، جامعة ميامي، معهد علوم الاتصال، 1993.

6- بركات عبد العزيز، المادة الاخبارية في الراديو والتلفزيون، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2013.

7- بشرى الحمداني، التغطية الصحفية الاستقصائية، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012.

8- جان كرم، مدخل إلى لغة الإعلام، بيروت، 1986.

9- جون أولمان، التحقيق الصحفي، أساليب وتقنيات متطورة، القاهرة، 2000.

10- جمال الجاسم المحمود، التحقيق الصحفي، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، 2010.

11- ديبرا بوتر، دليل الصحافة المستقلة، مكتب الإعلام الخارجي الامريكي، وزارة الخارجية الامريكية، 2006.

12- هدى عثمان وشيري ريكاردي، صوت الجمهور، ترجمة سيما النابلسي، المركز الدولي للصحفين، 2012.

13- حسن محمد أبو حشيش، فن التحقيق الصحفي في الصحافة الفلسطينية، غزة، فلسطين، 2006.

14- طالب فرحان، صناعة الإعلام الاذاعي والتلفزيوني، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2011، ص88- 94.

15- ماجي الحلواني حسين ومحمد مهني، مقدمه في الفنون الاذاعية والسمعبصرية، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح القاهرة، 1999.

16- مارك هنتر، هانسون، ونلز وآخرون، على درب الحقيقة، دليل أريج للصحافة العربية الاستقصائية، المكتبة الوطنية، عمان، 2009.

17- مها فالح ساق الله، ماهية الصحافة الاستقصائية، كلية الاداب، قسم الإعلام، الجامعة الاسلامية، غزة، 2013.

18- محمد فريد عزت، القاموس للمصطلحات الإعلامية، القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، 2002.

19- محمد معوض، مدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2013.

20- محمود علم الدين، وليلى عبد المجيد، فن التحرير الصحفي للجرائد والمجلات، القاهرة: دار السحاب للنشر التوزيع، 2004.

21- محمود سليمان علم الدين، ضوابط التحقيقات الصحفية الأمنية، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2010.

22- مشيل خياط، التحقيق الصحفي والتلفزيوني، دمشق، 2002.

23- نبيل حداد، في الكتابة الصحفية، أربد، 2002.

24- نبيل الشريف، التحري الصحفي، عمان، مركز الافق الثقافي، 1996.

25- سليم عبد النبي، الإعلام التلفزيوني. دار اسامه، الاردن عمان 2010.

26- عبد العزيز شرف،الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

27- عبد الحليم حمود، الصحافة الاستقصائية الفضيحة الكاملة، ط1، دار المؤلف للنشر والتوزيع، مركز الدراسات والترجمة، بيروت، لبنان، 2010.

28- عبد العزيز الغنام، مدخل في علم الصحافة – انتاج البرامج الاذاعية والتلفزيونية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983.

29- عيسى محمود الحسن، الصحافة الاستقصائية – مهنة المتاعب والأخطار، عمان: دار زهران، 2013.

30- علي دنيف حسن، دور الصحافة الاستقصائية في مكافحة الفساد المالي والإداري والجريمة المنظمة، بغداد، العراق، منشورات مدرسة الصحافة المستقلة، 2009.

31- فهد عبد الرحمن الشميمري، التربية الإعلامية، الرياض، 2010.

32- فاروق ابو زيد، فن الكتابة الصحفية، القاهرة، 1985.

33- فريال مهنا، نحو بلاغة إعلامية معاصرة، دمشق، 2003.

ب- مصادر ومراجع أجنبية

1- Hugo De Burgh: investigative journalism (London: routledge, 2008).
2- Frank. E. Fee. Jr: Reconnecting with the body politic: toward disconnecting Muckrakers and public journalists, American Journalism, vol, 22, no, 3, 2005
3- Martin, Linsky: Impact-How the press affects federal policymaking (New York: w.w. Norton company,1986
4- Shelton Gunaratne. "Democracy, Journalism and Systems Perspectives From East and West" (Singapora: Marshall Cauendish, 20006
5- Wolfe. Tom:(The New Journalism (Pan Books Lid) London 1975.
6- D. Weaver, L. Daniels: public opinion on investigative reporting in the 1980s, journalism Qaurtirly, vol, 69, no,1, spring 1992.
7- V.D. Fielder and D. H, Weaver: public opinion and investigative reporting, newspaper research journal, vol, 3, 1982.

ج - المواقع الالكترونية

1- براء الخطيب، موقع اليوم السابع، الصحافة الاستقصائية: العفريت الذى انطلق من قمقم http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=216990

2- عيسى عبد الباقي، (2010): الصحافة الإستقصائية، موقع الصحفي العربي، رابط الموضوع: http://www.alsahfe.com/News-428.htm

3- مدونة أنا حُرة، ما هي الصحافة الإستقصائية، 2013، تجده على الرابط:
http://anahora.blogspot.com/2013/01/blog-post_29.html

4- شبكة الصحفيين الدوليين، أربعة أمور لا تنطبق عل الصحافة الاستقصائية، تجده على رابط: http://arij.net/%D8%A3%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D8%A

5- صحيفة الوسط، (2010): «الصحافة الاستقصائية» أفضل وسيلة للوصول إلى قلب الحقيقة، رابط الموضوع:
http://www.alwasatnews.com/2741/news/read/377262/1.html

6- حازم أبو وطفة، مستقبل الصحافة الاستقصائية، برنامج المرصد، قناة الجزيرة، 26/ 1/ 2014

7- رانيا حمزة، حوارات وملفات، فريق عمل مشروع "استقصاء الفساد – تحرّك"، 20/ 12/ 2013 الرابط: http://elshaab.org

8- سناء الجاك وكارولين عاكوم، علامات استفهام حول الصحافة الاستقصائية في لبنان، بيروت، 24 ديسمبر2006، على موقع جريدة الشرق الاوسط الالكتروني، (http://www.alshaerqalawsat.com/)، أخذ بتاريخ 3/ 6/ 2011. عمان.

9- علي بن شويل القرني، الاستقصائية الغائب الحاضر في الإعلام العربي، منتديات ستار تايمز، (2012)، تجده على الرابط: http://www.startimes.com/?t=31036743

10- عيسى عبد الباقي، الفرق بين الصحافة الاستقصائية والصحافة التقليدية، المركز الصحفي العربي، المحاضرة الرابعة، 2010 تجده على الرابط:
Htt://www.alsahfe.com/News-697.htm

1- دليل مونك ماني لتنمية المصادر" الموقع

http://home.earthlink.net/~cassidyny/monkmanny.htm

1- شفق نيوز (2012): الصحافة الاستقصائية ودورها في مكافحة الفساد، تجده على الرابط:

http://www.shafaaq.com/sh2/reports-investegations/110-reports-and-investigations/45457-

لقد اسهمت التطورات التقنية الكبيرة في مجال الاتصال الجماهيري وتعدد قنوات الاتصال والمعلومات في إحداث تغيير جوهري في شكل الأنواع الإعلامية ومضمونها، وبرزت أنواع صحفية جديدة، وأصبح لكل وسيلة إعلامية خصوصيتها التكنولوجية المحددة، من حيث الشكل والمضمون.ومع تطور الأحداث وتنوع الظواهر، وارتفاع حدة المشكلات، وارتباطها بحياة الجمهور، كان على وسائل الإعلام ابتكار طرائق صحفية جديدة، تقوم بمهمة المعالجة الشاملة لكل هذه القضايا من حيث التفسير والبحث وتقديم الحلول، مما أدى إلى ولادة ذلك النوع الإعلامي الذي يبحث فيما وراء الخبر أو القضية، اطلق عليه تسمية (الصحافة الاستقصائية).

وتعد الصحافة الاستقصائية investigative journalism أعلى مراتب المهنية الإعلامية وفي الوقت نفسه هي أصعبها... ويجسد التحقيق الاستقصائي دور السلطة الرابعة لوسائل الإعلام في المجتمعات، أو ما يمكن تسميته بوظيفة المراقبة التي تنتهجها وسائل الإعلام في إطار من الاحترافية المطلوبة من المؤسسات الإعلامية.

وقد لجأت إليه الصحافة أولاً وعدته مجالا واسعا للتعمق في تقديم الاحداث، ومعالجة القضايا ومن مختلف جوانبها، وقد انتشر هذا المصطلح بحيث لم يعد يقتصر على الصحافة المكتوبة من الجرائد والمجلات، وإنما أخذت الكثير من القنوات التلفزيونية والإذاعية تقدم تحقيقات استقصائية بأساليب متنوعة، حيث انتبه القائمون على الإعلام المرئي لاسيما في القطاع الخاص إلى اهمية التميز في تقديم المادة الاخبارية ولم يقتصر تركيزها على البرامج الحوارية المثيرة بل تعدتها لاختراق ما يمكن وصفه بالممنوعات، وفي ظل تسيد وسائل الإعلام المرئية لواجهة المشهد الإعلامي ودخول وسائط اتصال جديدة ساعد على وجودها الانترنيت وسرعة انتشاره بين مختلف الاوساط والفئات في المجتمع، بات الإعلام التقليدي، أمام تحدي الاستمرارية بتقديم ما هو مختلف، وهذا الامر تنبهت إليه بعض الشبكات التلفزيونية الاخبارية العالمية فكان تركيزها على التحقيقات الاستقصائية التي تتناول قضية أو قضايا لا يرغب الاخرون في الاطلاع عليها أو اظهارها.

